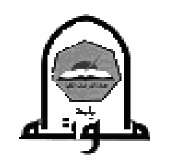


جامعـة مـؤتـة

عمادة الدراسات العليا

تبوك حتى نهاية العصر الراشدي

إعـداد الطالب

نايف حمد العصيمي

إشـراف

الأسـتاذ الدكتور محمد حسين محاسنة

رسالة مقدمة إلى عمادة الدراسات العليا

استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة

الماجستير في التاريخ قسم التاريـــخ

جامعة مؤتة، 2010

الإهـــداء

إلى من لهم في قلبي محبة لا تزول

إلى من يسكنون الفردوس الأعلى إن شاء ا

وأرجو ا أن يجمعني بهم يوم نلقاه

والدي ووالدتي رحمهما ا

نايف حمد العصيمي

الشكر والتقدير

الشكر أولاً وأخيراً سبحانه وتعالى.

وفي هذا المقام لا يسعني إلاّ أن أتقدم بخالص الشكر والتقدير لمن كان لهم الفضل علي لإنجاز هذا العمل، وكل من قدم لي المساعدة مهما كان شكلها، وكل من سهل لي الحصول على المصادر والمراجع، أو وقف إلى جانبي وشجعني أو أرشدني إلى أمر أفاد هذه الدراسة.

والشكر الموصول في المقام الأول لأستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور محمد المحاسنة الذي تفضل بالإشراف على هذه الرسالة، فقدم لي من وقته وجهده الشيء الكثير، فقد كنت أمضي عنده ساعات طويلة وهو يرشدني ويوجهني لكيفية العمل ويصحح لي كل خطأ، ويكمل لي كل نقص يجده في الرسالة، فله مني العرفان بالفضل والجميل.

ولا يفوتني أن أتقدم بشكري إلى أساتذتي في قسم التاريخ بجامعة مؤتة الذين درست عليهم، وإلى أعضاء لجنة المناقشة الأفاضل الذين تكرموا بالموافقة على مناقشة هذه الرسالة وهم الأستاذ الدكتور زريف المعايطة والدكتور محمود الرويضي والدكتور محمد العمايرة فلهم مني كل الاحترام والتقدير.

نايف حمد العصيمي

فهرس المحتويات

الملخص

تبوك حتى نهاية العصر الراشدي

نايف حمد العصيمي

جامعة مؤتة، 2010

تعد مدينة تبوك من أشهر مدن الجزيرة العربية منذ القدم لأنها همزة وصل مابين الجزيرة وبلاد الشام، ثم صارت بعد ظهور الإسلام وانتشاره محطة على طريق الحجاج وطريق القوافل القادم من الشمال من بلاد الشام وما يليها. لقد اشتملت هذه الدراسة على خمسة فصول ومقدمة وخاتمة وقائمة للمراجع، فجاء الفصل الأول منها دراسة جغرافية لمنطقة تبوك وشمال الجزيرة العربية،. وتناول الثاني تاريخ منطقة تبوك وشمال الجزيرة العربية قبل ظهور الإسلام، واشتمل على بيان الجماعات والأمم التي استوطنت تبوك وما حولها ومنها ثمود وبني لحيان والأدوميين وبني قيدار، إضافة إلى القبائل العربية التي كانت تستوطن المنطقة عشية ظهور الإسلام. وتضمن الثالث دراسة تحركات المسلمين الأولى باتجاه شمال الجزيرة العربية، والمتمثلة بغزوات النبي صلى ا عليه وسلم وسراياه التي كان يبعث بها باتجاه الشمال، والتي استهدفت الحفاظ على هيبة الدولة الإسلامية الفتية. وتحدث الرابع عن غزوة تبوك التي كانت أهم تحرك إسلامي باتجاه الشمال، فقد كان يستهدف وضع حد للدولة البيزنطية وهيمنتها على القبائل العربية، وإظهار قوة المسلمين وقدرتهم على حماية أنفسهم ومواجهة الدولة البيزنطية. واشتمل الخامس على البحث في التطورات التي مرت بها منطقة تبوك وشمال الجزيرة العربية بعد وفاة النبي صلى ا عليه وسلم في عهد الخلفاء الراشدين بتنفيذ حملة أسامة بن زيد ومواجهة حركات المرتدين والإعداد لإرسال جيوش الفتح الإسلامي إلى بلاد الشام وإعادة سيادة المسلمين على شمال الجزيرة العربية. وتبين من خلال الدراسة أن منطقة شمال الجزيرة العربية وتبوك كانت مأهولة بالسكان؛ حيث كانت تقيم فيها أقوام عربية مشهورة شكلت دولاً كان لها حضور تاريخي فقد استوطنت فيها قبائل ثمود وقوم شعيب والأنباط وبعض القبائل العربية كقضاعة وكلب وكنـدة وجـذام ولخم، وبقيت هذه القبائل تنتشر في المنطقة إلى أن جـاء الإسـلام. وجاء ظهور الإسلام ليعطي هذه المنطقة أهمية خاصة بعد غـزوة تبـوك فقد أوقف المسلمون امتداد الـروم البيزنطيين في شمال الجزيرة العربية وهيمنتهم على القبائل العـربية التي كانت تخضع لحكمهم، وفتحوا المجال أمام هذه القبائل للتحرر من السيطرة البيزنطية، فانتشر فيها الإسلام، وصار لها شأن كبير.

Abstract

Tabook up to the Rashidi era

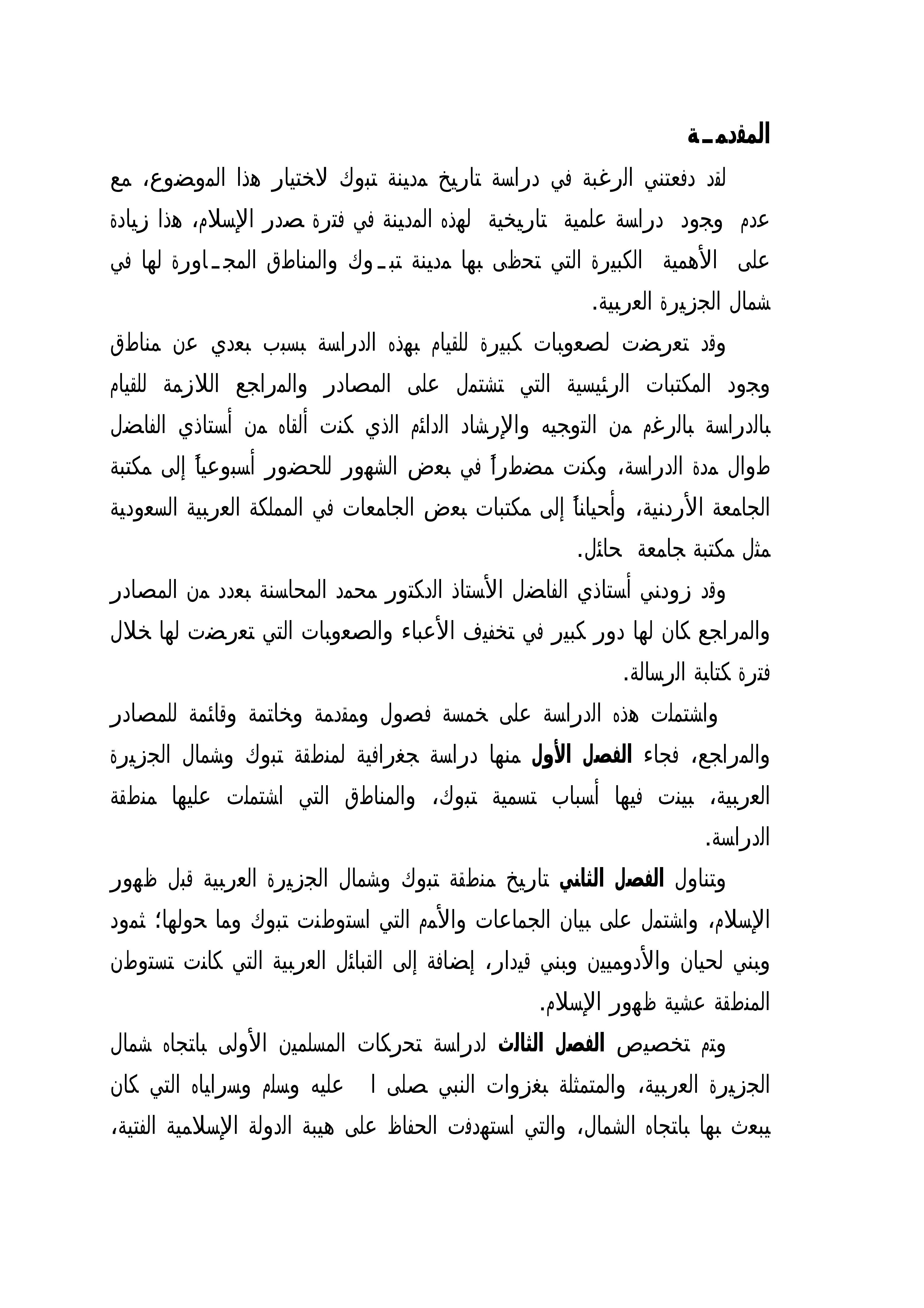
NAIF HAMAD ALOSAIMI

Mu'tah University, 2010

Tabook city is considered to be the most popular city of Arabia, since it was the main cross road between Arabia and belad Al sham then it became as astation for both piligrimes and cararns that came from the north of belad alsham as well as other countries that follows, exactly after the emergence of islam. This study includes five sections, introduction, conclusion and alist which contains resources and refrences.

The first section was geographical study for both north Arabia and Tabook that showed the main reasons for giving the name of Tabook as well as for the rigions that the study includes. The second section dealt with history of both north Arabia and Tabook region exactly before the emergence of islam-also it included some data about the groups and tribes who settled in Tabook such as (Thamood, bany lihian, Edomites, Bany qider),in addition to Arab tribes who settled through the emergence of islam. The third section contains the first Muslims morements towards north Arabia which were formed by the prophet battles and (his conquests) the latter aimed to reserve the powerful Islamic country. The fourth section showed the main Islamic movement toward the north through Tabook conquest which aimed to put limits for Bezantain country and to show muslims power and their abilities to protect themes selves- encountering bezantain country. After the death of the prophet "peace be upon him" many developments accured in Tabook and north Arabia, this was disscused in the fifth section. Osama Ben Zaid during the rasheed calphis , his campaigns to fail regression moemonts through preparing and sending Islamic army to Belad Asham in order to retule north Arabic were also discussed in this chapter. It was clear that many famous tribes settled north Arabic which after that, formed and eonstructed it`s own history such as Tamood, Shua`ib, the nabateans ,Khodaa, Kelb, Kendah, dgotham and Lakhm, thay had settld theio until Islam came. Muslims were able to hinde the Roman Bezantian toward north Arabic after Tabook battle they also controlled the Arabic tribes and set them free of Bezantan power, after that Islam was widly spreaded out where Islamic army crossed to spread out Islamic religion and to libreat the area from the Bezantan rule, so Tabook beacame the conqurers road.

As aresult of Islam, tribes struggles disappeared, coopenation and love spirit occupied the region exactly inside the citizens of this country.



المقدمـة

لقد دفعتني الرغبة في دراسة تاريخ مدينة تبوك لاختيار هذا الموضوع، مع عدم وجود دراسة علمية تاريخية لهذه المدينة في فترة صدر الإسلام، هذا زيادة على الأهمية الكبيرة التي تحظى بها مدينة تبـوك والمناطق المجـاورة لها في شمال الجزيرة العربية.

وقد تعرضت لصعوبات كبيرة للقيام بهذه الدراسة بسبب بعدي عن مناطق وجود المكتبات الرئيسية التي تشتمل على المصادر والمراجع اللازمة للقيام بالدراسة بالرغم من التوجيه والإرشاد الدائم الذي كنت ألقاه من أستاذي الفاضل طوال مدة الدراسة، وكنت مضطراً في بعض الشهور للحضور أسبوعياً إلى مكتبة الجامعة الأردنية، وأحياناً إلى مكتبات بعض الجامعات في المملكة العربية السعودية مثل مكتبة جامعة حائل.

وقد زودني أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور محمد المحاسنة بعدد من المصادر والمراجع كان لها دور كبير في تخفيف الأعباء والصعوبات التي تعرضت لها خلال فترة كتابة الرسالة.

واشتملت هذه الدراسة على خمسة فصول ومقدمة وخاتمة وقائمة للمصادر والمراجع، فجاء **الفصل الأول** منها دراسة جغرافية لمنطقة تبوك وشمال الجزيرة العربية، بينت فيها أسباب تسمية تبوك، والمناطق التي اشتملت عليها منطقة الدراسة.

وتناول **الفصل الثاني** تاريخ منطقة تبوك وشمال الجزيرة العربية قبل ظهور الإسلام، واشتمل على بيان الجماعات والأمم التي استوطنت تبوك وما حولها؛ ثمود وبني لحيان والأدوميين وبني قيدار، إضافة إلى القبائل العربية التي كانت تستوطن المنطقة عشية ظهور الإسلام.

وتم تخصيص **الفصل الثالث** لدراسة تحركات المسلمين الأولى باتجاه شمال الجزيرة العربية، والمتمثلة بغزوات النبي صلى ا عليه وسلم وسراياه التي كان يبعث بها باتجاه الشمال، والتي استهدفت الحفاظ على هيبة الدولة الإسلامية الفتية،

وحماية وفود النبي عليه الصلاة والسلام وأصحابه في حال تنقلهم ما بين المدينة المنورة وبلاد الشام.

أما الفصل الرابع فقد تم تخصيصه لغزوة تبوك التي كانت أهم تحرك إسلامي باتجاه الشمال، فقد كان يستهدف وضع حد للدولة البيزنطية وهيمنتها على القبائل العربية، وإظهار قوة المسلمين وقدرتهم على حماية أنفسهم ومواجهة الدولة البيزنطية.

واشتمل هذا البحث على بيان دور المسلمين بعد وصولهم تبوك في تأمين الحدود الشمالية بإخضاع ملوك الدول المجاورة لتبوك في دومة الجندل وأذرح وأيلة والجرباء ومقنا، حيث فرض عليهم النبي صلى ا عليه وسلم الجزية وعقد معهم عهود الصلح.

بينما جاء **الفصل الخامس** والأخير للبحث في التطورات التي مرت بها منطقة تبوك وشمال الجزيرة العربية في عهد الخلفاء الراشدين من تنفيذ حملة أسامة بن زيد ومواجهة حركات المرتدين والإعداد لإرسال حملات الفتح الإسلامي إلى العراق وبلاد الشام .

كما تضمن البحث في إعادة سيادة المسلمين على الأجزاء الشمالية خاصة دومة الجندل التي ارتد ملكها عن الإسلام، فرأى المسلمون أن الضرورة تأديبه ووضع حد لكل من يفكر في المنطقة بالخروج على سلطان المسلمين.

وختمت الدراسة بخاتمة تبين النتائج التي توصل إليها الباحث من خلال هذه الدراسة، وقائمة بالمصادر والمراجع التي اعتمدت عليها الدراسة.

الفصل لأول

مقدمة جغـرافية

1.1 اسم تبـوك:

تبوك من باك وبَوَكَ، يقال ناقة بائكة : أي سمينة فتـية حسنة، والبوائك: السمـان(1)، وباكَ: حرَكَ ، وبوكَ : حركَ أو اختلط، والبوك: التحريك، فيذكر ابن السكيت في كتابه الألفاظ، وهو أقدم معجم في المعاني: قال أبو زيد: يقـال : بـاكَ القوم رأيهم يبوكون بوكاً : إذا اختلط عليهم فلم يجدوا له مخرجاً(2).

وفي كتاب الصِحاح للجوهري(ت393هـ/1002م) : باكَ الحِمـار الأتـان يبوكها بوكاً: نزا عليها، والبوك أول كل شيء، يقال: أول بوك وأول بائـك أي أول شيء(3).

فتبوك اسم مشتقّ من البوك، وغزوة تبوك لأن النبي صلى ا عليه وسلم رأى قوماً من أصحابه يبوكون حِسي تبوك، أي يدخلون فيه القدح ويحركونـه ليخـرج الماء، فقال: مازلتم تبوكونها بوكاً فسميت غزوة تبوك بـذلك وهـو تفعـل مـن البوك(4).

أما ابن منظور(ت 711هـ/1311م) فيرى أن تبوك من تَبَكَ، وإذا كانـت التاء فيها زائدة فتكون من باكت، وباكَ هنا: ثار، والبوك : تثوير المـاء أو تثـوير عين الماء، يقال: باك العين يبوكها، وباك: إشترى، وباك: باع، والبوك: الشراء(5)، وناقةٌ بائك: إذا كانت فتيةً حسنة، والجمع بوائـك، ومـن كلامهـم: إنـه لمنحـار بوائكها(6).

---

(1) ابن منظور، جمال الدين(ت711هـ/1311م)، لسان العرب، دار صادر، بيروت 2000م، ج2، ص182.

(2) ابن السكيت، يعقوب بن إسحاق(ت244هـ/858م)، كتاب الألفاظ، تحقيق فخر الدين قبادة، مكتبـة لبنـان، بيروت 1998م،ص64/ مادة باك.

(3) الجوهري(ت393هـ/1002م)، تاج اللغة وصِحاح العربية، تحقيق أحمـد عبـدالغفور عطـا، دار العلـم للملايين، بيروت1990م،ج4،ص1577،1576.

(4) الجوهري، الصحاح، ج4،ص 1576.

(5) ابن منظور، لسان العرب، ج2، ص183/ مادة تبك وباك.

(6) الجوهري، الصحاح، ج4،ص1577، ابن منظور، لسان العرب،ج2،ص182.

لقد اختلف عدد من الكتاب والمؤرخين في اشتقاق اسم تبوك وبداية تاريخهـا، لهذا رأيت أن توضيح الأمر يحتاج إلى استعراض أقوال بعض الكتاب والمـؤرخين والجغرافيين في هذا المجال.

فأورد مالك بن أنس(ت179هـ/796م) حديثاً يقول فيه: حدثنا مالك عن أبـي الزبير المكي عن أبي الطفيل عامر بن واثلة أن معاذ بن جبل أخبرهم: أنهم خرجـوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام غزوة تبوك فقال لهم رسول الله صـلى الله عليه وسلم: إنكم ستأتون غـداً إن شـاء الله عين تبوك، وأنكم لن تأتـوها حتـى يضحي النهار، فمن جاءها فلايمس من مائها شيئاً حتى آتي، قال : فجئناهـا وقـد سبق إليها رجلان والعين مثل الشِراك تبض بشيءٍ من مائها ، فسألهما رسـول الله صلى الله عليه وسلم: هل مسستما من مائها شيئاً؟ فقالا: نعم، فسبهما وقال لهما مـا شاء أن يقول، ثم غرف المسلمون بأيديهم قليـلاً قليـلاً حتى اجتمع في شيءٍ ، ثم غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وجهه ويديـه، ثم أعاده فيه فجرت العين بماءٍ كثير، فاستقى الناس، ثم قـال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يوشِك يا معاذ إن طالت بك حياة أن ترى ما هاهنا قد مليء جنـانـاً(1)، وبهذا نكون مياه العين قد ازدادت وجرت كثيرة ببركة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وفي حديث البلاذري(ت279هـ/892م) عن غزوة تبوك قال بأن تبوك مـن أرض الشام، وأورد أنه " لما توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك مـن أرض الشام لغزو من انتهى إليه أنه قد تجمع له من الروم وعاملة ولخـم وجـذام وغيرهم وذلك سنة تسع من الهجرة لم يلقَ كيداً"(2).

---

(1) مالك بن أنس(ت179هـ/796م)، الموطأ، تحقيق عواد بشار معـروف ومحمـود محمـد خليل، مؤسسة الرسالة، بيروت 1993م،ج1،ص143 ـ 144، وانظر ابن كثير، أبو الفداء، الحافظ الدمشقي(ت774هـ/1372م)، البدايـة والنهايـة، دار الكتـب العلميـة، بيـروت 1988م،ج5،ص12.

(2) البلاذري، أبو الحسن(ت279هـ/892م)، فتوح البلـدان، دار ومكتبـة الهـلال، بيـروت 1978م، ص 71.

وتحدث الاصطخري(ت 346هـ/957م) عن تبوك فقال بأن تبوك بين الحجر وبين أول الشام على أربع مراحل نحو نصف طريق الشام، وهو حصن به عين ونخيل وحائط ينسب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويقال بأن أصحاب الأيكة الذين بعث إليهم شعيب كانوا به ولم يكن شعيب منهم، وإنما كان من مدين على بحر القلزم، وهي محاذية لتبوك على نحو من ست مراحل، وهي أكبر من تبوك، وبها البئر التي استقى منها موسى لسائمة شعيب عليهما السلام، ويذكر الاصطخري أنه رأى هذه البئر مغطاةً قد بني عليها بيت**(1)**.

وذكر المقدسي(ت375هـ/985م) أن تبوك مدينة صغيرة وبها مسجد النبي صلى الله عليه وسلم**(2)**، بينما ذكر البكري(ت487هـ/1093م) أن تبوك بفتح التاء هي أقصى أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي من أدنى أرض الشام، وذكر القتبي من رواية موسى بن شيبة عن محمد بن كليب: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء في غزوة تبوك وهم يبوكون حسيها بقدح فقال: ما زلتم تبوكونها بعد؟ فسميت تبوك، ومعنى تبوكون: تدخلون فيه السهم وتحركونه ليخرج ماؤه**(3)**.

أما الإدريسي(ت560هـ/1164م) فقد ذكر مدينة تبوك وقال عنها: " تبوك بين الحجر وبين أول الشام، ويبعد أول الشام عنها أربع مراحل في نحو نصف طريق الشام، ولها حصن يطيف بها، وكان أهلها يشربون من عين ماءٍ خرارة وبها نخيل كثير، ويقال بأن أصحاب الأيكة الذين بعث الله إليهم شعيباً كانوا بها، وكان شعيب من مدين"**(4)**.

---

(1) الاصطخري، إبراهيم بن محمد الفارسي(ت346هـ/957م)، المسالك والممالك، دار القلم، القاهرة 1961م،ص24.

(2) المقدسي، محمد بن أحمد البشاري(ت 375هـ/985م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولي، القاهرة 1991م،ص179.

(3) البكري، أبو عبيد(ت 487هـ/1093م)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضيع، عالم الكتب، بيروت ص303.

(4) الإدريسي، أبو عبدا (ت 560هـ/1164م)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت 1989م، ج1،ص351.

وفي معجم البلدان لياقوت الحموي(ت626هـ/1229م) أن تبوك بالفتح ثم الضم وواو ساكنة وكاف: موضع بين وادي القرى والشام، وقيل بركة لأبناء سعد من بني عذرة، وقال أبو زيد: تبوك بين الحجر وأول الشام على أربع مراحل من الحجر نحو نصف طريق الشام، وهو حصن به عين ونخلٌ وحائطٌ ينسب إلى النبي صلى ا عليه وسلم**(1)**.

ويقال بأن أصحاب الأيكة الذين بعث إليهم شعيب عليه السلام كانوا فيها ولم يكن شعيب منهم وإنما كان من مدين، ومدين على بحر القلزم(البحر الأحمر) على بعد ست مراحل من تبوك**(2)**.

وقال ياقوت الحموي في تسميتها أيضاً: "أن المسلمين في غزوة تبوك نزلوا على عين فأمرهم النبي صلى ا عليه وسلم ألاّ يمس أحد من مائها شيئاً فسبق إليها رجلان وهي تبض بشيءٍ من الماء، فجعلا يدخلان فيها سهمين ليكثر ماؤها، فقال لهما رسول ا صلى ا عليه وسلم: مازلتما تبوكان منذ اليوم فسميت تبوك، والبوك إدخال اليد في الشيء وتحريكه، وركز النبي صلى ا عليه وسلم عنزته**(3)** فيها ثلاث ركزات فجاشت ثلاث أعين فهي تهمي بالماء إلى الآن"**(4)**، أي إلى زمن ياقوت الحموي.

---

(1) ياقوت الحموي(ت626هـ/1229م)، معجم البلدان، دار الكتاب العربي، بيروت، ج2،ص14.

(2) المسعودي، علي بن الحسين(ت346هـ/957م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق عبدالأمير مهنا، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت1991م،ج2،ص159، ياقوت الحموي، معجم البلدان،ج2،ص14، المصري، عبدالوهاب أحمد، غزوة تبوك في القرآن الكريم/رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، ص104.

(3) العنزة هي حربة استخدمها النبي صلى ا عليه وسلم وكانت للنجاشي ملك الحبشة فأهداها للزبير بن العوام الذي قام هو بإهدائها للنبي عليه الصلاة والسلام فكانت عند المؤذنين وكان يمشى بها بين يدي رسول ا صلى ا عليه وسلم ويحدد بها اتجاه الصلاة(انظر الطبري، محمد بن جرير(ت 310هـ/923م)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة 1979م، ج9، ص210ـ 211 .

(4) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص 15.

ويذكر صفي الدين البغدادي(ت739هـ/1338م) في كتابه مراصد الاطـلاع على أسماء الأمكنة والبقاع أن تبوك: "قرية بين وادي القرى والشام وبها عين مـاءٍ ونخل، وكان لها حصن خرب، وإليها انتهى النبي صلى ا عليه وسلم في غزوتـه المنسوبة إليها، وكان قد بلغه أنه تجمع الروم فيها ومعهم لخم وجذام فوجـدهم قـد تفرقوا ولم يلقَ كيداً وأقام بها ثلاثة أيام"**(1)**.

وورد ذكرها عند ابن بطوطة(ت779هـ/1377م) الذي قام بزيارتهـا سـنة 726هـ/1326م فقال بأنها " الموضع الذي غزاه النبي عليه الصلاة والسلام وكانت تبض بقليلٍ من الماء فتوضأ فيها النبي فجادت العين بالماء وجرت ببركـة النبـي صلى ا عليه وسلم، وأصبحت المدينة ممراً يتوقف عنده حجاج بيـت ا الحـرام يستريحون فيشربون ويسقون دوابهم"**(2)**.

أما المقريزي(ت845هـ/1441م) فيذكر بأنها تحاذي مدين وبها البئر التـي استقى منها موسى لسائمة شعيب وعمل فيها بيتاً**(3)**.

وقال السمهودي(ت911هـ/1505م):" تبوك موضع بين وادي القرى والـشام على اثنتي عشرة مرحلة من المدينة، وقيل: اسم بركة هناك، وقال أبو زياد: تبوك بين الحجر وأول الشام على أربع مراحل من الحجر نحو نصف طريق الشام، وهو حصن به عين ونخل وحائط ينسب إلى النبي صلى ا عليه وسـلم، ويقـال بـأن أصحاب الأيكة الذين بعث إليهم شعيب كانوا به ولم يكن شعيب منهم بل من مدين، ومدين على بحر القلزم على نحو ست مراحل من تبوك"**(4)**.

---

(1) البغدادي، صفي الدين(ت739هـ/1338م) مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقـاع، دار المعرفة، بيروت 1954م،ج1،ص253.

(2) ابن بطوطة، محمد بن عبدا (ت779هـ/1377م)، رحلة ابن بطوطة، دار صادر، بيروت 1992م، ص111 ـ 112.

(3) المقريزي(ت845هـ/1441م)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطـط والآثـار، دار الكتـب العلمية، بيروت 1998م،ج1،ص345.

(4) السمهودي، وفاء الوفا،ج3،ص1159.

وورد اسم تبوك في أقوال بعض الشعراء، فوردت في شـعر جميـل بثينـة بقوله(1):

ويـوم معـان قال لي فعصيته   أفِـق عن بثيـن الكاشح المتنصح

ويـوم نزلنا بالجبـال عشية   وقـد حبِسَت فيها الشـراة وأذرح

ويوم تبوك كِدتُ من شدة الأسى   عليك بما أخفي من الوجد أُصـرح

هذه اقوال الكتاب من جغرافيين ومؤرخين وأدباء في مدينة تبوك وتـسميتها, ويجمع غالبية هؤلاء على تحديد مكانها بأنها على طريق الشام، فهي مدخل الحجاز من جهة الشام .

وتوجه النبى صلى ا عليه وسلم سنة تسع من الهجرة إلي تبوك, وهي آخر غزواته, فقد انتهي اليه خبرتجمع الـروم وبعض قبائل العـرب، ومنها لخم وعاملة

وجذام , فلما قدم إلى المدينة وجدهم قد تفرقوا ولم يلق كيداً.

ونزل المسلمون على عين ماء للمدينة فأمرهم أن يتركوها حتى يصل عليـه الصلاة والسلام، فسبق إليها رجلان وهي تبض بشئ من الماء فجعلا يدخلان فيهـا سهمين ليزداد ماؤها, فقال لهم رسول ا صلى ا عيله وسلم: مازلتما تبوكانها منذ اليوم، أي؛ يحركانها بما أدخلاه فيها، وبذلك سميت تبوك **(2).**

وركز النبي صلى ا عليه وسلم عنزته فيها ثلاث ركزات فخرجت منها ثلاثة أعين، وغسل وجهه ويديه بشيءٍ من مائها ثم أعاده فيها فجرت العين بماءٍ كثير, وفي رواية ابن إسحاق:(فانخرق من الماء ماله حس كحس الصواعق) قال: يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة أن ترى ما هاهنا قد ملئ جنانا **(3).**

---

(1) جميل بثينة، جميل بن عبدا بن معمر(ت 81هـ/701م)، شرح ديوان جميل بثينة، شـرح وتحقيق عدنان زكي درويش، دار الفكر، بيروت 1994م ، ص 43 ـ 44.

(2) السمهودي , وفاء الوفا ,ج3,ص1159.

(3) السمهودي, وفاء الوفا ,ج3,ص1159-1160.

وتحدث بعض الكتاب المحدثين عن مدينة تبوك، فذكرها مـوزل واعتبرهـا المحلة التى ذكرها بطلميوس باسم (تباوا) عند الحدود الشمالية الغربية لبلاد العـرب السعيدة، واعتبر هذا الاسم تحريفاً للفظ : تبوك او تبوكا، وذلك لانطباق المكانين كل منهما على الآخر(1).

وتناول موزل ما أورده بعض الجغرافيين والمؤرخين المسلمين كـالبلاذري (ت279هـ/865م)، وابـن هـشام(ت218هـ ـ/833م) والبكـري والمـسعودي والإدريسي وياقوت الحموي, كما ذكر بعض الأخبار الواردة عند ابن بطوطة الذي زارالمنطقة، والمقريزي (ت845هـ/1441م)، وحاجي خليفـة الـذي امتـدحها باعتبارها إحدى المنازل الواقعة على طريق الحج الشامي, ولكثرة نخيلها ومائهـا, وأن كثرة الماء بها إنما هو من بركة رسول ا صلى ا عليه وسلم(2).

وفي كتاب (تبوك قديماً وحديثاً) بأن اختيار الموقع الجغرافـي لتبـوك جـاء منسجماً مع الموقع الذي يجب أن تبنى فيه المدن، فالذين اختاروا هذا الموقع كانوا من خبراء الجغرافيا, فالضروريات لتكوين المدينة موجودة حيث الـسهول الممتـدة والمياه الغزيرة المتوفرة في الينابيع وجداول المياة المتدفقة منها اجتذب الكثير مـن القبائل العربية مما أدى إلى نجاح الزراعة وبناء العمران, كما أدى موقعها علـى مشارف الشام ودرب الحجاج والطريق التجاري إلى ظهور المدن والمراكز التـى تحيط بها من كل الجهات(3).

واستفادت القبائل العربية من عيون المياه المتدفقة التى لا تحتاج إلـى جهـد كبير في استخراج الماء, وتتغذى عيون المياه التى تتدفق في الأوديـة مـن حـرة الرحاء والعويرض

---

(1) موزل.أ, شمال الحجاز، ترجمة عبدالمحسن الحسيني, مطابع رمسيس، الاسكندرية 1952م, ج1, ص140.

(2) موزل, شمال الحجاز ,ج1,ص141-144.

(3) العطـوي، مسعد بن عيـد تبـوك قديمـاً وحديثـاً، مكتبـة التـوبة، الـرياض 1993م، ص19 ـ 20.

وحسمى حيث تصب في سهول تبوك, ويقول أيضا بأن الغابات كانت مزدهرة في بطون الأودية وكذلك الأعشاب والحشائش التى تتغذى عليها الأغنام لمن يـسكن تبوك ,وتمتد سهول تبوك من نهاية حرة العويرض وجبال السليطيات وجبل بـرك في الجنوب تمتد شمالاً مسافة 120كم باتجاه الحدود الأردنية**(1).**

ويذكر حمود بن ضاوي القثامي في كتابه (شمال الحجـاز) أن تبـوك تعتبـر المدخل البري الأول للمملكة العربية السعودية في الشمال عن طريق حالـة عمـار التي تبعد 106كم عن تبوك، ومن هذا المدخل تتدفق أفواج الحجاج كل عام لأداء فريضة الحج، وان تبوك تقع في موقع متوسط بالنسبة إلى مدن وقرى الحجاز، ففي الشرق تقع تيماء وحائل والجوف وفي الشمال قريات الملح وحالة عمار وفي الغرب حقل والبدع ومقنا والمويلح وضبا وفي الجنوب العلا ومدائن صالح**(2).**

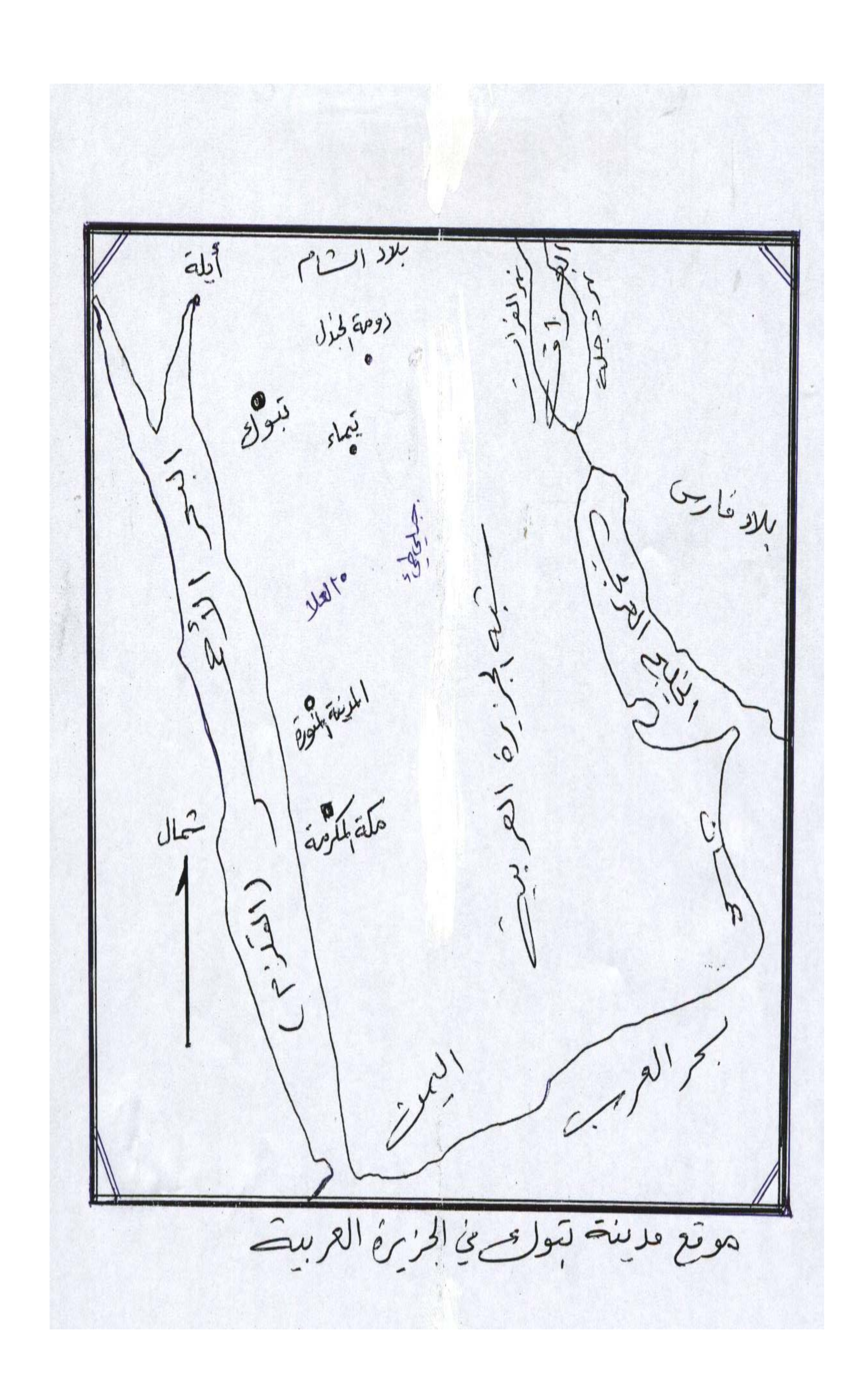
وقال علي بن ابراهيم غبان : تقع تبوك قريباً من تخوم الـشام فـي الطـرف الشمالي لإقليم الحجاز؛ وهي واحة قديمة من واحات المنطقة ذكرت في المـصادر اليونانية القديمة، وبها تمر محجة الشام التي سميت بالتبوكية نسبة إليهـا، وكانـت تبوك في الفترة الإسلامية المبكرة قرية لبني سعد بن عذرة، وقـد اشـتهرت فـي المصادر بغزوة تبوك وبعينها التي فجرها الرسول صلى ا عليـه وسـلم عنـدما عسكر بها وبمسجدها الذي ينسب إليه ثم سمى مسجد التوبة، وهو من المساجد التي بناها عمر بن عبد العزيز في العهد الأموي بالحجارة المنقوشة وحول هذا المـسجد والعين نشأت بلدة لطيفة أحاطت بها المزارع والبساتين**(3).**

---

(1) العطوي، تبوك، ص20 ـ 21.

(2) القثامي، حمود بن ضاوي، شمال الحجاز (الآثار)، العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت 1991م، ج1، ص83 – 85 .

(3) غبان، علي بن ابراهيم بن علي حامد، شمال غرب المملكة العربية الـسعودية (الكتـاب الثاني)، الطبعة الأولى 1993م، ص56.



موقع مدينة تبوك في الجزيرة العربية

وبعد هذا العرض لما أورده الكتاب من مؤرخين وجغـرافيين وأدبـاء يمكـن تحديد مدينة تبوك بصورة واضحة على الشكل التالي :

تبوك مدينة تقع في شمال الحجاز على الحدود الجنوبية لبلاد الشام، وهي مـن أهم المواقع على طريق الحج الشامي وطريق القوافل القادمـه مـن الـشمال إلـى الجنوب ومن الجنوب إلى الشمال.

وبالعودة إلى تسمية المدينة وعلى ضوء هذا الاستعراض يمكن القـول بـأن مدينة تبوك أخذت اسمها من أحد الأمور التاليه :

1- من بوك، والبائك أول الشئ**(1)**، وكان ها الاسم لأن تبوك على حدود الشام فهي أول الحجاز للقادم من الشام، وأول الشام للقادم من الحجاز.

2- من باك أو بوك : أي باع أو اشترى**(2)**، وسميت كـذلك لأن المدينـة محطـة رئيسية على طريق القوافل التجارية وعلى الطريق الحج، وكانـت تقـام فيهـا الأسواق الموسمية لقوافل التجار والحجاج فيبيعون فيها ويشترون.

3- ان المدينة أخذت اسمها لكثرة ما فيها من النياق والإبل، فعند ابن السكيت : ناقة بائك، : إذا كانت فتية حسنة، والبائل الناقة العظيمة الـسنام، والبوائـك الإبـل كرامها وخيارها**(3)**.

وكانت تكثر الإبل في تبوك لتوفر طعامها ومائها ووجود الغضا الذي ينبت في مناطق متعددة حول المدينة**(4)**، وكان اهل تبوك يستخدمون الجمال بكثرة خاصـة لنقل الحجاج.

---

(1) الجوهري، الصحاح، ج4، ص1577.

(2) ابن منظور، لسان العرب، ج2، ص183.

(3) الجوهري، الصحاح، ج4، ص1577، العطوي، تبوك، ص12.

(4) القثامي، شمال الحجاز، ج1، ص91.

4- البوائك: وهي الثابتة في مكانها وتعني النخيل، فقال بعـضهم: "وبهـا نخيـل كثير(1)، فلعلها أخذت اسمها لكثرة نخيلها وكانت كلمة بوائك تطلق على النخيل وهي الثابتة.

5- حسب رواية موزل المنسوبة إلى بطليموس فإن تبوك من تباوا Thapaua وهو تحريف للفظ تبوك أو تبوكا(2)، وتذكر الكثير من الروايات أن اسم تبوك جـاء بعد غزو الرسول صلى ا عليه وسلم لتبوك وذلك استناداً إلى الحديث المرفوع إلى النبي صلى ا عليه وسلم أنه عندما غزا المسلون تبوك سبقة رجلان إلـى عين ماء فيها واستخدما القداح للحصول على الماء لأنه كان قليلاً، فلما وصـل الرسول صلى ا عليه وسلم قال لهما: مازلتما تبوكانها بعد؟ أي تحركانهـا أو تدخلان فيها القداح ليخرج الماء(3).

واستبعد موزل هذا الرأي مستنداً إلى أن التسمية كانت معروفة قبـل ذلـك طبقاً لما رواه عن بطليموس أنها تباوا الوقعة على الحدود الشمالية الغربيـة لـبلاد العرب السعيدة واعتبر هذا الاسم تحريفاً لاسم تبوك(4)، كما استبعد أن تكون تبـوك أخذت اسمها إثر غزوة المصطفى صلى ا عليه وسلم للمنطقة بدليل أنه ورد عـن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال: (أنكم ستأتون غداً إن شاء ا عين تبوك، وأنكم بعد لن تأتوها حتى يضحي النهار، فمن جاءها منكم فلا يمس من مائها شيئاً حتـى أتي)(5).

---

(1) الاصطخري، السمالك والممالك، ص24، الإدريسي، نزهة المشتاق، ج1، ص351، ياقوت الحموي، معجـم البلـدان، ج2، ص14، البغـدادي، مراصـد الإطـلاع، ج1، ص253، السمهودي، وفاء الوفا، ج3، ص1159، موزل، شمال الحجاز، ج1، ص144.

(2) موزل، شمال الحجاز، ج1، ص140، العطوي ، تبوك قديماً وحديثاً، ص13.

(3) البكري، معجم ما استعجم من أسماء الـبلاد، ص303، الـسمهودي، وفـاء الوفـا، ج3، ص1159، عبد الوهاب المصري، غزوة تبوك، ص105

(4) موزل، شمال الحجاز، ج1، ص140.

(5) مالك بن أنس، الموطأ، ج1، ص43 – 144، السندي، عبـد القـادر حبيـب ا ، الـذهب المسبوك في تحقيق روايات غزوة تبوك، مكتبة المعلا، الكويت 1986م، ص38.

وهذا دليل على أن اسم تبوك كان معروفاً عند الرسول صلى ا عليه وسـلم فقد ذكر اسم تبوك قبل حدوث الغزوة فالتسمية إذاً كانت معروفة قبل ذلـك. إلا أن هذا دليل الحادثة تؤكد استمرار التسمية بعد ذلك والإبقـاء عليهـا بعـد أن وصـل المصطفى عليه الصلاة والسلام(1).

ويرجح أن اسم تبوك جاء من الفعل بوك لأن الناس كانوا قبل الإسلام يـاتون إليها فيجدون ماءها قليلاً، فيقوموا بتحريكها ويدخلون فيها القداح للوصـول علـى حاجتهم من الماء لذلك سميت هذه العين باسم تبوك قبل الإسلام، ودليل ذلـك قـول الرسول صلى ا عليه وسلم (مازلتم تبوكونها بوكاً)، وهذا يعني ان هـذه الأفعـال كانت موجودة وان عمل الرجلين كان استمرار لما كانوا يفعلونه في السابق عنـدما يجدون ماءها قليلاً.

ولما جاء النبي عليه الصلاة والسلام ومعه المسلمون في غزوة تبوك (غـزوة العسرة) وكان المسلمون بحاجه إلى الماء، غسل عليه الصلاة والسلام وجهه ويديـه بما توفر له من مائها ثم أعاده فيها وغرز عنزته فيها عدة مرات، فهداه ا تعـالي ليفتح للمسلمين مكان العين التي لم يهتد أحد إليها قبل ذلك، فتفجـر المـاء غزيـراً واستقي المسلمون ببركة المصطفى عليه الصلاة والسلام، واستمر جريـان المـاء غزيراً إكراماً لواردها والشارب من مائها عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

2.1 التضـاريس

تقسم منطقة تبوك من حيث الطبيعة الجغرافية إلى عدة مناطق تضاريسية هي: السهول الساحلية والمرتفعات الجبلية وهضبة حسمى والهضبة الداخليـة وصـحراء النفود، وتتخلل هذه المناطق مجموعة من الأودية التي تجري فيها المياه عند سقوط الأمطار.

---

(1) السندي، الذهب المسبوك، ص13.

أ ـ السهول الساحلية

وهي تمتد بمحاذاة ساحل البحر الأحمر في القسم الشمالي من شبه الجزيـرة العربية، ويطلق عليها اسم تهامة**(1)** أو سـهول تهامـة، و تهامـة هـي المنـاطق المنخفضة التي ترتفع فيها درجات الحرارة وتهدأ الرياح**(2)**.

ب ـ المرتفعات الجبلية

وتتألف من عدد من السلاسل الجبلية تمتد موازية للبحر الأحمر، وتتكون من صخور نارية متحولة وتغطي بعضها صخور رسوبية ومنها :

جبال مـدين : وهي تؤلف القسم الشمالي محاذية للبحر الأحمر وخليج العقبة، وتمتد جنوباً حتى وادي الحمض، وتتخذ شكل مثلث رأسه في الـشمال قـرب العقبة، وقاعدته في الجنوب ، ويقسمها وادي عفال إلى قسمين، ومن أشـهرها جبل اللوز، وجبل دباغ، وجبل دفدف، وجبل الشاطيء**(3)**.

جبال الحجاز : فالأجزاء الشمالية منها تأتي ضمن منطقة تبوك ومنها جبل ديبة وجبل الجو التي يصل ارتفاعها إلى أكثر من ألفي متر عن سطح البحر**(4)**.

---

(1) ذكرها ياقوت في معجمه فقال: تهامة تساير البحر، وما سال من الحرتين؛ حرة سليم وحرة ليلى فهو تهامة(انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان،ج2،ص 63).

(2) انظر سيف، محمود محمد، جغرافية المملكة العربية السعودية، دار المعرفـة الجامعيـة، الاسكندرية 1996م، ص 47، أبو عيانة، فتحي محمد، دراسات فـي جغرافيـة شـبه جزيرة العرب، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية 1996م، ص 37.

(3) الحميدي، تبوك، ص35، محمود سيف، جغرافية المملكة العربية السعودية، ص 50.

(4) الحميدي، تبوك، ص35.



بلاد الشام
معان
أيلة
حقل
حالة عمار
مدين
بئر ابن هرماس
مقنا
دومة الجندل
تبوك
المويلح
النفود
الأخضر
ضبا
تيماء
الوجه
الجنينة
مدائن صالح (الحجر)
العلا
شمال
أملج
المدينة المنورة
ينبع
منطقة تبوك

ويتخال هذه الجبال مجموعة من الأودية منها وادي عفال، ووادي داما، ووادي الحمض وهي تصب في البحر الأحمر، وهناك بعض الأودية تصب في الداخل منها الوادي الأخضر**(1)**.

ومن الجبال التي تحيط بتبوك شرورى وهو أكبر جبال تبوك، وجبال ضـفير التي تمر إلى الشرق من تبوك، وجبال عاجات الواقعة شمال تبوك، وجبال حـسمى وأكبرها جبل اللوز، وكانت هذه الجبال مساكن لقبيلة جذام**(2)**.

ج ـ هضبة حسمى

وتقع إلى الشرق من سلسلة جبال الحجاز، وهي هضبة رملية ترتفـع مـابين 800 ـ 1000م عن سطح البحر، وتتخللها تكوينات جبلية من الصخور الرملية**(3)**، وتجري فيها بعض الأودية منها الوادي الأخضر ووادي دبل، وفـي غـرب هـذه الهضبة تقع مدينة تبوك**(4)**.

د ـ الهضبة الداخلية والأحواض

وهي منطقة واسعة يتفاوت ارتفاعها مابين 1000 ـ 1100 متر فوق مستوى سطح البحر، وتتكون من عدد من الحرات والأحواض، فمن الحرات:

الحرة والعويرض والرحا، والحرات عبارة عن مصهورات اللافا البركانيـة التـي اندفعت إلى سطح الأرض من خلال شقوق وفجوات في طبقات القشرة الأرضية**(5)**، أما الأحواض فهي منطقة ذات ترسبات طينية ورملية، ومنها مناطق واسعة تـصلح للزراعة إذا توفرت لها المياه الكافية وأهمها حوض تبوك**(6)**.

---

(1) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص123، الحميدي، تبوك، ص35.

(2) الحميدي، تبوك، ص42.

(3) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص 258ـ 259 ، الحميدي، تبوك ص36.

(4) سيف، جغرافية العربية السعودية، ص 52.

(5) ن . م ، ص 52.

(6) الحميدي، تبوك، ص 36.

هـ - الأودية

تتوفر المياه في منطقة تبوك بوجود المياه الجوفية التي كانت تتدفق بسهولة لقربها من السطح وتظهر على شكل عيون ثم تجري في الجداول مما جعلها تصلح لأن تظهر فيها المعالم الزراعية والسكنية ولأن تقيم فيها الكثير من القبائل العربية .

كما توجد الأودية الكثيرة كالوادي الأخضر الذي كان يتدفق إلى الشرق من تبوك، ووادي أثانة الذي كانت تصب فيه أودية الرقراق والقصة وسدير ورشدان وغيرها، ووادي الأثل الذي تغذيه أودية الغضا والوبري ووادي النعام، ثم يتدفق في وادي أبو نشيفة شرق تبوك بين تبوك والوادي الأخضر.

والى الغرب من تبوك توجد أودية العويند وقنا والهدرة وتلتقي مع وادي البقار لتصب في السهول الزراعية، هذا بالإضافة إلى أودية حِسمي التي تتصل بوادي ضم في شمال غرب تبوك، وحول هذه الأودية كانت تنتشر أشجار النخيل وأشجار الدوم والطلح**(1)** البرية وتنمو الأعشاب بين هذه الأشجار لتكون مراعي للماشية وبالتالي فإنها تجتذب القبائل لتقيم فيها لتوفر الماء والمرعى لأغنامهم ودوابهم**(2)**.

وفيما يلي أهم الأودية في منطقة تبوك:

1- وادي المعظم: ويتكون من مجموعة أودية تصب في مكان يعرف بقاع المعظم على بعد 130كم جنوب تبوك، وقد استخدم لتوفير المياه للحجاج في مواسم الحج**(3)**.

2- الوادي الأخضر : وهو من أكبر أودية تبوك، ويأخذ من حرة الرهاة، وتندفع به كميات كبيرة من المياه تنتهي إلى شرورى شمال تبوك**(4)**.

---

(1) الطلح يشبه الأثل , وهو نبات ينتشر في الأودية ويشبه الغابات في بعض المناطق (انظر الحميدي, تبوك عبر أطوار التاريخ , ص 122).

(2) الحميدي, تبوك عبر أطوار التاريخ , ص 120

(3) الحميدي, تبوك عبر أطوار التاريخ، ص 36.

(4) ن. م، ص 40.

3- وادي البقار: ويمر بحرتي الرها والعويند، ويمر إلى الغرب من تبوك(1)، ثـم يمر بجبلي طيء(2).

4- وادي ضم: ويأخذ معظم سيوله من سراة حسمى الواقعة غرب تبوك.

5- وادي الأثيل: ويأخذ مياهه من حرة السليطية، وهي الحرة المشرفة على تبـوك من الجنوب.

6- وادي أبي عجيجات : ويسيل من السفوح الشمالية لحرة السليطية ويمر غـرب تبوك، وعليه مجموعة من العيون(3).

3.1 منـاخ تبـوك

يعتبر مناخ تبوك مناخ صحرأوي جاف شديد الحرارة صيفاً، وبارد شـديد البرودة في فصل الشتاء(4)، وتسقط أمطارها في فصل الشتاء، لكن أمطارها قليلـة غير منتظمة السقوط، ويتراوح متوسط المطر السنوي لتبوك مابين(50 ـ 200ملم) وغالباً ما تكون أمطارها على شكل عواصف شديدة قصيرة الأجل، وهذا يـؤدي إلى سرعة جريان الماء وإحداث السيول الجارفة المخربة، وتتأثر تبوك بأعاصـير البحر المتوسط الشتوية.

ويصلح الكثير من أراضي تبوك للزراعة إذا توفرت لها المياه، والمياه كثيـرة في تبوك من باطن الأرض، ومياهها قريبة من السطح لذلك يسهل الحصول عليها واستثمارها للأغراض الزراعية.

---

(1) الحميدي، تبوك عبر أطوار التاريخ، ص41.

(2) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص 470.

(3) الحميدي، تبوك، ص41.

(4) القثامي، شمال الحجاز، ج1،ص107، الهرفي، تبوك، ص14.

4.1 البلدان التابعة لتبوك

تشكل تبوك المنطقة الشمالية من شبه الجزيرة العربية وتعتبر مدينـة تبـوك مركز هذه المنطقة, وهي تضم البلدان الواقعة إلى الجنوب والشرق والشمال والغرب من مدينة تبوك, ويمكن تقسيمها على الوجه التالي:-

أ - البلدان الواقعة إلى الجنوب من تبوك

1- الأخضـــر

هو موقع على طريق الحاج الشامي ويوجد بين تبوك ووادي القرى**(1)**, وكان يطلق عليه أيضاً اسم: (الأخيضر), وهو أحد المنازل التي نزل بها النبي صـلى ا عليه وسلم في غزوة تبوك**(2)** وبنى فيها مسجداً**(3)** بعد أربع مراحل من تبوك**(4)**.

2ـ أمـلج

وهي مدينة ساحلية تقع بين الوجه وينبع على البحر الاحمـر وعلـى بعـد 225كم من المدينة المنورة, تتميز بخصوبة أراضيها حيث تـزرع فيهـا أشـجار النخيل**(5)**, ولم يرد لها ذكر في معجم البلدان رغم أنها كانت موجودة في العـصور الوسطى, وأرسل إليها أرناط**(6)** أمير الكرك الصليبي جيشاً عندما أقدم على غـزو الحجاز وهو يتولى إمارة الكرك الصليبية سنة 578هـ/1183م.

---

(1) ياقوت الحموي, معجم البلدأن, ج1, ص123.

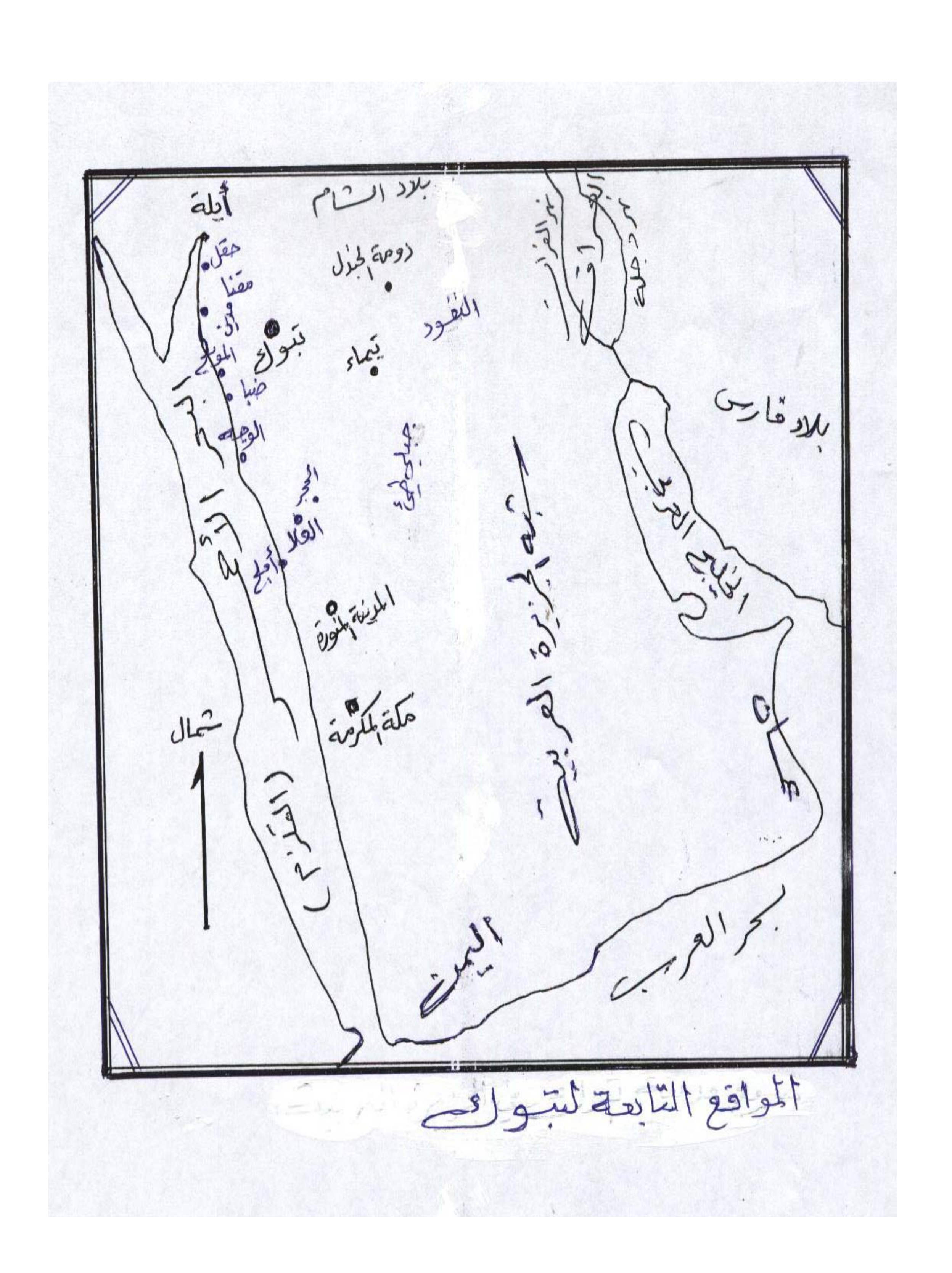
(2) ابن هشام, عبد الملك (ت213هـ/ 828م), الـسيرة النبويـة, دار الجيـل, بيـروت, ج5, ص210 ، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1،ص123.

(3) ابن هشام, السيرة النبوية, ج5, ص213.

(4) السمهودي, وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى, دار الكتـب العلميـة, بيـروت 1984م, ج3, ص1029.

(5) الدباغ, مصطفى مراد، جزيرة العرب, بيروت 1963م, ج1, ص48.

(6) هو القائد الصليبي رينالد دي شاتيلون ورد ذكره في كتب التاريخ الإسلامي باسم البـرنس أرناط كان، يعتدي على قوافل الحج والتجارة, وأسره صلاح الدين الأيوبي في معركـة حطين وقتله (أنظر ابن الأثير, (ت 630هـ/ 1233م), الكامل في التـاريخ, دار صـادر بيروت 1978م, ج9, ص178).



المواقع التابعة لتبوك

3ـ الحجر(مدائن صالح)

هي ديار ثمود بوادي القرى بين المدينة والشام**(1)**, وورد ذكرها فـي شـعر جميل بثينة بقوله**(2)**:

ويوم وردنا الحجر يا بثين عـادني ... اك الشوق حتى كدت باسمك ُأفصِـح

ورد ذكرها عند الشريف إلادريسي فقال عنها: "والحجر من وادي القرى على مرحلة, وهو حصن نظيف الحال بين الجبال, وبها كانت ديار ثمـود وبهـا بيـوت منحوتة في الصخر, وأهل الحجر وتلك النواحي يسمونها الاثالب, ويحيط بـالحجر من كل ناحية جبال ورمال ولا يكاد أحد يرتقي إلى ذراها إلا بعد جهد ومشقة"**(3)**.

ومر النبي صلى ا عليه وسلم بهذه المدينة في حملته على تبوك سنة 9هـ ـ / 631م ودعا أصحابه ألا يشربوا من مائها وألا يتوضئوا منه للصلاة**(4)**, وذكرهـا ياقوت الحموي في معجم البلدان وقال بأن فيها بئر ثمود قوم صالح عليـه الـصلاة والسلام, وورد ذكرهم مقترنين بناقة صالح, قال تعالى: (قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم)**(5)**.

وورد اسم مدينة الحجر في القرآن الكريم بقوله تعالى:(ولقد كذب أصـحاب الحجر المرسلين)**(6)**, كما ورد اسم الحجر في شعر جميل بن معمر (جميل بثينة) إذ يقول**(7)**:

أقول لداعي الحب والحجر بيننا ... ووادي القرى لبيك لما دعانيا

فما أحدث الناي المفرق بيننا ... سلواً ولا طول اجتماع تقاليا

---

(1) البكري, معجم ما استعجم, ج2, ص426, ياقوت الحموي, معجم البلدأن, ج2, ص221.

(2) جميل بثينة، شرح ديوان جميل، ص 42.

(3) الإدريسي, نزهة المشتاق, ج1, ص351.

(4) البكري, معجم ما استعجم, ج2, ص426.

(5) سورة الشعراء, الآية, 155.

(6) سورة الحجر, الآية80.

(7) ياقوت الحموي, معجم البلدأن, ج2, ص221.

وربما نسبت الحجر إلى النبي صالح عليه السلام فسميت مدائن صالح, وهـو النبي الذي أرسله ا إلى ثمود, قال تعإلى: (وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال يـا قـوم اعبدوا ا ما لكم من إله غيره, قد جاءتكم بينة من ربكم, هذه ناقـة ا لكـم آيـة فذروها تأكل في أرض ا ولا تمسوها بسوءٍ فيأخذكم عذاب أليم)**(1)**.

4ـ شـغب

بلد بين تيماء والمدينة المنورة, وكانت ديار لقبيلة بلي**(2)**, وغالباً كانت تقترن شغب مع بدا, وظهر ذلك في أقوال الشعراء, كما في شعر كثير وجميـل**(3)** بثينـة, فيقول **كثير**:

وأنت التي أحببت شغباً إلى بدا — إلي وأوطـاني بلاد سواهما

حللت بهـذا حـلة ثم حلة — بهذا فطاب الواديان كلاهما

وقال **جميل بثينة:**

ألا قد أرى بثينة ترتجى — بوادي بداً فلا بحسمي ولا شغب

ولا ببراق قد تيممت فاعترف — لما أنت لاقٍ أو تنكب عن الركب

وذكر ياقوت أن شغب ضيعة خاف وادي القرى, وهي بلد الزهـري وفيهـا قبره**(4)**, وينسب إليها زكريا بن موسى الشعبي مولى الزهري**(5)**, ويقال بأن شـغب واد صغير توجد به بئر قليلة المياه, كما كانت ميناء تنتقل منه القبائل إلـى مـصر وسيناء**(6)**.

---

(1) سورة الأعراف, الآية 73.

(2) الهمذاني, صفة جزيرة العرب, ص285.

(3) أنظر العطوي, تبوك, ص32.

(4) البكري, معجم ما استعجم, ج3, ص803, ياقوت الحموي, معجم البلدأن, ج3, ص352.

(5) ياقوت الحموي, معجم البلدأن, ج3, ص352.

(6) الحميدي, تبـوك, ص81.

5- القـليبة

محطة على الطريق بين تبوك وتيماء, وهي المحطة الوحيدة بـين المـدينتين, وكانت تجتمع فيها القبائل المنتشرة في المنطقة خاصةً عشائر بني عطيه(1), وأصل تسميتها لأنها كانت في الاصل بئراً تـستقي منهـا البـوادي والأعـراب وقوافـل الحجاج(2).

ب- البلدان الواقعة إلى الشرق من تبوك

1ـ البديعة

وتقع إلى الشمال من تبوك وهي إحدى القرى الموجودة في منطقـة حـسمى، وتبعد عن تبوك حوالي 80كم، وتكثر فيها المياة لذلك اشتهرت بزراعة النخيل(3).

2ـ تيمـاء

وهي مدينة شمال الحجاز على طريق الحاج الشامي بين الشام ووادي القرى, وهي إحدى مدن منطقة تبوك, حيث تبعد عنها 264كم, إلى الجنوب(4), وأقدم ذكـر لمدينة تيماء يعود إلى عهد المـلك إلاشـوري تقـلات بيلاصـر الثالـث (745-727ق.م), وذلك في نص يتحدث عن سبع مدن وقبائل أجبرت على دفـع الإتـاوة لملك آشور, وكانت الإتـاوة من العطور والجمال والمعادن الثمينـة(5), ويبـدو أن تيماء كانت ضمن المناطق التي خضعت للحكم الآشوري, فأغار عليهـا سـرجون الثاني, وآشور بانيبال, وتم إخضاع مدينة تيمـاء لحكم ملك بابل نيبونيـد (555-539ق.م), وأقام فيها فترة من الوقت(6), حيث بدأ بإرسال وفوده منها إلى ملـوك البلاد المجاورة خاصة إلى مصر.

----

(1) الحميدي، تبوك, ص112.

(2) ن . م , ص67.

(3) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص359، العطوي، تبوك ص32.

(4) التيمائي, محمد أحمد، السمير هذه بلادنا (تيماء), الرئاسة العامة لرعاية الشباب, ص15.

(5) رشيد، صبحي أنور، دراسة تحليلية للتأثير البابلي في آثار تيماء/ مجلة سومر, العـدد 29 ص113, التيمائي، السمير هذه بلادنا (تيماء), ص35.

(6) رشيد، آثار تيماء، ص114.

وورد ذكر المدينة عند جغرافيي المسلمين, فقال عنها البكري: (تيماء مدينة لها سـور وعلى شاطئ بحر طولـه فرسخ(1), وبها بحيرة يقال لها العقيرة, ونهر يقال له فيحـاء, وهي كثيرة النخيل والتين والعنب, وفيها أناس كثير من بني جوين مـن طيء, وبني عمرو وغيرهم, وتخـرج من تيماء إلى الشام على حـوران والبثينـة وحسمى)(2).

وذكر الادريسي بأنها: (حصن عامر وبنية أزلية وهو أعمر من تبوك وبينهما أربع مراحل, وبين تيماء وأول الشام ثلاثة أيام, وبتيماء مياه ونخيل ومنـه تمتـار البادية وبه تجارات قلائل)(3).

أما ياقوت الحموي, فقال: (تيماء بالفتح: بلد في أطراف الشام بين الشام ووادي القرى على طريق حاج الشام ودمشق, والأبلق الفرد حصن السموأل بـين عاديـاء اليهودي مشرف عليها, فلذلك كان يقال لها: تيماء اليهودي)(4), قال الأعشى فيها:-

ولا عادياً لم يمنع الموت ماله .... وورد بتيماء اليهودي أبلق

وتقع تيماء في منطقة منخفضة تحيط بها المرتفعـات مـن جميـع الجهـات وأراضيها صالحة للزراعة(5), وتشتهر بزراعة النخيل والعنب والرمان(6), وكانت محطة هامة من محطات التجارة على الطريق ما بين الشام والحجاز.

----

(1) الفرسخ، وحدة لقياس الطول تعادل ثلاثة أميال أي ما يعـادل 6كيلـومتر(انظـر يـاقوت الحموي، معجم البلدان،ج1،ص36، هنتس، فالتر، المكاييـل والأوزان الإسـلامية ومـا يعادلها في النظام المتري، ترجمة كامل العسلي، عمان 1970م، ص94).

(2) البكري, معجم البلدان ما استعجم, ج1, ص330 .

(3) الإدريسي، نزهة المشتاق, ج1, ص352.

(4) ياقوت الحموي، معجم البلدان, ج2, ص67.

(5) القثامي، شمال الحجاز, ج1, ص115.,

(6) البلادي، عاتق غيث، رحلات في بلاد العرب, ص32, مسعد العطوي, تبوك, ص24, وليد الحميدي, تبوك, ص49.

ويوجد في تيماء القصر الأبلق المشهور, وفيها ماء عين غزيرة, وقد تغنى بها الشعراء فذكروها في أشعارهم, حيث ورد ذكرها في شعر امرئ القيس وعبيد ابـن الأبرص والنابغة الذبياني والسموأل, فيذكر قصرها الأبلق وهو حصن السموأل بناه أبوه, فيقول السموأل**(1)**:

إذا المرء لم يدنس من اللوم عرضه	فكل رداءٍ يـرتديه جميـل
وإن هو لم يحمل على النفس ضميها	فليس إلى حسن الثنـاء سبيل
تعيـرنـا أنّـا قليل عديـدنا	فقلت لهـا إن الكرام قليـل
وما قل من كانت بقاياه مثلنا	شباب تسامى للعلى وكهـول
وما ضرنا أنا قليـل وجارنا	عزيز وجـار الأكثرين ذليل
لنـا جبل يحتله من نجيـره	منيع يرد الصرف وهو كليل
رسا أصله تحت الثرى وسما به	إلى النجم فرع لا ينال طويل
هو الأبلق الفرد الذي شاع ذكره	يعز على من رامه ويطـول

ويقع القصر الأبلق على رابية في الجنوب الغربي من تيماء وهـو معـروف ومشهور عندهم, وزعم بعض الأقدمين أنه من بناء النبي سليمان عليه السلام, قـال الأعشى**(2)**:

ولا عادياً لم يمنع الموت ما له	وورد بتيماء اليهودي أبلق
بنـاه سليمان بن داوود حقبـة	لـه أزج عـالٍ وطي موثـق

وكانت تيماء في العصر الإسلامي خط الدفاع الأول ونقطة إمداد لجيوش الفتح المتجهة إلى بلاد الشام, فقد رابط بها خالد بن سعيد بن العاص بأمرٍ من الخليفة أبي بكر الصديق لإمداد جيوش الشام عند الحاجة**(3)**.

---

(1) الحميدي، تبوك، ص 56.

(2) الحميدي، تبوك قديماً وحديثاً، ص 50.

(3) الطبري، محمد بن جرير، الرسل ولملوك، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة 1979م،ج3، ص388.

3- دومة الجندل

وهي من القرى الحصينة في شمال الجزيرة العربية بين الـشام والمدينـة المنورة بالقرب من جبلي طيء وكانت تسكنها قبائل كنانة بن كلب**(1)**، ثم حكمها في عهد النبي صلى ا عليه وسلم أكيدر بن عبد الملك الكنـدي وكـان نـصرانياً**(2)** وتربطه بالروم علاقات ود حميمة فهو من أكبر أعوانهم في الجزيرة العربية .

وسميت بدوم أو بدومان بن إسماعيل الذي خرج من تهامة إلى مكـان دومـة فبنى حصناً ونسب إليه، وقيل سميت دومة الجندل لأن حصنها مبني بالجندل**(3)** .

4- القريـات

ويذكر ياقوت الحموي أنها تصغير قرية وهي من منازل طيء وتشمل دومـة وسكاكه والقارة**(4)**: ويقول حمود القثامي : بأنها كانت تعرف بقريات الملح وهـي عاصمة وادي السرحان، وتقع في منطقة منخفضة تتكاثر فيها أكوام الملح وتتوفر فيها المياة الجوفية وتوزع بها انواع الخضرة والفواكة**(5)**.

ج- البلدان الواقعة إلى الشمال من تبوك وتشمل

1ـ بئر ابن هرماس

قرية تقع شمال تبوك وترتفع عن سطح البحر 770 متراً، وكانت المـدخل البري بين المملكة العربية السعودية والمملكة الأردنية الهاشمية قبـل بنـاء حالـة عمـار**(6)**.

---

(1) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص487.

(2) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج2، ص166، الطبري، الرسل والملوك، ج3، ص108، ابـن الأثير، الكامل في التاريخ، ج2، ص192.

(3) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص 487.

(4) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص335.

(5) القثامي، شمال الحجاز، ج1،ص 263 – 264.

(6) الحميدي، تبوك، ص 88.

2ـ البـدع (مدين)

وهي بلدة تقع على جانبي وادي عفال**(1)** بالقرب من آثار مدين وكانـت مقراً لبني شعيب عليه السلام، وتعتبر إحدى المراكز على طريق الحاج المصري التي تمر ببر مدين**(2)**.

والبدع هي التسمية الحديثة لمدين**(3)** التي تعتبر من أهم المدن الواقعة إلـى الشمال الغربي من تبوك وقريباً من ساحل البحر الأحمر، واسم البدع مـأخوذ مـن إبداع بن مدين بن إبراهيم عليه السلام، وتوجد بها مغائر شعيب أو مدائن شعيب.

ويذكر الإدريسي أن مدين مدينة على بحر القلزم، وهي أكبر من تبوك وبهـا البئر الذي استقي منه موسى عليه السلام لسائمة شعيب، ويقال بانها بئـر معطلـة، ومدين هو اسم القبيلة التي منها شعيب وبها سميت المدينة**(4)**، قال تعالى : (وإلـى مدين أخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا ا ما لكم من إلهٍ غيره قد جاءتكم بينـة مـن ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولاتفسدوا في الأرض بعـد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين) **(5)**.

ومدين هي المدينة التي هرب إليها موسى عليه السلام بعـد ان قتـل الرجـل القبطي**(6)**، قال تعالى : (فخرج منها خائفاً يترقب قـال رب نجنـي مـن القـوم الظالمين .

---

(1) هو من أشهر الأودية في شمال الحجاز (انظر الحميدي ، تبوك ص104).

(2) انظر الجزيري، درر الفوائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، المطبعـة السلفية، القاهـرة 1384هـ ، ص162، مسعد العطوي، تبوك ص22ـ 23.

(3) القثامي ، معجم المواضع والقبائل والحكومات، ص21، السلمي، محمد سـليمان الطيـب، موسوعة القبائل العربية، دار الفكر، القاهرة، ج1، ص157.

(4) الإدريسي : نزهة المشتاق، ج1، ص350 – 351، ياقوت الحموي : معجم البلـدان، ج5، ص770 .

(5) سورة الاعراف، الآية 85.

(6) ابن كثير: البداية والنهاية، دار الفكر، بيروت 1992م، ج1، ص282.

ولما توجة تلقاء مدين قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل ولما ورد ماء مـدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم أمرأتين تذودان قال ما خطبكمـا، قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير)**(1)**. وكان القوم إذا انتهوا مـن السقيا وضعوا صخرة كبيرة على باب البئر، فأتى موسى فرفعها وحده وكانت كبيرة ضخمة، وبعد أن استسقى لهما الماء عاد ووضع الحجر على مكانه**(2)**.

وعند ياقوت ان مدين على بحر القلزم ومحاذية لتبوك على بعد ست مراحـل منها، وسميت مدين بن ابراهيم عليه السلام**(3)**، وكانت منازل لجذام بن عـدي بـن الحارث بن أدد بن زيد من كهلان، ومنهم نبي ا شعيب عليه الـسلام**(4)**، وبعـد ظهور الإسلام بعث النبي عليه الصلاة والسلام حملة إلى مدين أمر عليها زيد بـن حارثة، فأصاب منهم غنائم وسبايا أخذها من أهل مقنا القريبة من البدع.

3- شـروري

هو جبل مشهور ورد ذكره في معجم ياقوت الحموي**(5)** يمكن مشاهدته مـن تبوك، ويقال بأن الرسول صلى ا عليه وسلم وصل إليه في غزوة تبوك وأذن بلال على قمة هذا الجبل ويقال بأن فيه مكان يعرف بمنبر رسول ا صـلى ا عليـه وسلم**(6)**.

4- ذات الحاج

بلد إلى الشمال الغربي من تبوك وعلى بعد 80كم بالقر ب من بئر ابن هرماس ورد ذكرها في شعر جميل بثينة حيث يقول(7) :

---

(1) سورة القصص : الايات 21 ـ 23.

(2) ياقوت : معجم البلدان، ج5، ص77.

(3) البكري : معجم ما استعجم، ج4، ص1201.

(4) انظر ياقـوت الحمـوي، معجم البـلـدان، ج1، ص359.

(5) ياقوت الحموي : معجم البلدان، ج2، ص258.

(6) الحميدي : تبوك، ص 99.

(7) جميل بثينة، شرح ديوان جميل بثينة، ص 40 ـ 44، وانظر الحميدي، تبوك، ص98.

سلوا الواجدين المخبرين عن الهوى	وذو البث أحـياناً يـبوح فيصرح
ويـوم وردنا الحجر يا بثـين عادني	لك الشوق حتى كدت باسمك أفصح
ولـيلة بـتـنا بـالجـنيـنة هاجني	سنا بارق من نحو أرضـك يلمـح
ولـيلة بـتنا ذات حـاج ذكرتـكم	هدوا وقـد نـام الخلي الـمصحـح
ويـوم معان قال لي فعصيتـه	أفِـق عن بثيـن الكـاشح المتنصح
ويـوم نـزلنا بالجبال عشيـة	وقـد حبِسَت فيـها الشـراة وأذرح

وكانت ذات حاج محطة من المحطات القديمة للحجاج، ثم قل الاهتمـام بهـذه البلدة في العصر الحديث بعد أن نقل مقر الحدود منها إلى بئر ابن هرماس ثم إلـى حالة عمار(1) فهجرت ولم يعد لها أهمية تذكر .

5 ـ ضبـا

وذكرها ياقوت بلفظ (ضبة)، وقال بأنها قرية بتهامة على ساحل البحـر الأحمر من جهة الشام، وهي قريبة من قرية بدا(2)، وورد ذكرها عند الإدريسي بلفظ (ضبا)(3)، وهي بلد ذات مياة كثيرة(4)، فذكر ياقوت ان فيها نهـر جـار، وكذلك ذكرها مسعد العطوي بأنها مرفأ إسلامي آمن وتقـع علـى الطريـق الساحلي لحجاج مصر(5).

وحسبما يرد عند ياقوت فإن مدينة ضبة هي مدينة النبـي يعقـوب عليـه السلام(6)، حيث كان يقيم فيها هو وأبناؤه، وقصة يوسف مع إخوته قصة مـشهورة ورد ذكرها في القرآن الكريم حيث انتهى به الأمر إلى مـصر، ولمـا جمعـه ا سبحانه وتعالى بإخوته طلب منهم أن يأتوه بأبيه، وكان هو على خزائن مصر، فسار يعقوب إلى مصر من مدينة ضبة.

---

(1) الحمدي، تبوك، ص97 – 98.
(2) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص452.
(3) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج2، ص350.
(4) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج2، ص350، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص452.
(5) العطوي، تبوك، ص61.
(6) ياقوت، معجم البلدان، ج3، ص452.

6- مقنـــا

قرية بالقرب من أيلة كان أهلها من اليهود على عهد الرسول صلى ا عليـه وسلم، وبعد غزوة تبوك صالح النبي صلى ا عليه وسلم أهلها على غزولهم وربع ثمارهم**(1)**، وكتب لهم كتاباً بذلك.

7 - المويـلح

هي قرية صغيرة على ساحل البحر الأحمر وتقع إلـى الـشمال مـن مدينـة ضبا**(2)**، وكانت تعرف باسم (النبك)، واسم المويلح مشتق من الملوحة، إذ المنطقـة توجد فيها مجموعة من العيون ذات مياة مالحة او فيها ملوحة خفيفـة**(3)**، ويقـول عنها الجزيري بأنه ماء ملح ردئ لايكاد يسيغه الشارب، ومن شَربه أفرط بـه الإسهال لشدة مابه من البورقية والملح**(4)**.

والمويلح من منازل الحاج المصري القديم، وتوجد طريق توصـل مـا بـين المويلح وتبوك ثم المدينة المنورة، وكان في المدينة برج من العهد المملـوكي قـام بتشييده الشريف محمد أبو سرور المويلحي**(5)**.

د- البلدان الواقعة الى الغرب من تبوك وتشمل

1- بـــدا

ذكرها المقدسي وقال بأنها على جادة مصر وهي عامرة آهلة**(6)**, وقال البكري في معجمه بأنها موضع بين طريق مصر والشام وقال فيها كثير شعراً**(7)**:

---

(1) انظر الواقدي، المغازي، ج3، ص1032، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص178، المقريزي، إمتاع الاسماع، ج2، ص67.
(2) انظر الجزيري، درر الفوائد المنظمة في طريق الحاج ومكة المعظمه ص162.
(3) موزل، شمال الحجاز، ج1، ص149 ، 150.
(4) الجزيري، درر الفوائد المنظمه، ص162.
(5) الحميدي، تبوك، ص73،76.
(6) المقدسي, أحسن التقاسيم , ص84 .
(7) انظر البكري, معجم ما استعجم, ج1 , ص230، البغدادي، مراصد الإطلاع على أسـماء الأمكنة والبقاع، ج1، ص170.

وأنت التي حببت شغباً الى بدا .... إلي وأطاني بلاد سواهما

أما ياقوت الحموي فذكر بأنها وادٍ قرب أيله من ساحل البحر الأحمر, وقيـل بوادي القرى , وقيل بوادي عذرة بالقرب من الشام(1) , كما ذكرها جميل بثينة فـي شعره فقال(2):

ألا قـد أرى إلا بثينة ترتجى ..... بوادي بداً فلا بحسمى ولا شغب

ولا ببراق قد تيممت فاعترف ..... لما أنت لاقٍ أو تنكب عن الـركب

وبدا بلد في واد فسيح الى الغرب من وادي القرى في منتصف الطريق بـين الوجه والعلا, واسمها مشتق من اسم إحدى القبائل العربية القحطانية وهـي بدايـة سعد(3), ويبدو أن الوادي الذي أقيمت فيه هذه البلدة قد نسبت اليها فسمي وادي بـدا كما يظهر في شعر جميل بثينة .

2ـ حقـــل

هي مدينة على ساحل البحر الأحمر, وذكرها ياقوت الحموي بأنها ساحل تيماء وموقعها قريب من أيله(4) , ثم قام بتصحيح ذلك مسعد العطوي فقال بأنها موقـع في مواجهة أيله على الساحل الشرقي للبحر الأحمر وأيلة على الساحل الغربـي(5), ويذكر ياقوت الحموي أنه كان في مدينة حقل بستان لعزة صاحبة كثير الـشاعر المشهور فقال فيها(6):

سقى دمنتين لم نجد لها أهلا .... بحقل لكم ياعز قد زانتا حقلا

نجاء الثرياء كل آخر ليلة .... تجودهما جوداً وتردفه وبلا

---

(1) ياقوت الحموي, معجم البلدان, ج1, ص356 – 357 / ويجعلها الهمـداني بـين تيمـاء والمدينة المنورة(انظر الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص285). .

(2) البكري, معجم ما استعجم, ج1 ص230, يـاقـوت, معجم البلدان, ج1، ص 357 .

(3) انظر العطوي، تبوك, ص 31 – 32, الحميدي, تبوك, ص78 .

(4) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2, ص278 .

(5) العطوي, تبوك, ص28, الحميدي, تبوك, ص63 .

(6) ياقوت الحموي, معجم البلدان, ج2, ص278 .

وينسب الى حقل أحد الفقهاء الأفاضل وهو أبو عبد ا محمد بن عبد ا بـن عبد الحكم بن أعين الحقلي مولى نافع مولى عثمان بن عفان رضي ا عنه , وكان إماماً وفقيها فاضلاً توفي سنة 224هـ / 839م**(1)**, وكانت حقل ميناءاً لكل مـن مدينتي تيماء وتبوك**(2)**.

3- الخضـراء

جبل جنوب مدينة حقل **(3)** إلى الغرب من تبوك على طريق الحاج المـصري ويمر به الطريق الذي يربط مدينة حقل بمدينة تبوك والبدع, وهذه الخـضراء هـي غير الخضراء التي ذكرها ياقوت الحموي وقال بأنها موجودة في اليمن**(4)**.

4- الـرّس

ورد ذكرها في معجم ياقوت فقال بأن الرس البئر والـرس المعـدن والـرس إصلاح مـا بين القـوم , ويروى أن الرس قوم كذبـوا نبيهم ورسوه في بئر؛ أي دسوه فيها, ويقال الرس قرية باليمامة لها فلج , وروي أنهـا ديـار لطائفـة مـن ثمود**(5)**، وقيل بأن الرس ماء لبني منقذ بن أعياء من بني أسد , قال زهير**(6)**:

لمن طلل كالوحي عاف منازله ...... عفا الرس منه فالرسيس فعاقله

والرس قرية قديمة تاريخها غير معروف , لكن الرس هذه كانت قريـة لهـا حضارة ذات شأن ثم اندثرت وبقيت آثارها التي تشير الى ما كانت عليه هذه القرية الموجودة بالقرب من مدائن شعيب وأصحاب الأيكـة ومـواطن ثمـود والعمالقـة والأنباط، وتقع هذه القـرية في جنوب الطريق الرئيسي المؤدي من تبوك الى حقل

---

(1) ياقوت الحموي , معجم البلدان . ج2 , ص278 .
(2) انظر القثامي, شمال الحجاز , ج1 ,ص103 .
(3) الحميدي , تبوك ص93- 94
(4) انظر ياقوت الحموي , معجم البلدان , ج2 , ص376 .
(5) ياقوت الحموي , معجم البلدان , ج3 ,ص43 .
(6) ياقوت الحموي , معجم البلدان , ج4 ,ص44 .

والبدع ومدن وقرى الساحل في شمال غرب العربية السعودية(1). وورد ذكر هذه القـرية في القـرآن الكـريم، قال تعالى:(كذبت قبلهم قوم نـوح وأصـحاب الـرس وثمود وعـاد وفرعون وإخـوان لوط وأصحاب الأيكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحقّ وعيد)(2).

5- الـوجـه

وسميت الوجه لأنه فيها تكون مواجهة ركب الحجاج, وكانت قبل ذلـك ببلـدة الأزلام (3) , وكانت طريق الحج المصري تمر بولاية الزريب الـى الـشرق مـن المدينة الحالية .

والوجه مدينة ساحلية على الشاطيء الشرقي للبحر الأحمر وتبعد عـن ضـبا 145كم الى الجنوب, وكانت إحدى منازل الحج المصري الحجازي, ويقـال بأنهـا كانت ميناء الدولة الثمودية(4).

ويذكر الجزيري أن الوجه جفار في واد يسيح ماؤه ليلا ويشح نهاراً وأنه يرد ماءه كأنه ماء النيل والفرات, وأنه يحدث على منزله العذب تزاحم بين الحجيج(5).

وهناك مناطق أخرى تدخل ضمن منطقة تبوك منها الخريبة على ساحل البحر الأحمر وكانت ميناءاً قديماً يعود تاريخها الى ما قبل الإسلام(6), وشواق وهي قرية بها آثـار ثمودية (7) وقـريبة من شغب وتقترن بها, وظهر الحمار وهو جبل الى

---

(1) القثامي , شمال الحجاز , ج1 ,ص204 .

(2) سورة ق، الآيات 12 ـ 14.

(3) انظر كبريت, رحلة الشتاء والصيف , ص9 , عجمي, هشام محمد، قلاع الأزلام والوجـه وضبا بالمنطقة الشمالية الغربية من المملكة العربية السعودية, رسالة ماجستير / جامعة أم القرى 1986م , ص62 .

(4) العطوي ,تبوك , ص 9 .

(5) الجزيري : درر الفوائد المنظمة , ص162 .

(6) العطوي , تبوك , ص31.

(7) الحميدي , تبوك ص79، العطوي , تبوك , ص31 ,.

الجنوب من حقل وكان أحد المناطق التي يمر بها الحجاج القادمين من مصر فـي طريقهم إلى الحجاز, وحالة عمار وهي المنطقة الحدودية اليوم بين الأردن والمملكة العربية السعودية**(1).**

(1) العطوي , تبوك , ص30 – 31 .

الفصل الثاني

تاريخ تبوك قبل الاسلام

1.2 تمهيـــد

كانت مدينة تبوك معروفة قبل إلاسلام، وهي المدينة التي ذكرها موزل باسم (ثباوا)عند الحدود الشمالية الغربية لشبة الجزيرة العربية أو لبلاد العرب السعيدة كما ذكرها موزل واعتبر هذا إلاسم الذي أورده بطليموس تحريفاً للاسم تبوك أو تبوكا**(1)**.

إلا أنه وبالرغم من أن المدينة كانت معروفة إلا أن تاريخها يكاد يكون مجهولاً**(2)**، ولم يكن معروفاً على وجه الدقة، إلا أن تاريخ تبوك مشابه لتاريخ المناطق المجاورة لها كالحجر وأيلة ومدين والعلا وتيماء، وتاريخ هذه المناطق أيضاً متمم لتاريخ تبوك لأنها جمعياً كانت تشكل الأجزاء الشمالية من شبه الجزيرة العربية التي كانت تبوك مركزها، ولعل تبوك وما حولها كانت منطقة عامرة منذ أقدم العصور، وكانت مأهولة في عهد النبي موسى عليه السلام الذي كان معاصراً للنبي شعيب عليه السلام حيث وفد عليه وأقام عنده عدة سنوات، ويقال بأن أصحاب الأيكة الذين بعث ا إليهم شعيباً عليه السلام كانوا في تبوك أو في أطرافها، ولم يكن شعيب منهم وإنما كان من مدين**(3)**على بحر القلزم**(4)**، وعليه فإن تاريخ تبوك لا يرتبط بمدينة تبوك وحدها وإنما يشكل تاريخ المنطقة التي حول تبوك من المدن والقرى والمزارع والتجمعات السكانية، ومدين كانت من أشهر المدن القريبة من تبوك والتابعة لها .

---

(1) موزل، شمال الحجاز، ج1، ص 140.

(2) القثامي، شمال الحجاز، ج1، ص93، الجاسر، حمد، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، ص 249.

(3) مدين أسم القبيلة أو الجماعة التي بعث ا سبحانه إليهم شعيباً فسميت القرية التي سكنوها باسمهم(انظـر الاصطخري، المسالك والممالك، ص24، المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج1، ص346 .

(4) الاصطخري، المسالك والممالك، ص24، الادريسي، نـزهة المشتاق،ج1، ص 350 ـ 351، وانظـر المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج1، ص 345 .

ويذكر المسعودي أن أهل الشرائع اختلفوا وتنازعوا في قوم شعيب الذين استوطنوا مدين، وشعيب: هو شعيب بن نويل بن رعويل بن مر بن عنقاء بن مدين بن إبراهيم الخليل عليه السلام وكان لسانه عربياً(1) .

ويمكن التوقف عند هذه الرواية والشك في صحة انتساب مدين لإبراهيم علية السلام لأن إبراهييم علية السلام كان له اثنن من الابناء ورد ذكرهما في القرآن الكريم وهما: إسماعيل وإسحاق عليهما السلام بقوله تعالى:" الحمد الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق إن ربي لسميع الدعاء "(2) .

صحيح أن المؤرخين أوردوا روايات تشير إلى أنه كان لإبراهيم أحد عشر ولداً غير إسماعيل واسحاق هم : مدين وزمران وسوح ويقسان (يقشان) ومدن وأسبق من إمراة تزوجها بعد سارة اسمها (قنطورا)، ثم تزوج بعدها إمراة اسمها (حجون) أو حجور، فولدت له خمسة أولاد هم : كيسان وسورج وأميم ولوطـان ونافس(3)، إلا أن هذه إسرائيليات وروايات أقرب إلى الأساطير منها إلى الحقيقة وإلا لماذا لم يتحدث القرآن الكريم عن هؤلاء ولو بإشارة بسيطة أو لأحدهم على الأقل، هذا فضلاً من أن ا رزقه إسماعيل وإسحاق في فترة متأخرة من العمر لم يكن ينتظر معها أن يأتيه ولد، وهذا ما ورد في القرآن الكريم بقوله تعالى: "الحمد الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق ..... "، وربما كان هؤلاء هم أبناء بعض الرجال الذين آمنوا بدعوة إبراهيم عليه السلام(4)، فذكرهم الرواة مع مرور الوقت على أنهم أولاد إبراهيم .

---

(1) المسعودي، مروج الذهب، ج2، ص 158 .

(2) سورة إبراهيم، الآيه 39 .

(3) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج1، ص311، ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل (ت774 هـ /1372م)، قصص الأنبياء، دارعمربن الخطاب، القاهرة1981م، ص191.

(4) انظر ابن الأثير، علي بن محمد(ت 630هـ/1233م)، الكامل في التاريخ، دار الفكـر، بيـروت 1978م، ج1، ص 88).

وهناك من يرى أن قوم شعيب من العرب الداثرة والأمم البائدة، وهناك من يرى أنهم من ولد المحض بن جندك بن يعصب بن مدين بن إبراهيم وأن شعيباً أخوهم في النسب وكانوا عدة ملوك تفرقوا في ممالك متصلة ومنفصلة، فمنهم أبجد وهوز وحطي وكلمن وسعفص وقرشت وهم بذلك بنو المحض بن جندل**(1)**.

ويذكر المقريزي أن مدين أمة شعيب هم بنو مديـان بن إبراهيم عليه السلام وأمهم قنطوراء ابنة يقطان الكنعانية, وأنها ولدت له ثمانية أولاد تناسلت منهم أمم, وأن مدين على بحر القلزم بالقرب من تبوك, وهي أكبر من تبوك وفيها البئر التي استقى منها موسى لسائمة شعيب وعمل عليها بيتاً **(2)**، وذكر ما ذكرة المسعودي في الاختلاف على قوم شعيب, وأن أحرف الجمل جاءت على أسماء ملوكهم (أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت) وهي اثنان وعشرون حرفاً وكان عليها حساب الجمل.

وعند ابن الأثير أن شعيباً لم يكن من ولد إبراهيم وإنما من ولد بعض من آمن بإبراهيم وهاجر معه إلى الشام**(3)**, وربما كانت هذه الرواية هي إلاقرب إلى التصديق.

وكان أبجد ملك مكة وما يليها من الحجاز, وهوز وحطي كانا ملكين ببلاد وج (وهي الطائف وما يتصل بها من أرض نجد) وكلمن وسعفص وقرشت ملوك مدين وقيل ببلاد مصر, وكان كلمن على ملك مدين, وقيل أنه كان ملك لجميع من ذكر وأن عذاب يوم الظلـة كان في ملك كلمن, ودعاهم شعيب فكذبوه فوعدهم بعذاب يوم الظلـة, ففتح عليهم باب نار من السماء ونجا شعيب بمن آمن معه إلى الموضع المعروف بأيلة وهي غيضة بالقرب من مدين**(4)**.

---

(1) المسعودي, مروج الذهب, ج 2, ص 158.

(2) المقريزي, المواعظ والاعتبار, ج1, ص 145.

(3) ابن الاثير, الكامل في التاريخ, ج 1, ص 88.

(4) المقزيزي, المواعظ والاعتبار، ج 1, ص 345.

ويذكر ابن الجوزي (ت 597هـ ـ /1201م) أن شعيباً هو ابن عيفا بن نويب بن مدين بن إبراهيم, وبعضهم يقول: أنه ليس من ولد إبراهيم وإنما هو من ولد بعض من آمن بإبراهيم, ولكنه ابن بنت لوط عليه السلام, وأرسل إلى أمتين هما: أهل مدين وأصحاب الأيكة, وكانت مدين دار شعيب والأيكة خاف مدين **(1)**, وهذا يؤيد أن يكون أصحاب الأيكة من تبوك أو من المناطق المجاورة لها .

وذهب إلى هذا الرأي ابن إلاثير (ت 630هـ ـ/1233م) عندما قال أن اسم شعيب: يثرون بن ضيعون بن عنقا بن نابت بن مدين بن إبراهيم, وقيل أيضا هو شعيب بن ميكيل من ولد مدين, وقيل لم يكن شعيب من ولد إبراهيم وأنما هو من ولد بعض من آمن بإبراهيم وهاجر معه إلى الشام, ولكنة ابن بنت لوط، فجدة شعيب ابنة لوط عليهما السلام**(2)**.

وقال بأن ا سبحانة وتعالى أرسلة إلى أهل مدين وهم أصحاب الأيكة؛ والأيكة شجر ملتف وكانـوا أهل كفر وبخس للناس في المكاييل والموازين وإفساد أموالهم, وكـان ا عز وجل وسع عليهم في الرزق وبسط لهم في العيش مع كفرهم با **(3)** فقال شعيب (يا قوم اعبدوا ا ما لكم من إلهٍ غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان, إني أراكم بخير وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط)**(4)**, ولكنهم أعرضوا عنه ولم يستمعوا اليه .

ولما طال تماديهم ولم يزدهم دعاء شعيب لهم إلا التمادي في الغي والضلال والإعراض عنه, جاءهم أمر ا فسلط عليهم عذاب يوم الظله جزاء كفرهم, وبعث ا سبحانة وتعالى عليهم حراً شديداً فلم يطيقوه, وخرجوا من البيوت هربـاً إلى

----

(1) ابن الجوزي, المنتظم في تاريخ الملوك والامم , تحقيـق سـهيل زكـار, دار الفكـر، بيـروت 1995م، ج1 , ص 209

(2) ابن الاثير , الكامل في التاريخ , ج 1, ص 88.

(3) ابن الجوزي، المنتظم،ج1،ص209، ابن الأثير، الكامل،ج1،ص89.

(4) سورة هود الآية 84.

البرية، فبعث ا عز وجل سحابة أظلتهم من الشمس وتنادوا حتى اجتمعوا تحتها, فأرسل ا عليهم ناراً أحرقتهم**(1)** وتعرضوا للهلاك والتدمير .

وكان لملكهم كلمن ابنة اسمها **(جارية)** فكتبت ترثى أباهـا شعراً تقول **(2)**:

كلمن هـدم ركـني .... هلكـه وسـط المحلـة

سـيد القـوم أتـاه .... الحتف نـاراً وسط ظلـة

كونت نـاراً فأضحت .... دار قـ ـ ـومي مضمحلّة

واختلفوا في إلايكة المذكورة في القرأن الكريم بقوله تعالى :

(كذب أصحاب لئيكة المرسلين)**(3)**, فقيل أن الأيكة هي مدين, وقيل هي من ساحل البحر الأحمر إلى مدين وقيل هي غيضة نحو مدين, وقيل بل أصحاب الأيكة الذين بعث إليهم شعيب بتبوك بين الحجر وأول الشام**(4)**.

ويقول البكري بأن الأيكة المذكورة بالقرآن كانت منازل قوم شعيب وأن فيها روايتان، أحدهما : أن إلايكة من مدين إلى شغب وبدا, والثانية أنها من ساحل البحر إلى مدين وكان شجرهم المقل, والأيكة عند أهل اللغة الشجر الملتف**(5)**.

ويبدو أن أصحاب الأيكة كانوا بتبوك أو قريباً منها, فابن الجوزي يذكر أن الأيكة كانت خاف مدين**(6)**.

----

(1) ابن الأثير، الكامل،ج1، ص89.

(2) وقيل بأن المرأة التي قامت برثاء كلمن هي اخته حالفة (أنظر المسعودي، مروج الـذهب، ج2، ص159، ابن الجوزي، المنتظم،ج1،ص210، ابن الأثير، الكامل في التـاريخ،ج1، ص89، المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج1،ص346).

(3) سورة الشعراء الآيه 176

(4) المقريزي ، المواعظ والاعتبار ج1 ، ص 364 .

(5) البكـري، معجـم مـا استعجـم ،ج1، ص 215-216، ابن الأثيـر، الكـامـ ـل،ج1، ص89.

(6) ابن الجوزي ، المنتظم ، ج1 ، ص 209 .

2.2 بني لحيــان

استوطنت تبوك وما حولها من الحجر والعلا إلى حدود بـلاد الـشام ممالـك عربية قديمة منها ديدان ولحيان, وكان هؤلاء العرب من بـين الجماعـات التـي اعتمدت في حياتها على التجارة(1), فقد كانت البلاد التي أقاموا فيها معبراً لقوافـل التجارة ما بين الشمال والجنوب, كما كانت على طريق القوافل القادمة من مصر عبر سيناء والمتجهه إلى مكة أو إلى جنوب الجزيرة العربية .

وكان بنو لحيان سكان المناطق الواقعة في شمال وادي القرى خاصة مناطق الحجر والعلا وتيماء حيث نشأت فيها دولة لحيانية إلا أنها لم تستمر إلا فترة قصيرة لتحل محلها دولة بني ثمود(2).

ورغم أن دولة بني لحيان لم تعمر طويلاً إلا أن هناك الكثير من المدن التي عثر فيها على آثار لحيانية خاصة من النقوش المكتوبة بلغتهم, فقد عثر المنقبون في مدينة العذيب إلى الشمال من العلا على ما يزيد عن أربعين نقشاً لحيانياً, تبين أن أحدها كان يحمل اسم الملك(سلحن)(3), وهو أحد ملوك بني لحيان, ثم تفرقت الجماعات اللحيانية واندمجت مع قبائل أخرى فهاجر بعضها إلى بلاد العراق واستقر في منطقة الحيرة(4).

3.2 الثمـوديـون

ورد اسم ثمود في المصادر العربية مقترناً باسم عاد رغم أن المعلومات التاريخية عن المجموعتيـن قليلـة جداً, كما ورد اسم ثمـود فـي القرآن الكريـم مقترنا

---

(1) الفاسي, هتون أجواد، الحياة الاجتماعية في شمال غـرب الجزيـرة العربيـة, الريـاض 1993م، ص 72-73.

(2) فروخ, عمر، تاريخ الجاهلية, ص47, علي, جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ج3, ص 426- 429.

(3) هتون, الحياة الاجتماعية , ص 78.

(4) علي, المفصل, ج 3, ص 254-255, هتون, الحياة الاجتماعية, ص 78.

باسم عـاد وبأسماء قبائـل أخـرى من أهـل العـذاب مثـل : قـوم نـوح وأصحاب الـرس(1) وغيرهم، قـال تعالى:(وعـاداً وثمـوداً وأصحاب الـرس وقـروناً بين ذلك كثيرا)(2), وفي سورة ص:(وثمود وقـوم لـوط وأصـحاب لئيكة أولئك الأحـزاب)(3).

وورد اسم ثمود في القرآن الكريم أيضاً منفرداً مرات عديدة, قال تعالى:(وإلى ثمود أخـاهم صالحاً قال يا قـوم اعبدوا ا مالكم من إلـه غيره, قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقـة ا لكم آية فـذروها تأكل في أرض ا ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عـذاب أليم)(4)، فثمود هم قوم النبي صالح عليه السلام استوطنوا منطقة تبوك فقيل إن عين تبوك هي ماء صالح.

وأشار صاحب البدء والتاريخ إلى أن ديار ثمود في المنطقة المعروفة بمـدائن صالح وهي المنطقة التي كانت تعرف بالحجر(5) إلى الجنوب مـن تبـوك, وهـي المنطقة التي ذكرها ابن الأثير على أنها: بين الحجاز والشام (6).

---

(1) علي, جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام , دار العلم للملايين, بيروت 1980م , ج3, ص 321- 322.

(2) سورة الفرقان , الآية38.

(3) سورة ص , الآية 13.

(4) سورة الأعراف الآية 73.

(5) المقدسي، أحمد بن سهل، البدء والتاريخ، دار صادر، بيروت1903م، ج3،ص36 ـ 37.

(6) ابن الأثير، الكامل،ج1،ص50 وما بعدها، جرجي زيدان، تاريخ العرب قبل الإسـلام، دار مكتبة الحياة، بيروت ـ لبنان،ص86، فروخ، عمر، تاريخ الجاهلية، دار العلم للملايـين، بيروت 1984م،ص47.

وقال المسعودي: أن ديارهم بفج الناقة وأن بيوتهم منحوتة بالجبال في طريق الحج للقادم من الشام بالقرب من وادي القرى شمال غرب العربية السعيدة**(1)**، ويظهر مما ورد في القرآن الكريم أن منازل ثمود كانت في أرض جبلية يغلب عليها أنها صخرية**(2)**, لقول الله تعالى: (وثمود الذين جابوا الصخر بالواد)**(3)**.

وذكر بعض المفسرين أن مساكن ثمود مشهورة فيما بين الحجاز والشام إلى وادي القرى وما حولها, وأن الرسول صلى الله عليه وسلم مر بها وهو متجه إلى تبوك في غزوة العسرة سنة 9 هـ / 631م وأراد أصحابه أن يتوقفوا بها ليشربوا من الآبار التي كانت تشرب منها ثمود فأمرهم ألاّ يفعلوا ذلك**(4)**.

وحدد جواد علي البلاد التي كان يقطنها الثموديون بعد الميلاد بأنها أعالي الحجاز في دومة الجندل والحجر وفي غرب تيماء, وأنهم كانوا يمتلكون في منتصف القرن الثاني للميلاد حرتي العوارض والأرحاء**(5)** .

وتعرضت المنطقة التي استوطنها الثموديون للغزو الآشوري فكانت ضمن البلاد التي تغلب عليها سرجون الآشوري سنة 715 ق.م في بلاد الحجاز**(6)**, غير أن وجود القبائل الثمودية استمر بعد ذلك في المنطقة, ووجددت الكثير من النقوش والكتابات الثمودية في مناطق العلا وتبوك وتيماء ومدائن صالح في شمال الحجاز وجنوب المملكة الأردنية الهاشمية اليوم**(7)** .

---

(1) المسعودي، مروج الذهب، ج2، ص44، علي، المفصل، ج1،ص325.

(2) علي , المفصل في تاريخ العرب, ج 1 , ص323.

(3) سورة الفجر، الآية 9.

(4) ابن كثير, تفسير القرآن العظيم, دار الحديث, القاهره 1988م، ج 2, ص 217- 219.

(5) علي, المفصل في تاريخ العرب, ج 1, ص326.

(6) زيدان, جرجي، العرب قبل الإسلام, ص 87.

(7) علي, المفصل في تاريخ العرب , ج 1 , ص 328- 329.

وكان أقدم نص ورد فيه ذكر لقبيلة ثمود هو نقش الملك سرجون الآشوري الذي يعود إلى القرن الثامن قبل الميلاد, فأشار النقش إلى أن ثمود خضعت لحكم سرجون, وكانت قبل ذلك تتمتع بكيان مستقل**(1)**.

قدم بنو ثمود من جنوب الجزيرة العربية بسبب حروبهم مع عاد, فأقاموا شمال الجزيرة العربية**(2)**، وقيل إنما كان موطنهم الأصلي هو دومة الجندل**(3)**، واستقروا في تيماء والعلا وأقاموا دولتهم في شال الجزيرة.

4.2 آدوم وقيدار

استوطنت مجموعة من القبائل العربية قبل الميلاد في جنوب بلاد الشام وشمال الجزيرة العربية ومن هذه القبائل آدوم وقيدار، فكانت هذه القبائل تعيش متنقلة أحياناً ومستقرة أحياناً في منطقة تبوك وما حولها وهي المنطقة التي اصبحت فيما بعد ممراً لقوافل الحج الشامي, وكانت هذه القبائل تعتمد على الرعي والتجارة بالدرجة الأولى فامتدت تجارتها جنوباً حتى ديدان وتيماء في شمال الجزيرة العربية**(4)**.

وتركز استقرار الجماعات الأدومية**(5)** في جنوب الأردن, وحسبما ورد في التوراة بأنهم كانوا من نسل عيسو بن إسحاق الذي كان يحمل لقب (آدوم) لأنه كان أحمر اللون عند ولادته, وكانت بلادهم تسمى أرض سعير، وهي المنطقة الواقعة ما بين البحر الميت وخليج العقبة, إلا أن نفوذهم امتد في المناطق المجاورة جنوباً إلى شمال الجزيرة العربية وسيطروا على طريق التجارة الذي كان يعرف أنذاك

---

(1) مراد، مدائن صالح تلك الاعجوبة، ص 34 .

(2) نظر باوزير، سعيد عوض، معالم تاريخ الجزيرة العربية، مؤسسة الصبان، عدن 1966، ص32 .

(3) مردا، مدائن صالح، ص34.

(4) عباس، إحسان، تاريخ دولة الأنباط، دار الشروق، عمان 1987، ص20

(5) آدوم تعني اللون الأحمر القاتم (انظر محاسنة، محمد حسين، صفحات من تاريخ الاردن وحضارته، منشورات وزارة الثقافة، عمان – الاردن 2000م، ص 48 .

بالطريق السلطاني, وكان الأدوميون يخصصون عدداً من جنودهم لحماية الطريق حيث يصار إلى توزيعهم على المحطات الواقعة على طول الطريق**(1)**.

وكان بنو قيدار من القبائل العربية التي سيطرت لفترة من الوقت على طريق القوافل السلطاني في شمال الجزيرة العربية وجنوبي بلاد الشام.

وهناك من يعتبر بني قيدار وبني ثمود جماعة واحدة أو أن بني قيدار أحد الأحلاف الثمودية, ويتبنى إحسان عباس هذا الرأي اعتماداً على الربط بين الأسماء**(2)**، فهو يعتبر اسم قيدار وهو اسم القبيلة العربية التي استوطنت جنوب الأردن قريب من اسم الشخص الذي تذكرة كتب التاريخ وكتب التفسير على أنه عاقـر ناقة صالح وهو قـدار بن سالف بن جذع**(3)**، فاسم قدار صورة أخرى من اسم قيدار، ويفترض إحسان عباس أن تكون روايات المفسرين وضعت اسم الشخص مكان اسم القبيلة وبهذا يكون بنو قيدار هم اللذين عقـروا الناقة وهم فرع من الحلف الثمودي**(4)**.

5.2 الأنباط

ورد أول ذكر للأنباط كان في عهد الملك الآشوري آشور بانيبال في القرن السابع قبل الميلاد، وبدأ ظهورهم في الجهة الشرقية المتاخمة لمنطقة شرقي الأردن الحالية، وكانوا عرباً رحلاً يسكنون الخيام حتى القرن الرابع قبل الميلاد وعاشوا في المنطقة الواقعة على حدود آدوم من الغرب وهضبة حِسمي من الجنوب الغربي وتيماء من الجنوب والنفوذ من الشرق ووادي السرحان من الشمال الشرقي**(5)**.

----

(1) محاسنة ، صفحات من تاريخ الاردن، ص 50 .

(2) عباس، تاريخ دولة الأنباط ، ص 20-21 .

(3) المقدسي، البدء والتـاريخ، ج3، ص38، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج2، ص219 .

(4) عباس، تاريخ دولة الأنباط ، ص 21 .

(5) عباس, تاريخ دولة الأنباط, الشروق للنشر والتوزيع, عمان 1987م, ص 22-23, محاسنة, محمد، صفحات من تاريخ الأردن وحضارته ,عمان 2000, ص55 .

وبدأ ظهور دولة الأنباط على المسرح السياسي في أواخر القرن(4 ق.م) عندما هاجمهم القائـد اليوناني أنتيغونس أحد خلفاء الإسكندر فتمكنوا من الوقـوف أمام جيشه وتعرض للهزيمة، وعـرف الأنبـاط الاستقرار عندما تحركوا وأقامـوا في جنوبي الأردن وعملوا بالتجارة فقامـوا بدور الوسطاء وأقاموا علاقـات حسنة مع بطليموس الأول (322 – 283 ق . م)**(1)**.

وحفرالأنباط مدينة البتراء في الصخر منذ القرن الرابع قبل الميلاد واتخذوها عاصمة لهم واختاروا موقعها على طريق القوافل الشهير لتربط ما بين جنوبي الجزيرة العربية مركز إنتاج التوابل وبين مراكز الاستهلاك والبيع في الشمال، وكانت تسيطر على الطرق إلى مرفأ غزة على البحر المتوسط والطرق المؤدية إلى مصر ودمشق في الشمال وأيله في البحر الأحمر**(2)**.

لقد وسع الأنباط سلطتهم ومراكزهم التجارية إلى المناطق المجاورة باتجاه الشمال والجنوب وأعادوا بناء المدن الآدومية والمؤابية القديمة وأقاموا مراكز جديدة لحماية القوافل، فكانت مملكة الأنباط تضم في أقصى أتساع لها جنوبي فلسطين وشرقي الأردن وسوريا الجنوبية وشمال الجزيرة العربية**(3)**.

وهاجم القائد اليوناني أنيتغونس بلاد الأنباط بهدف الاستيلاء على مصادر الثروة وانتزاعها من أيديهم، فكلّف قائده إثنايوس سنة 312 ق.م بتوجيه ضربة للأنباط، وأعد له قوة عسكرية من سبعة الآف جندي باغت بهم الأنباط في يوم عيدهم وهم يحتفلون فغنم منهم غنائم كثيرة**(4)**، لكنهم لم يلبثوا أن ردوا عليه بسرعة

---

(1) مهران, محمد بيومي، تاريخ العرب القديم , دار المعرفة الجامعية ,الإسـكندرية 1987 م , ص 503, محاسنة , تاريخ الأردن , ص55 .

(2) انظر حتى, فيليب، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين, ترجمة جورج حداد وعبد الكريم رافق , دار الثقافة , بيروت 1983,ج1 ص418 .

(3) محاسنة , تاريخ الأردن ص58 .

(4) مهـران, تاريخ العـرب القـديم, ص 503 .

كبيرة فلحقوا به في الطريق واستعادوا منه الغنائم وهو في طريق العودة فهاجموه وهزموه هزيمة ساحقة وقتلوا وأسروا عدداً كبيراً من جنده.

ثم أعاد أنيتغونس الكرة ثانية بعد سنوات فكلف ابنه ديمتريوس وأعد له قوة عسكرية كبيرة وأمره بمهاجمة الأنباط والسيطرة على بلادهم، غير أنه تعرض للهزيمة أمام إصرار الأنباط في الدفاع عن أرضهم فخسر اليونان للمرة الثانية وتحطمت كل محاولاتهم لدخول بلاد الأنباط والسيطرة عليها**(1)**.

وعمل الأنباط مرة أخرى على التحرك شمالاً وجنوباً فشملت دولتهم شبه جزيرة سيناء في الغرب وحوران ودمشق في الشمال وحدود العراق في الشرق، كما بلغت وادي القرى ومدائن صالح (الحجر) والعلا في الجنوب**(2)**، وبهذا أصبحت منطقة تبوك والمناطق المجاورة لها ضمن دائـرة نفوذ الأنبـاط، إلا أن الغريب في الأمر هو أن مدينة تبوك لم تذكر كمدينة مهمة خلال هذه الفترة أو ضمن المراكز الحضارية لدولة الأنباط، فربما لم تكن عامـرة أو أن عدد سكانها كـان قليلاً جداً بحيث لم يكن لها من الشهرة ما جعلها مركزاً حضارياً مرموقاً.

وبقيت دولة الأنباط صاحبة السيادة والحكم في جنوب بلاد الشام وشمال الجزيرة العربية حتى القرن الأول الميلادي حيث بدأ الاجتياح الروماني لمنطقة الشرق فدخلوا سوريا، ثم دخلوا مدينة القدس أيام تيطس سنة 70م، وفي سنة 106م، وبعد أن تهيأت الظـروف المناسبة للـرومان أمر الإمبراطـور تـراجان نائبه على سـوريا (كونيليوس بالما) بالـزحف على البتراء، فأعـد حملـة عسكرية كبيرة عجز الأنباط عن ردهـا فتمكن قـائد الحملة من دخـول مدينة البتراء، وضم بـلاد العـرب التي يحكمها الأنبـاط الى الدولـة الـرومانية وأطلقوا عليها اسم: المقـاطعة العـربية Provina Arabia**(3)**.

---

(1) عباس, تاريخ دولة الأنباط, ص 31-32.

(2) محاسنة, تاريخ الأردن ص 58 .

(3) انظر حتى, تاريخ سورية، ج1, ص 424, علي, المفصل في تاريخ العرب، ج3، ص 57، محاسنة, تاريخ الأردن, ص 61 .

6.2 القبائل العربية في تبوك وشمال الجزيرة العربية

أتاحت طبيعة المنطقة في تبوك وما حولها المجال لأن تكون محط اهتمام بعض القبائل العربية القديمة وموطناً لبعضها(1) خاصةً مع وجود المياه الجوفية التي كانت تتدفق بسهولة لقربها من السطح وتظهر على شكل عيون مما جعلها تصلح لأن تظهر فيها المعالم الزراعية والسكنية ولأن تقيم فيها الكثير من القبائل العربية.

ووجود الأودية الكثيرة كالوادي الأخضر الذي كان يتدفق إلى الشرق من تبوك، ووادي أثانة الذي كانت تصب فيه أودية الرقراق، والقصة، وسدير، ورشدان، وغيرها، ووادي الأثل الذي تغذيه أودية الغضا والوبري ووادي النعام، ثم يتدفق في وادي أبو نشيفة شرق تبوك بين تبوك والوادي الأخضر.

والى الغرب من تبوك توجد أودية العويند، وقنا، والهدرة، وتلتقـي مـع وادي البقار لتصب في السهول الزراعية، هذا بالإضافة إلى أودية حِسمي التـي تتـصل بوادي ضم في شمال غرب تبوك .

وحول هذه الأودية كانت تنتشر أشجار النخيل، وأشجار الدوم، والطلح البريـة وتنمو الأعشاب بين هذه الأشجار لتكون مراعي للماشية، وبالتـالي فإنهـا تجتـذب القبائل لتقيم فيها لتوفر الماء والمرعى لأغنامهم ودوابهم(2).

لقد هيمنت القبائل العربية على منطقة تبوك وماحولها في شمال الجزيرة العربية وجنوب بلاد الشام في الفترة التي سبقت مجيء الإسلام وصارت منطقة تبوك معبراً للقبائل المهاجرة إلى بلاد الشام ومصر، ومن هذه المنطقة كانت تمر القوافل المحملة بالحبوب من القمح والشعير والحاجيات المختلفة خاصة في مواسم الجفاف.

ترجع نشأة القبائل العربية وسيطرتها على هذه المنطقة إلى ما بعد سيل العرم وخراب سد مأرب، فقد هاجرت الكثير من القبائل العربية من حضرموت واليمن، واتجهت صوب الشمال إلى مكة ويثرب، ثم شمالاً إلى تيماء وتبوك وبلاد الشام.

----

(1) العطوي, تبوك, ص 7.

(2) الحميدي, تبوك عبر أطوار التاريخ , ص 120 .

أ ـ قبـائل قضـاعة

وقضاعة جدهم سمي كذلك لانقضاعه عن قومه وهو انقطاعه هو وإخوته لأمه بنو معد بن عدنان**(1)**، وتحركت قضاعة من بلاد الشحر بحضرموت وأقامت لها ملكا بأطراف الشام**(2)**.

واختلاف النسابون في قضاعة أهي من القحطانية أم من العدنانية؟ فيرى ابن الكلبي وابن اسحاق أن قضاعة قحطانية من حمير، وهم بنو قضاعة بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير**(3)**، وعند ابن هشام أنهم عدنانية وهم بنو قضاعة بن معد بن عدنان**(4)**.

والأرجح أن قضاعة قحطانية من اليمن ، وكان قضاعة ملكاً على بلاد الشحر ثم ملكوا نجران، ولما غلبهم عليها بنو الحارث بن كعب بن الأزد ساروا إلى الحجاز ودخلوا في قبائل معد، ومن هنا جاء الخلط في أنهم قحطانية أم عدنانية**(5)**، والتواتر عند أهل اليمن أنهم قحطانية، أما جرجي زيدان فيرجح أنهم عدنانية**(6)**.

وكان اختلاط قبائل قضاعة بقبائل قحطان وقبائل عدنان هو الذي أحدث الارتباك بين أهل الأنساب، فجعلهم ينسبونها تارة إلى قحطان وأخرى إلى عدنان، هذا إضافة إلى العوامل السياسية التي يغفل عن إدراكها أهل الأخبار، ورجح جواد علي أن تكون قضاعة كتلة من القبائل التي كانت قائمة بنفسها قبل الإسلام، وأنها كانت حلفاً كبيراً ثم تجزأت فالتحق قسم منها بمعد وقسم باليمن**(7)**.

---

(1) ياقوت الحموي, المقتضب من كتاب جمهرة النسب, تحقيق ناجي حسن, الـدار العربيـة للموسوعات , بيروت 1987 م ج1 ص 308 .
(2) الحميدي, تبوك, ص 139 .
(3) القلقشندي, نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب, دار الكتاب اللبناني، بيروت 1980م, ص 400.
(4) القلقشندي، نهاية الأرب, ص 400, باشميل, محمد، العرب في الشام ص 151.
(5) ابن خلدون، العبـر, ج2 ص 247
(6) زيدان، العرب قبل الإسلام, ص 227 .
(7) علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام, ج 4 ص 420 .

وانتقلت قبائل قضاعة لتستقر في جنوبي بلاد الشام وشمالي الجزيرة العربية وشكلوا لهم دولاً، وتركز ملكهم في تبوك ودومة الجندل، كما أصبحوا ملوكاً بالشام قبل أن يؤسس الغساسنة دولتهم فيها(1)، فهم في بلاد الشام أسبق من الغساسنة.

وكان سبب نزوح قضاعة هي الحروب التي وقعت بينها وبين قبائل ربيعة بسبب فتاة من ربيعة عشقها رجل قضاعي من بني نهد(2)، فانتصرت مضر وإياد وأنمار لـ ربيعة، وانتصرت عـك لقضاعة، فدارت الدائرة على قضاعة وأُجلوا عن أماكنهم فتوجهوا إلى نجد، ويظهر ذلك في قول الشاعر عامر بن ظرب(3):

قضـاعة أجلينا عن الغور كله إلى فلجات الشام تزجي المواشيا

وما عن تقال كان إخرجنا لهم ولكن عقوقاً منهمو كان باديـا

بما قـدم النهـدي لا در دره غـداة تمنى بالحرار الأمانيـا

وانقسمت قبائل قضاعة إلى عدة بطون تفرقت في الجزيرة العربية والبحرين وبلاد الشام والعراق، وتضم هذه البطون الجماعات التالية:

1- تيم الـلات : وهاجروا إلى البحرين .

2- تزيـد بن حلـوان: وهم أبناء تزيد بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة، وقيل تزيد بن حيدان(4)، ودخل نسل تزيد في تنوخ(5)، ونزلوا عبقر من أرض الجزيرة بالعراق.

----

(1) الهمداني، الإكليل, تحقيق محمد بن علي الأكوع , دار التنوير , بيروت 1986م، ص182.

(2) بنو نهد زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحافي بن قضاعة, وكانت منازلهم باليمن وطائفة منهم بالشام (انظر القلقشندي : صبح الأعشى ج1 ص 369).

(3) زيدان ، العرب قبل الإسلام , ص 227 .

(4) القلقشندي , نهاية الأرب , ص 186 .

(5) علي , المفصل في تاريخ العرب , ج4 ,ص 421.

3- **سـليح**: وهم بطن من قضاعة، وأبناء عمرو بن حلوان بن عمران بن الحافي بن قضاعة**(1)**، ونزلوا مشارف الشام وفلسطين، وكان منهم الضجاعمة أبناء ضجعم ابن سعد بن سليح، وكان ملكهم بالشام قبل الغساسنة**(2)**.

4- **أسـلم**: وهم أربعة أفخاذ هي عذرة ونهد وحوتكة وجهينة، ونزلوا في منطقة الحجر بوادي القرى، ثم رحلوا إلى نجد**(3)**.

5- **تنـوخ:** ونزلوا البحرين ثم رحلوا إلى الحيرة في العراق، وأقامت جماعة منهم بالشام**(4)**.

6- **ربان بن حلوان**: وهم ثلاثة أفخاذ كلب والعلاف وجرم، ولحقوا بأرض الشام، ومن نسلهم جماعة صاروا من أصحاب رسول ا صلى ا عليه وسلم**(5)**.

7- **بلي وبهراء**: ونزحوا إلى بلاد اليمن فنزلوا مأرب وأقاموا بها فترة طويلة ثم تفرقوا فاستقرت قبيلة بلي في برية الحجاز من ينبع حتى أيله على البحر الأحمر**(6)**، وهي إحدى قبائل قضاعة، وتنسب إلى بلي بن عمرو بن الحاف بن قضاعة**(7)**، كما تنسب بهراء إلى بهراء بن عمرو بن الحاف بن قضاعة**(8)**، وكانت منازلهم شمالي منازل بلي من ينبع إلى عقبة أيله، ثم جاوز بحر القازم منهم خلق كثير وانتشروا ما بين الحبشة وصعيد مصر، ومنهم جمـاعة من الصحابة كالمقداد ابن الأسود**(9)**.

----

(1) القلقشندي, نهاية الأرب , ص 294.
(2) علي, المفصل في تاريخ العرب, ج4 , ص 424.
(3) القلقشندي, نهاية الأرب, ص 39, زيدان, العرب قبل الإسلام, ص 248, علي, المفصل ج4, ص 430.
(4) القلقشندي, صبح الأعشى, ج1 ص 370 .
(5) انظرالقلقشندي, صبح الأعشى, ج1, ص369, علي, المفصل,ج4, ص 424.
(6) ابن خلدون، العبر ج2,ص247, علي، المفصل, ج4 ,ص 423 .
(7) ياقوت الحموي، المقتضب, ج1ص340.
(8) ن . م, ج 1, ص 339 .
(9) القلقشندى، صبح الأعشى, ج1 ص 369.

ب ـ كلب وكنـدة

وهم من قبائل العرب اليمانية هاجروا من اليمن، وأقامت بعض هذه القبائل في مناطق متجاورة في شمال الجزيرة العربية، وأقاموا لهم ملكاً في تبوك ودومة الجندل وكانوا يتداولونه سجالاً فيما بينهم**(1)**.

وكان أهل دومة الجندل يقرأون ويكتبون، ويذكر بأن أحدهم علم أهل مكة هو بشر بن عبدالملك شقيق الأكيدر، حيث ذهب إلى الحيرة في العراق وتعلم الخط العربي من أهلها ثم أتى مكة وتزوج الصهباء بنت حرب بن أمية ورآه بعض أهل مكة يكتب فطلبوا أن يعلمهم فعلم بعضهم الهجاء والكتابة**(2)**، وفي ذلك يقول أحد الشعراء من دومة الجندل**(3)** :

فلا تجحدوا نعمـاء بشر عليكم .... فقد كـان ميمون النقية أزهـرا

أتاكـم بخط الجـزم حتى حفظتم .... من المال ما قد كان شيئاً مبعثرا

فأجمعتم الأقـلام عـوداً وبدأة .... وضاهيتم كتاب كسرى وقيصرا

وكان الناس في دومة الجندل يعبدون أصناماً مختلفة، وقبل ظهور الإسلام بوقت قصير ظهرت الديانتين النصرانية واليهودية فيها، وغلبت الديانة النصرانية على باقي الديانات **(4)** .

وتنسب كلب إلى تغلب بن حلوان وجدها كلب بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة**(5)**، أما كندة فتنسب إلى ثور بن عفير بن عدي بن الحارث بن مرة، وسمي كندة لأنه كنـدَ أبـاه، أي كفرنعمته**(6)**، وبلادهم الأولى حضرموت

----

(1) الهمداني, صفة جزيرة العرب, دار الشؤون الثقافية, بغداد 1989م،ص171، ابن خلدون, العبر, ج2, ص 521, باشميل, العرب في الشام , ص 152-153.

(2) علي، المفصل في تـاريخ العـرب، ج3، ص382، السديري، الجوف، ص18.

(3) السديري، الجوف، ص18.

(4) ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج2، ص 249.

(5) علي, المفصل, ج4,ص426.

(6) ياقوت الحموي, المقتضب ,ج1,ص258, القلقشندي, نهاية الأرب, ص 409.

ثم تحركوا وأقامـوا لهم ملكاً بالحجاز**(1)**، وهم عدة بطون منها : السكون وهم بنو السكون ابن أشرس بن كندة**(2)**، وكانـوا يتداولون الحكم مع كلب في تبوك ودومة الجندل.

وكندة هو ابن أخ لقصي ولخم وجذام وعاملة**(3)**، وقد رحلت كندة**(4)** إلى نجد وأصبحوا ملوكها ، فقد كانت بين القبائل العربية خلافات كثيرة بين أسد وبكر وكنانة حتى غلب السفهاء على العقلاء، وأرادوا أن ينصبوا ملكاً ينصف الضعيف من القوي، ولكنهم رأوا أنه لا يصلح أن يقوم رجل منهم بهذا الأمر لأنهم لا يطيعوه، فاختارَ لهم تبع حسان حجر بن عمرو سيد كندة ليكون ملكاً عليهم.

وكان الملوك التبابعة بالنسبة للعرب كالخلفاء عند المسلمين، فنصبوا حجراً ملكاً عليهم**(5)**، وأفضى إليه الحكم في البلاد التالية:

1ـ البحرين.

2ـ نجران .

3ـ غمر ذي كندة.

4ـ دومة الجندل وتبوك.

وكان الكنديون يدينون بالوثنية، وهي العبادة التي كانت شائعة عند عرب الجزيرة ومعظم القبائل العربية، ولكنهم دخلوا في النصرانية التي انتشرت في بلاد الشام بسبب تأثير جيرانهم البيزنطيين حكام بلاد الشام**(6)**.

---

(1) القلقشندي, صبح الأعشى ,ج1,ص381.

(2) القلقشندي, صبح الأعشى ,ج1,ص381

(3) القلقشندي, نهاية الأرب, ص 409.

(4) انظر كندة عند السمعاني, الأنساب , دار الفكر , بيروت 1998م, ج5, ص 104.

(5) ابن الأثيـر، الكـامل في التـاريخ, ج1 ص304, زيـدان, العـرب قبل الإسـلام, ص 287-288.

(6) العطوي، تبوك , ص40.

وكذلك أشار الإخباريون إلى أن كلباً كانت تحكم دومة الجندل وتبوك وكـانوا بهذا يتناوبون حكمها مع كندة حتى ظهور الإسلام، فلما جاء الإسلام كان على دومة الجندل ملك من كندة من السكون هو أكيدر بن عبد الملك بن السكون، وهـو الـذي صالحه رسول ا صلى ا عليه وسلم على الجزية**(1)**.

وأشار الإخباريون إلى أن أول من حكم دومة الجندل من كلب هو دجانة بـن قنافـة بن عدي بن زهير بن جناب**(2)**، واشتهر من رجال هذه القبيلة زهيـر بـن جناب الذي كان رئيساً لقضاعة كلها، فلم تجمع قضاعة على طاعة رئيس واحـد كما أجمعت على طاعة زهير بن جناب من كلب، ورزاح بن ربيعـة مـن بنـي عذرة**(3)**.

وكان الكلبيون مثل بقية العرب على الوثنية، ثم تحولوا الى النصرانية أيضاً بتأثير جيرانهم من النصارى الذين كانوا يحكمون الشام، وظلوا حكاماً لتبوك ودومة الجندل حتى نازعهم السكون من بني كندة، ودخلوا في حرب سجال كان النصر فيها لكندة، وأزالوا ملك بني كلب واستمر السكون ملوكها حتى مجيء الإسلام**(4)**.

ج ـ قبيلة عـ ـذرة

وهم بنو عذرة بن سعد بن هزيم بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحافي بن قضاعة**(5)**، ويبدو أن تاريخ هذه القبيلة يشوبه الكثير من الغموض، إلاّ أن منازلها كانت بأعالي الحجاز، ومن مواضعها وادي القرى وتبوك حتى أيله على البحر الأحمر**(6)**، وقد وفدوا على هذه البلاد على أثر الحروب التي وقعت بين قضاعة وحمير في الجنوب، فوجدوا اليهود في هذه البلاد، فتحالفوا معهم وعاشوا في هذه المنطقة إلى أن تحركوا إلى الشام وأقاموا فيها .

---

(1) ابن سعد الطبقات الكبرى, ج 2 ص166, ابن خلدون، العبر ج2 ص 249 .

(2) علي، المفصل في تاريخ العرب, ج4 ص430.

(3) ابن الأثير، الكامل في التاريخ, ج1 ص 299, علي، المفصل, ج4، ص427.

(4) باشميل، العرب في الشام,ص166.

(5) القلقشندي، نهاية الأرب, ص 359, صبح الأعشى, ج1، ص368.

(6) انظر علي، المفصل في تاريخ العرب، ج4, ص431.

وكانت لبني عذرة علاقات وصلات قوية مع قريش خاصة بعد أن استعاد قصي ابن كلاب سيادة مكة والبيت الحرام، وبدأت هذه الصلات عندما وفد ربيعة بن حرام أحد رجال هذه القبيلة على مكة حاجاً، والتقى هناك بامرأة هي فاطمة بنت سعد بن سيل بن حمالة بن عوف، وكانت فاطمة زوجة لكلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن فهر وولدت له ولدين هما: زهرة وزيد، وكان زيد صغيراً، وهو الذي عرف فيما بعد باسم قصي بن كـلاب، وخطب ربيعة بن حـرام العذري فاطمة وتـزوجها، وعـادت معه إلى بلاد عذرة من تبـوك، فأخذت معها ابنها زيـداً الذي سمي قصي لأنـه تربى بعيداً عن ديـار أبيه**(1)**.

وولـدت فاطمة لربيعة رزاح بن ربيعة، فأصبح أخٌ لـزيد(قصي) من أمـه، وكـان قصي ينتمي هناك لربيعة بن حـرام، وفي أحد الأيـام أنّبه رجل قضاعي بالغـربة وقـال له: ألا تلحق بأهلك ونسبك فلست منا؟ وعـاد إلى أمه فأخبرتـه أنه من أشرف بيت في مكة حـول الحـرم، وأنه ابن كـلاب بن مرة، فعـاد إلى مكة، وكانت سيادتها قد انتقلت من جـرهم إلى خـزاعة، وكـان سيدها آنـذاك حليل بن حبشية، وله ابنة ذات عقل وأدب هي حبـي، فأعجب بها قصي وخطبها، ولما كـان على قدر من الحكمة والشجاعة زوجها له حليل، فأنجبت لقصي عبد الدار وعبد مناف وعبد العزى وعبداً، فلما توفي حليل اختلف أهل مكة من خـزاعة على سـدانة البيت الحرام مع قصي بن كلاب الذي انتقلت إليه الإجـازة ومفاتيح البيت الحرام، وكان بحاجة الى من ينصره فاستنجد بإخوته لأمـه من بني عـذرة وهم رزاح بن ربيعة وإخوته فنصروه وتمكن من استعادة سيادة مكة والبيت الحرام**(2)**، وصار سيداً في قريش وأسكن قريشاً في مكة ورتبها على منازلها في النسب**(3)**.

---

(1) الطبري ، الرسل والملوك , ج2 ص 255, محاسنة ، صفحات من تاريخ آل البيت, ص 40- 41، العطوي ، تبوك , ص41.

(2) الطبري، الرسل والملوك,ج2، ص255.

(3) المسعودي، مروج الذهب , ج2، ص 62 .

د - قبيلة جـذام

وهي بطن من كهلان من القحطانية وهم بنو جذام بن عدي بن الحارث ابن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب، وجذام أخو لخم وعم كندة**(1)**، ويذكر الهمداني أن مساكن جذام بين مدين إلى تبوك وأذرح، ومنها فخذ مما يلي الأردن، أما حسمي فبين فزارة وجذام وهي من حدود جذام **(2)**، وكان فيها رفاعة بن زيد الذي وفد على رسول ا صلى ا عليه وسلم بالمدينة المنورة بعد صلح الحديبية ودخل في الإسلام فكتب له رسول ا صلى ا عليه وسلم كتاباً إلى قومه**(3)** .

هـ ـ قبيلة لخـم

وهم قبيلة من كهلان وأخ لجذام وعم لكندة أيضا وكان ملكهم بالحيرة في جنوب العراق**(4)** إلى أن قدم الإسلام وكانوا قبل التوجه إلى العراق يسكنون شمال الجزيرة العربية، فيذكر الهمداني أن لهم ما جاز تبوك إلى زغر ثم البحيرة الميتة**(5)** (البحر الميت) .

----

(1) القلقشندي, نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب, دار الكتاب اللبنـاني، بيـروت 1980م, ص 205-206 .

(2) الهمداني, صفة جزيرة العرب, ص 243 .

(3) ابن هشام, السيرة النبوية, ج5, ص296-297 .

(4) القلقشندي, نهاية الأرب , ص 411 .

(5) الهمداني, صفة جزيرة العرب, ص 245 .

الفصل الثالث

تحركات المسلمين إلى تبوك وشمال الجزيرة العربية في عهد النبي صلى ا عليه وسلم

مقدمـة

كان سكان تبوك وشمال الجزيرة العربية من أبناء القبائل العربية التي اتصلت بالبيزنطيين في بلاد الشام، وتأثـروا بهم، فاعتنقوا النصرانية على الأغلب، ولهـذا أبدى سكان هذه المناطق العـداء تجاه المسلمين لارتباطهم بالدولة البيزنطية التي كانت تعتبر ظهور الإسلام مهدداً لها لأن المسلمين يدعون للإيمان با سـبحانه وتعالى، وكانت دعوتهم عالمية لقوله تعالى: (وما أرسلناك إلا كافة للناس بـشيراً ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون)**(1)** ، فهم يعرفون أن هذه الدعوة ستصل إلـى البلاد التي تحت حكم الدولة البيزنطية .

إلا أن المسلمين في بداياتهم الأولى كان هدفهم ترسيخ الدين ونـشره فـي الحجاز، فلما تعرض المسلمون لأذى قريش وكفـارها **(2)** ومن يساندهم في مكـة هاجر المسلمون بدينهم إلى يثرب **(3)** التي أصبح اسمها **المدينة المنـورة** فقـد أنارها النبي صلى ا عليه وسلم بنور الإسلام والحق, وأخذ أهلها يدخلون في دين الإسلام الجديد، وبدأ المسلمون بإعداد أنفسهم للمرحلة القادمة لنشر الإسلام, بعد أن شد أزرهم دخول الأوس والخزرج (الأنصار) في الدين الإسـلامي, وإقبـال جماعـات كثيـرة على هـذا الـدين .

وبدأ موقف المسلمين يتغير بعد أن أذن ا سـبحانه وتعـالى للمـسلمين بالـدفاع عن أنفسهم وقتال المشركين وأبلغ رسول ا صلى ا عليه وسلم بـذلك في القرآن الكريم ونزلت الآيـة الكريمة في قوله تعالى:(أذن للذين يقاتلون بأنهم

---

(1) سورة سبأ ، الآية 28

(2) انظر ابن الأثير، الكامل في التاريخ , ج2 ص47-51، 56، 59-61

(3) ابن هشـام، السـيرة النبـويـة,ج3 من 5-19, ابن الأثيـر، الكامـل في التـاريخ , ج2 ص71-16.

ظلموا وان ا   على نصرهم لقدير)(1), فبدأ المسلمون بتشكيل قوة ترد عنهم خطر أعدائهم وخصوصاً قريش التي كانت أكبر عدو للمسلمين في البدايات الأولى، كمـا بدأوا يهيئون الطريق لنشر الإسلام في البلاد المجاورة, وكان التحول الجذري في موقف المسلمين بعد معـركة بدر الكبرى(2) التي أظهر ا   سبحانه وتعالى فيهـا قوة المسلمين بنصرهم الذي هيأ لهم سبل النـجاح بعد ذلك في مواجهـة أعـداء الدين ونشره في كـل البـلاد .

وبدأت تحركات المسلمين إلى المناطق المجاورة للمدينة المنـورة وحـسب الحاجـة والظروف التي تحيط بالمسلمين, وبما أن أهل المنـاطق الـشمالية مـن الجزيرة العربية كانوا يظهرون عداءاً للمسلمين, كان لابد للرسول صلى ا   عليه وسلم أن يرد عليهم ليشعرهم بأن المسلمين لم يعودوا القلة المستضعفة كما كـان الحال في مكة، إلا أن ذلك بدأ على شكل سـرايا خفيفـة كانـت تهـدف إلـى استكشاف قوة وإمكانيات البلاد التي توجه إليها والقيام بأعمال خاطفـة تـشعرهم بقوة المسلمين, وربما تفتح لهم طريقاً لمعاودة النظر في علاقتهم بالدولة البيزنطية، وربما التفكير بالدخول في الإسلام, ويمكن إجمال تحركات المسلمين باتجاه شـمال الجزيرة العربية في عهد الرسول صلى ا   عليه وسلم بما يلي :

1.3 سرية زيد بن حارثة إلى القردة

وهي أول سرية يتجه فيها المسلمون شمالاً إلى مكان يبعد عن المدينة المنورة مسافة كبيرة, والقردة(3) عين ماءٍ من مياه نجد ما بين الربذة والغمرة ناحية ذات

----

(1) سورة الحج ، الآية 39 .

(2) ابن هشام، السيرة النبوية ,ج3 ص152 , 172 – 189 , ابن سعد ، الطبقات الكبرى ج2، ص 11- 27

(3) رجح ياقوت الحموي أن تكون ذات فردة بالفاء, وهي ماء بالتلبوت لبني نعامة ورد ذكرهـا فـي شعر الراعي النميري بقوله :

عجبت من السارين والريح قرة .... إلى ضوء نار بين فردة فالرحا

إلى ضوء نار يشتوي القد أهلها .... وقد يكرم الأطياف والقد يشتوي

عـرق(1)، وكانت هذه أول سـرية خـرج فيهـا زيد بن حـارثـة أميراً وذلك سـنة 3هـ/ 625م .

وورد ذكر القردة في كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي بالفـاء(الفـردة)*، ويقول بأنها ماء بالثلبوت لبني نعامة(2).

وفي السنة الثالثة للهجرة كانت لقريش قافلة تجارية إلى الشام وخافت قـريش أن تسلك طريقها المعتاد الذي كانت تسلكه إلى الشام في تجارتها بعدما حدث فـي معـركة بدر الكبرى ومحاولة المسلمين اعتراض القافلة التي كان يقودها أبو سفيان بن حرب فسلكوا طريق العراق, واستأجـروا رجلاً من بني بكر بن وائل ليكـون دليلاً لهم هو **فرات بن حيان**, وكان مع القافلة بعض رجالات قريش المشاهير منهم أبو سفيان بن حرب وصفوان بن أمية وغيـرهما ، وكان معهما مـال كثيـر مـن المتاع والفضة(3) وغيرها .

ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الدليل سلك بهم إلـى ذات عـرق باتجاه طريق العراق بعث زيد بن حارثة في مائة رجل من المسلمين، واعترضوهم على ذلك الماء، فأصاب المسلمون العير، وهرب رجال قـريش**(4)**، وقدم زيد بـن حارثة والمسلمون بالعير على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخمسه وقسم ما بقي على أهل السرية، وكان الخمس آنذاك عشرين ألف درهم (20.000 درهم)، وأسر

---

* قردة أو فردة هي الماء التي بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهـا زيـد بـن حارثـة ليعترض عير قريش فأصابها (انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4, ص248 ـ249) .

(1) ابن هشام، السيرة النبوية ,ج3، ص 317 , ابن سعد ، الطبقـات الكبـرى , ج2 ص36, الطبري، الرسل والملوك، ج2 ص493 .

(2) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص248ـ249.

(3) ابن هشام، السيرة النبوية، ج3، ص317، ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج2، ص36.

(4) يذكر ابن كثير أن المسلمين أسروا رجلاً أو رجلين وكان من بينهم الدليل فرات ابن حيان (انظر ابن كثير، البداية والنهاية، دار الكتب العلمية, بيروت ـ لبنان، ج4، ص 6) .

فرات بن حيان، ولما عرض عليه الإسلام أسلم فتركه رسول ا صلى ا عليه وسلم(1).

2.3 غزوة رسول ا صلى ا عليه وسلم إلى دومة الجندل

حدثت هذه الغزوة في ربيع الأول سنة 5هـ / 627م، بعد أن وصلت الأخبار إلى رسول ا صلى ا عليه وسلم أن جمعاً من أهل دومة الجندل يظلمون من كان يمربهم من المسلمين وكانت لهم سوق كبيرة يعقدونها للتجارة، وأرادوا التوجه إلى المدينة المنورة اعتماداً على مساندة الدولة البيزنطة (2) .

ولم يسكت النبي صلى ا عليه وسلم على هذا الأمر لذلك قرر غزو دومة الجندل وهي من المناطق القريبة من الشام ، فندب الناس ليخرجوا معه حتى اجتمع إليه ما يقارب الألف من المسلمين، فعين سباع بن عرفطة الغفاري على المدينة المنورة وخرج هو مع المسلمين باتجاه دومة الجندل، واتخذ دليلاً له من بني عذرة يعرف البلاد هو (مذكور)، وكان عليه الصلاة والسلام يسير في الليل ويكمن في النهار(3)، حتى يتمكن من الوصول وتحقيق ما أراد، ولعله أراد مفاجأتهم حتى يصل إلى هدفه بأقل الخسائر .

ولما اقترب عليه الصلاة والسلام من دومة الجندل أخبره الدليل عن أماكن دوابهم من الإبل والشاء فهجم على ماشيتهم(4) ورعاتها فأصاب منها من أصاب وهرب من كان معها، ولما وصل الخبر إلى أهلها تفرقوا هرباً، فنزل عليه الصلاة والسلام في المنطقة، وبث سراياه للحاق بهم، لكنه لم يجد منهم أحداً غير رجل(5) سأله رسول ا صلى ا عليه وسلم، فأخبره أنهم عندما علموا أن رسول ا صلى

---

(1) ابن هشام، السيرة النبوية،ج3 ص317، ابن سعد، الطبقات الكبرى،ج2 ص36.

(2) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج2، ص62، ابن كثير، البداية والنهاية، ج4 ص93 .

(3) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج2 ص62، ابن الجوزي، المنتظم، ج2 ص306 .

(4) ورد عن ابن كثير أن دليله أخبره بسوائم بني تميم رغم أن أهلها كانوا من كلب وكندة (انظر ابن كثير، البداية والنهاية، ج4 ص93)

(5) لم أجد ذكراً لاسم هذا الرجل في المصادر التي عدت إليها .

ا عليه وسلم غنم أنعامهم هربوا، وعرض عليه الإسلام فأسلم، ثم عـاد عليـه الصلاة والسلام إلى المدينة المنورة(1) .

3.3 سرية زيد بن حارثة إلى العيص

وكانت في جمادى الأول سنة 6هـ/ 628م، فقد بلغ النبي صـلى ا عليـه وسلم أن عيراً لقريش أقبلت عائدة من الشام باتجاه مكة، فبعث رسول ا صـلى ا عليه وسلم زيد بن حارثة على رأس مائة وسبعين(170) راكباً مـن المـسلمين لاعتراضها في منطقة العيص على بعد أربع ليالٍ من المدينة المنورة(2).

ويبدو أن العاص بن الربيع كان على رأس هذه القافلة ومعه أموال كثيرة منها أموال لصفوان بن أمية، فتمكن المسلمون من هذه القافلة، فأسروا بعض من كان فيها وأخذوا أموالها(3).

وفر العاص إلى المدينة فاستجار بزينب بنت رسول ا صلى ا عليه وسلم، وكانت زوجته قبل الهجرة، ثم هاجرت بعد معركة بدر(4)، فلما استجار بها أجارته ونادت في الناس حين صلى رسول ا صلى ا عليه وسلم الفجر: إني قد أجـرت أبا العاص، فأجاره لها رسول ا صلى ا عليه وسلم، وأمر برد ما أخـذوا مـن عيره، فـردوا عليه كل ما أخذوه في تلك السرية(5).

رجع أبو العاص إلى مكة ورد الأموال التي أخذها من المسلمين إلى أصحابها وأسلم، ثم خرج مهاجراً إلى المدينة المنورة، فرد عليه النبي صلى ا عليه وسـلم زوجته زينب بالنكاح الأول(6)، وبهذا كان النبي صلى ا عليه وسلم يجتذب قلوب الناس فيقبلوا على الإسلام طواعية دون إكراه.

----

(1) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج2 ص62، ابن الجوزي، المنتظم، ج2، ص306.
(2) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج2، ص87.
(3) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج2، ص87، الطبري، الرسل والملوك، ج2، ص641.
(4) ابن كثير، البداية والنهاية، ج4، ص180.
(5) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج2، ص87، ابن كثير، البداية والنهاية، ج4، ص180.
(6) ابن كثير، البداية والنهاية،ج4،ص180.

4.3 سرية عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل

وكانت هذه السرية في شعبان سنة 6هـ/ 628م، حيث بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بن عوف لقتال قبيلة كلب النصرانية في دومة الجندل**(1)** وكان عليه الصلاة والسلام قبل أن يرسله في هذه الحملة استدعاه فأجلسه بين يديه وعممه بيده، وأوصاه أن يدعو أهل دومة أولاً إلى الإسلام، كما أوصاه أن يلتزم بآداب الحرب التي دعا إليها الإسلام، فقال له عليه الصلاة والسلام:(أغز باسم الله في سبيل الله، فقاتل من كفر بالله، لا تغل ولا تغدر ولا تقتل وليداً)**(2)** .

وطلب المصطفى عليه الصلاة والسلام من عبد الرحمن أن يتبع معهم أسلوب الدبلوماسية لجذبهم إلى الإسلام، فان قبلوا منه ذلك فليعمل على تعزيز العلاقات بينهم وبين المسلمين وأن يتزوج ابنة ملكهم**(3)**، وكان يهدف من ذلك إلى استمالتهم ودفعهم لترك موالاة الدولة البيزنطية والتحرر من سيطرتها .

توجه عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل، ومكث ثلاثة أيام يدعو أهلها إلى الإسلام وعبادة الله سبحانه وتعالى وهم يأبون ذلك، وفي اليوم الثالث أسلم أميرهم الأصبغ بن عمرو الكلبي وكان نصرانياً، وأسلم معه أناس كثيرون من بني قومه، بينما وافق من لم يسلم منهم على دفع الجزية للمسلمين والبقاء على دينهم**(4)** .

وكتب عبد الرحمن إلى النبي صلى الله عليه وسلم يخبره بذلك، ويبشره بما فتح الله عليه في هذه السرية بكتاب أرسله مع رجل من جهينة هو رافع بن مكيث**(5)**، وكتب عبدالرحمن إلى النبي يستأذنه بالزواج من تماضر ابنة الأصبغ

---

(1) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج2 ، ص 89 ، الطبري، الرسل والملوك، ج2 ص642.

(2) الواقدي، المغازي، عالم الكتب، بيروت 1984م، ج2 ص 561، ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج2، ص89 .

(3) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج2 ص89، الطبري، الرسل والملوك، ج2 ص642 .

(4) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج2 ص89، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج2، تحقيق محب الدين العمروي، دار الفكر بيروت، 1995م، ج2 ص4-5.

(5) هو رافع بن مكيث بن عمرو الجهني، أسلم وشهد الحديبية وبيعة الرضوان وفتح مكة (انظر ابن سعد، الطبقات الكبرى ، ج4 ص345) .

أميرهم الذي أسلم فوافق له على ذلك فتزوج منها، وقـدمت معـه إلـى المدينـة المنورة، وهي أم أبي سلمة بن عبد الرحمن(1) .

وكانت هذه السرية بمثابة رسالة موجهة إلى القبائل العربية الموجودة في شمال الجزيرة العربية وجنوب بلاد الشام أن المسلمين يمتلكون القـدرة علـى التحـرك والوصول إلى المناطق البعيدة لحماية أنفسهم ومصالحهم وضرب عدوهم إذا لـزم الأمر، وأن قوتهم أكبر مما تتصور هذه القبائل أو حلفائها البيزنطيين الـذين كـانوا يجهلون كيفية التعامل مع المسلمين، واغتروا بقوتهم وعددهم .

5.3 سرية زيد بن حارثة إلى بني سليم بالجموم

وكانت هذه السرية في سنة 6هـ/628م ؛ ففي ربيع الآخر من هـذه الـسنة بعث رسول ا صلى ا عليه وسلم زيد بن حارثة مع نفر من المسلمين إلى بنـي سليم فسار بهم حتى وصل الجموم(2) ناحية بطن نخل، فأصـابوا امـرأة مـن مزينة يقال لها حليمة، وأرشدت المسلمين إلى بعض الأماكن التي كان يقيم فيها بنو سليم، فأغار المسلمون عليهم وغنموا منهم مواشي وأسروا بعض الرجال، وكان من بين الأسرى زوج حليمة المزنية(3).

عاد المسلمون بالغنائم والأسرى إلى المدينة المنورة، فوهب رسـول ا صـلى ا عليه وسلم لحليمة المزنية نفسها وزوجها، وفي هذا قال بلال بن الحارث شعراً منه قـولـه(4):

لعمرك ما أخنى المسول ولاً ونت .... حليمة حتى راح ركبهما معاً

---

(1) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج2 ص5 ، خليل، عماد الدين، دراسـة فـي الـسيرة، مطبعة الزهراء الحديثة ، الموصل 1983م، ص285 .

(2) أورد ياقوت الحموي ذكر الجموم في معجم البلدان وقال عنها:" هو أرض لبني سليم، وبها كانت إحدى غزوات النبي عليه السلام"(ياقوت الحموي، معجم البلدان،ج2،ص163).

(3) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج2، ص86، الطبري، الرسل والملوك، ج2، ص641.

(4) انظر ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج2، ص86، الطبري، الرسل والملوك، ج2، ص641.

6.3 سرية زيد بن حارثة إلى حسمى

حسمى في اللغة من حسم، والحسم هو المنع، وحسمى اسم بلد جذام وهـي أرض بالبادية فيها جبال شواهق ملس الجوانب لايكاد القتام يفارقها**(1)**.

وحسمى أرض في بلاد الشام، وهي منطقة جبلية عالية كانت تسكن بها قبيلة جذام العربية، ويذكر ياقوت الحموي أن بينها وبين وادي القرى ليلتان، وأهل تبـوك يرون جبل حسمى في غربيهم وفي شرقيهم شرورى، وتقع حسمى مـا بـين أيلـه وتبوك لقول الشاعر**(2)**:

جاوزن رمل أيلة الدهاسا .... وبطن حسمى بلداً هرماسا

وكان من بين أهل هذه المنطقة رجل اسمه رفاعة بن زيد الجذامي الضبيبي**(3)** وهو الذي قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في صـلح الحديبيـة، فأسـلم وحسن إسلامه وأهدى لرسول الله غلاماً**(4)**، فكتب له الرسول عليه الصلاة والسلام كتاباً إلى قومه جاء فيه: (بسم الله الرحمن الرحيم: هذا الكتاب من محمد رسول الله لـرفاعة بن زيد، إني بعثته إلى قومه عامـة ومن دخل منهم يـدعوهم إلـى الله وإلى رسوله، فمن أقبـل فمن حـزب الله ورسـوله ومـن أدبـر فلـه أمـان شهرين)**(5)**، فلما قـدم على قـومه أجابـوه وأسلموا، ثم سـاروا إلـى حـرة الـرجلاء **(6)** فنـزلـوها**(7)**.

----

(1) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت 2000م، ج4، ص122.

(2) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص258.

(3) هو رفاعة بن زيد الجامي من بني الضبيب، قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فـي هدنة الحديبية فأسلم وحسن إسلامه، وكتب له النبي عليه الـصلاة والـسلام كتابـاً إلـى قومه(انظر ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج1، ص354ـ355).

(4) الطبري، الرسل والملوك، ج3، ص140، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج2، ص141.

(5) الطبري، الرسل والملوك، ج3، ص140.

(6) حرة الرجلاء ديار بني القين بن جسر وهي ما بين المدينة والشام (انظر ياقوت الحمـوي، معجم البلدان، ج2، ص246).

(7) الطبري، الرسل والملوك، ج3، ص140.

وأما الداعي إلى قيـام سرية زيد بن حارثة فهو الاعتداء الذي قامـت بـه جماعة من قوم رفاعة بن زيد على أحد المسلمين بعد إسـلام رفاعـة بوقـت قصير، ذلك أن النبي صلى ا عليه وسلم بعث دحيه بن خليفة الكلبي إلى قيـصر ملك الروم يدعوه إلى الإسلام فأجازه قيصر بمال وكساه**(1).**

ولما عاد من عند قيصر ووصل وادي شنّار وهي من أودية جذام أغار عليـه الهنيد بن عوص وابنه عوص بن الهنيد الضليعيان من بني جذام ونهبا ما كـان معه من الأموال وتعرضا له بالأذى، فلما علم بذلك من أسلم من قوم رفاعة من بني الضبيب أسرعوا إلى الهنيد وابنه واقتتلوا معهما واستعادوا ما تم نهبه من دحيه وردوه إليه، فخرج دحية حتى وصل المدينة المنورة**(2)** وأخبر النبـي صـلى ا عليه وسلم بما حدث، ويقال بأنه استقاه دم الهنيد بن عوص وابنه لشدة ما تعـرض له من الأذى منهما**(3)،** فانتدب النبي صلى ا عليه وسلم زيد بن حارثة على رأس جيش للإغـارة على الهنيد.

توجه زيد بن حارثة مع خمسمائة رجل من المسلمين ومعه دليـل مـن بنـي عـذره في الوقت الذي كان فيه رفـاعة بن زيد مع جماعة من بني الضبيب بكراع ربة، ولم يكن قد علم بما حدث، بينما كـان بنو الضبيب بـ ـوادٍ مـن ناحيـة الحرة، فأقبل جيش المسلمين من ناحية الأولاج وأغار على بني الضبيب، وتمكن المسلمون منهم فقتلوا الهنيد وابنه ورجلين من بني الأحنف ورجل من بني خـصيب وغنموا أموالاً كثيرة وأسروا منهم رجالاً ونساءً**(4)**، فيذكر ابن سعد أن المسلمين أخذوا من النعم ألف بعير ومن الشاء خمسة آلاف شاة، ومن السبي مائة من النـساء والأولاد**(5).**

---

(1) الطبري، الرسل والملوك، ج3، ص140.

(2) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج2، ص88، الطبري، الرسـل والملـوك، ج3، ص140 - 141

(3) الطبري، الرسل والملوك، ج3، ص141.

(4) الطبري، الرسل والملوك، ج3، ص141.

(5) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج2، ص88.

ولما علم بنو الضبيب بذلك وكانوا بصحراء مدان ركب رجال منهم كان من بينهم حسان بن ملة، وأنيف بن ملة، وأبو زيد بن عمرو حتى وصـلوا المـسلمين، فتكلم حسان بن ملة مع المسلمين وأخبرهم بأنهم قوم مسلمون، وأراد زيد بن حارثة أن يختبره فطلب منه أن يقرأ أم الكتاب (الفاتحة) فقرأها حسان، عندها قال زيد بن حارثة للمسلمين: نادوا في الجيش إن ا قد حرم علينا ثغرة القوم التي جاءوا منهـا إلاّ من ختر (أي نقض العهد)، وطلب عدم الاعتداء عليهم حتى يحكم ا فيهم**(1)**.

وفي محاولة لإصلاح ما حدث توجه نفر من بني الضبيب إلى رفاعة بن زيـد بكراع ربة وأعلموه ما حدث، فتوجه مع عدد من رجاله الذين دخلوا في الإسـلام إلى المدينة المنورة، ودخلوا على النبي صلى ا عليه وسلم فدفع إليه الكتاب الـذي معه والذي كتبه له رسول ا صلى ا عليه وسلم، فلما قرئ على رسول ا قـال عليه الصلاة والسلام : كيف أصنع بالقتلى؟ فقال رفاعة بن زيد: أنت يا رسـول ا أعلم، لا نحـرم عليك حلالاً ولا نحل اك حراماً، فقال رجل منهم هو أبو زيد بن عمرو: أطلق لنا يا رسول ا من كان حياً، ومن كان قد قُتل فهو تحـت قـدمي هاتين، فقال رسول ا صلى ا عليه وسلم: صدق أبـو زيـد، اركب معهم يـا علي، فقال علي: يا رسول ا : إن زيداً لن يطيعني، فقال: خذ سيفي، فأعطاه سيفه وبعثه مع رفاعة بن زيد إلى زيد بن حارثة ليخلي بينهم وبين حرمهم وأموالهم**(2).**

واتجهوا إلى جيش المسلمين فوجدوهم بالفلحتين بين المدينة وذي المروة، وتم إبلاغ زيد بن حارثة بأمر رسول ا صلى ا عليه وسلم فرد إلى قوم رفاعة كل ما أخذه المسلمون منهم، وعاد المسلمون إلى المدينة المنورة**(3).**

----

(1) الطبري، الرسل، ج3، ص141ـ 142، ابن الأثير، الكامل، ج2، ص141.

(2) الطبـري، الرسل، ج3، ص142- 143، ابن الجـوزي، المنتظـم، ج2، ص340، ابـن الأثير، الكـامل في التاريخ، ج2، ص141 ـ 142.

(3) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج2، ص88 .

7.3 غزوة رسول ا صلى ا عليه وسلم وادي القرى

وكان ذلك بعد انتهاء رسول ا صلى ا عليه وسلم من خيبر سنة 7هـ /629م، حيث توجه مع أصحابه إلى وادي القرى وحاصر أهله عدة ليالي**(1)**، وكان معه عليه الصلاة والسلام غلاماً أهداه إليه رفاعة بن زيد الجذامي عندما أعلن إسلامه، فجاءه سهم فقتله**(2)**.

ويذكر ابن هشام أن رسول ا صلى ا عليه وسلم تزوج من صفية بنت حيي بن أخطب وهو عائد من خيبر**(3)**، فقد كانت ضمن غنائم المسلمين يوم خيبر فاصطفاها عليه الصلاة والسلام لنفسه، وأعرس بها بعد أن حاصر وادي القرى، ثم عاد متوجهاً إلى المدينة وفي مكان يقال له الصهباء**(4)**، وبات يحرسه في تلك الليلة أبو أيوب الأنصاري**(5)** .

وفي هذه الرحلة أيضاً نام رسول ا صلى ا عليه وسلم وأصحابه عن صلاة الصبح حتى طلعت الشمس، وكان أوكل إلى بلال أن يسهر ليحفظ المسلمين تلك الليلة، غير أن النعاس غلبه ونام فلم يوقظهم إلا بعد ظهور الشمس، فنهض رسول ا صلى ا عليه وسلم وتوضأ وتوضأ الناس، ثم أمر بلال فأقام الصلاة وصلى بالمسلمين**(6)** .

---

(1) ابن هشام، السيرة، ج4 ص310، ابن الجوزي، المنتظم، ج2، ص 373 .

(2) ابن هشام، السيرة النبوية، ج4، ص310، الطبري، الرسل والملوك، ج3, ص16، ابن الجوزي، المنتظم،ج2 ص 373 .

(3) ابن هشام، السيرة النبوية ،ج4، ص311 .

(4) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج8 ص121 .

(5) ابن هشام، السيرة النبوية ، ج4، ص311 .

(6) ابن هشام، السيرة النبوية، ج4، ص311 ـ 312 .

8.3 سرية كعب بن عمير الغفاري إلى ذات أطلاح

وحدثت هذه السرية في ربيع الأول سنة 8هـ /630م، وفيها بعث النبي صلى ا عليه وسلم الصحابي الجليل كعب بن عمير الغفـاري مع خمسة عشر رجلاً من المسلمين إلى ذات أطلاح(1)، وهي بلد على حدود الشام، قال عنها ياقوت الحموي وراء ذات القرى(2)، وأهلها من قضاعة وعلى رأسهم رجل يقال له سدوس(3) .

وكان هدف النبي صلى ا عليه وسلم من هذه الحملة هو نشر الإسلام(4)، واستطلاع أطـراف بلاد الشـام التي ستكون وجهتهم لنشر الإسـلام في المستقبل، فاتجه كعب بن عمير مع من رافقه من المسلمين حتى وصلوا ذات أطلاح، فوجدوا جمعاً كبيراً من متنصرة العرب من الغساسنه، ودعوهم إلى الإسلام، فرفضوا قبول الـدعـوة، واعتدوا على المسلمين، حيث رشقوهم بالسهام، وكان على المسلمين أن يدافعوا عن أنفسهم فقاتلوا قتـالاً شـديداً، غير أن كثرة عـدوهم تغلبت عليهم، فقتلوا جميعاً .

---

(1) ذات أطلاح ذكرها ياقوت الحموي فقال بأنها موضع وراء ذات القرى إلى المدينة أغـزاه رسول ا صلى ا عليه وسلم كعب بن عمير الغفاري فأصيب بها هو وأصحابه، بينمـا ذكر فـردريك بك أن ذات اطلاح أو كما يسميها طلة موقع بين الكـرك والطفيلـة فـي الأردن (انظر بك، فـردريك، تـاريخ شرقي الأردن وقبائلهـا ، الـدار العـربية للتـوزيع، عمـان 1935م، ص124) .

(2) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1 ص 218، ابن سيد الناس، عيون الاثـر فـي فنـون المغازي والشمائل والسير، دار الآفاق الجديدة، بيروت 1982م، ج2 ص197، المقريزي، إمتاع الإسماع ،ج1، ص343 .

(3) الطبري، الرسل والملوك ،ج3، ص29 .

(4) الواقدي، المغازي، ج2ص752 – 753، ابن سعد، الطبقات الكبـرى ،ج2 ص127، ابـن عساكر، تاريخ مدينة دمشق ، ج2، ص5 .

ولم ينج من المسلمين غير رجل واحد كان جريحاً، فلما برد عليه جرحه في الليل تحامل حتى عاد الى رسول ا صلى ا عليه وسلم، فأخبره بما حدث، وكان تأثير الخبر كبيراً على رسول ا صلى ا عليه وسلم فهم أن يبعث إليهم قوة من المسلمين، غير أن الأخبار وصلت إليه أنهم غادروا مكانهم الى موضع آخر فتركهم**(1)** .

ولم يكن المسلمون في هذه الفترة مستعدين لدخول معارك كبيرة ضد أعدائهم خارج الجزيرة العربية، فالظروف غير مناسبة والأعداء يشكلون خطراً كبيراً داخل الجزيرة العربية.

9.3 غزوة مؤتة

وهي الحملة التي بعث بها محمد صلى ا عليه وسلم جيش المسلمين الذي يقوده زيد بن حارثة الى البلقاء من أرض الشام بعد تعرض أهل مؤتة وجنوب الأردن وبتحريض من بيزنطة للمسلمين الذين كانوا يمرون من هناك .

وكانت تحركات المسلمين بدأت باتجاه الشمال إلى بلاد الشام منذ السنة السادسة من الهجرة، وعندها أخذ أهل بلاد الشام يعترضون سبيل القوافل التجارية الخاصة بالمسلمين والمتجهة من المدينة المنورة إلى بلاد الشام أو العائدة من هناك**(2)**.

وكان أول هذه الاعتداءات تعرضهم لدحية بن خليفة الكلبي**(3)** وهو عائد

---

(1) الواقدي، المغازي، ج2، ص752، ابن سعد، الطبقات ، ج2، ص 127 – 128، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج2،ص5، ابن سيد الناس، عيون الأثر، ج2، ص197-198،.

(2) انظر محاسنة، محمد، مقامات الصحابة الأطهار في أرض مؤتة والمزار، مخطوط تحت النشر، ص131.

(3) هو دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة الكلبي، أرسله محمد صلى ا عليه وسلم إلى قيصر يدعوه إلى الإسلام ومعه كتاب بذلك طلب منه أن يدفعه إلى أمير بصرى ليوصله إليه، فدفعه إليه في حمص سنة 7هـ/629م(انظر ابن سعد، الطبقات الكبرى،ج2، ص249 – 251، ابن الأثير، أسد الغابة،ج2،ص6، الذهبي، سير أعلام النبلاء،ج1،ص 550 – 556).

من تجارة إلى الشام(1) سنة 6هـ / 628م وقيل من زيارة لقيصر الروم، بعد أن حمل له رسالة من النبي صلى الله عليه وسلم، وكان قيصر قدم له هدايا وكسوة، حتى إذا مر بأرض جذام جنوب بلاد الشام في وادٍ من أوديتهم يقال له شنّار أغار عليه الهنيد بن عوص وابنه عوص بن الهنيد الضليعيان واعترضاه بحسمى، فأخذا كل ما معه من مال ومتاع، ووصل خبره إلى بني الضبيب؛ وهم قوم رفاعة ابن زيد الجذامي الضبي الذي دخل الإسلام في صلح الحديبية وأسلم معه قومه، فتوجهوا إلى الهنيد وابنه حتى التقوا بهم وقاتلوهم، فانتصروا عليهم أعادوا ما نهب من دحية وردوه عليه.

وسار دحية حتى قدم المدينة المنورة، فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما حدث، فأرسل عليه الصلاة والسلام زيد بن حارثة في جيش للإغارة على الهنيد، ومعه دليل من بني عذرة، وكان زيد يسير الليل، وهاجمهم عند الصباح، فأوقع بهم هزيمة منكرة، وقتل عددًا منهم كان بينهم الهنيد وابنه، كما أغاروا على مواشيهم وإبلهم وغنموا ما وجدوه من مال ودواب **(2).**

وعندما سمع بنو الضبيب قوم رفاعة بذلك، ساروا إلى زيد بن حارثة، وأخبروه بأنهم مسلمون، فطلب منهم أن يقرءوا أمامه أم الكتاب، فقرأها رجل منهم هو حسان بن ملة، فقال زيد بن حارثة: نادوا في الجيش أن الله قد حرم علينا القوم إلا من ختر(أي نقض العهد)**(3).**

ولما أسلم فروة بن عمرو الجذامي أمير معان اعتدى عليه الروم، وحاولوا إغراءه للارتداد عن الإسلام لكنه رفض ذلك فقبضوا عليه وحبسوه على عين ماء قرب الطفيلة تسمى عفراء، ثم قتلوه وصلبوه**(4)** .

---

(1) ابن هشام، السيرة النبوية، ج2، ص 22 ـ 23.

(2) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج2، ص88، محاسنة، مقامات الصحابة، ص132.

(3) ابن هشام، السيرة النبوية،ج6، ص24، ابن الأثير، الكامل، ج2، ص141.

(4) ابن هشام، السيرة النبوية ،ج5 ص290- 291، ابن سيد الناس، عيون الاثر، ج2 ص311، المقريزي، إمتاع الأسماع ، ج1، ص506 .

ولما بعث رسول ا صلى ا عليه وسلم الحارث بن عميـر الأزدي يحمـل كتابه الى الحارث بن أبي شمر الغساني ملك بصرى، تعرض له أمير مؤتـة فـي الطريق فقبض عليه وقتله ولم يقتل لرسول ا صلى ا عليـه وسـلم رسـول غيـره(1) .

فمثل هذه الأحداث كان تدفع المسلمين للقيام بإجراء يجعل للمـسلمين هيبـة، وتمنع الاعتداء على رعاياها ورسلها في الأماكن التي يتجهون إليها، فأعـد النبـي صلى ا عليه وسلم جيشاً من المسلمين جعل على رأسه **زيد بن حارثه** وجعل لـه نائبين هما على التوالي جعفر بن أبي طالب وعبد ا بن رواحه(2)، حتى إذا قتـل القائد تولى قائد بعده .

وسار جيش المسلمين باتجاه الشام ، فلما علم الروم والغساسنة بذلك حشدوا لهم قوة عظيمة، وقام رجل من الأزد يقال له شرحبيل بن عمرو الغساني فأرسل أخـاه سدوس بن عمرو مع خمسين رجلاً لرصد المسلمين وتحركاتهم، فالتقى بالمـسلمين في وادي القرى فقتلوه(3).

ولما وصل المسلمون الى معان وصلتهم الأخبار أن هرقل جمع الجيوش ونزل بها في مكان قرب الكرك ومعه مائة ألف مقاتل من الروم، وان القبائـل العربيـة اجتمعت معه أيضاً في مائة ألف من العرب المتنصرة من بهـراء وبلـي والقـين وجذام ولخم ووائل وأميرهم رجل من بلي يقال له مالك بن رافلة(4) .

----

(1) الواقدي، المغازي، ج2 ص755، ابن سعد، الطبقات الكبـرى، ج2 ص128، المقدسـي، البدء والتاريخ،ج4 ص230، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج2 ص7 .

(2) ابن هشام، السيرة النبوية، ج5 ص22، الطبري، الرسل والملوك، ج3 ص36، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق،ج2 ص6، ابن سيد الناس، عيون الاثر، ج1 ص198، ابـن كثيـر، البداية والنهاية، ج4 ص241 .

(3) الواقدي، المغازي، ج2 ص760، ابن سعد، الطبقات الكبـرى، ج2 ص129، المقريـزي، امتاع الاسماع، ج1 ص347 .

(4) الواقدي، المغازي، ج2 ص760، ابن هشام ، الـسيرة النبويـة، ج5 ص24، الطبـري، الرسل والملوك، ج3 ص37 .

أقام المسلمون في معان ليلتين يتشاورن لاتخاذ قرار مناسب والسير للقاء العدد أو العودة إلى المدينة أو طلب المدد من االنبي صلى ا عليه وسلم، غير أن عزائم بعض القادة كانت تدفع لمواصلة السير عندما تقدم عبد ا بن رواحه إلى الناس وذكرهم بأن المسلمين لا يقاتلون عدوهم بكثرة عددهم وليس من عادتهم التخوف من دخول الحرب لا من كثرة عدد ولا من قوة سلاح، وشجعهم على المضي فيما أمرهم به رسول ا صلى ا عليه وسلم**(1)**.

وتحمس المسلمون ومضوا للقاء وعدوهم، فالتقوا الأعداء في منطقة الكرك في مكان مؤتة**(2)**، فكانت هناك المعركة الحاسمة التي دامت سبعة أيام، استشهد فيها قادة المسلمين لثلاثة بعد أن ضربوا أروع الأمثلة في البطولة والشجاعة، وبعد استشهاد عبد ا بن رواحه أخذ الراية ثابت بن أقرم أخو بني العجلان حتى اصطلح المسلمون على خالد بن الوليد ليتولى قيادة المسلمين**(3)**، ورغم حداثة عهده بالإسلام، إلا أنه تمكن من قيادة جيش المسلمين بكفاءة واقتدار، ورسم خطته وأعاد ترتيب صفوف جيشه في الليل وابتكر فناً جديداً لليوم التالي وباكر عدوه بقتال عنيف أظهر فيه المسلمون ضروباً في البطولة والجرأة حتى ظن العدو أن أعداداً كبيرة من المدد قد وصلت المسلمين، وحقق خالد انتصارات على الأعداء في ميدان المعركة فانقلبت الموازين في الميدان.

---

(1) ابن هشام، السيرة النبوية، ج5 ص24، الطبري، الرسل والملوك، ج3 ص 37 – 38، ابن عبد البر، الدرر في اختصار المغازي والسير, تحقيق شوقي ضيف, دار المعارف, القاهرة 1403هـ ص209, ابن الأثير، الكامل في التاريخ , ج2 ص159 .

(2) ابن هشام، السيرة النبوية, ج5 ص27, الطبري، الرسل والملوك, ج3 ص39, ابن الاثير، الكامل في التاريخ, ج2 ص159, ابن سيد الناس، عيون الأثر, ج1 ص200 .

(3) الواقدي، المغازي, ج2 ص763, ابن هشام، السيرة, ج5 ص30, الطبري، الرسل والملوك, ج3 ص40 ابن عساكر، تاريخ دمشق ,ج2 ص14 .

وفي الليلة التالية انسحب خالد بن الوليد بجيش المسلمين وقـد أمـن ظهـور الجيش ومنع الاعداء من اللحاق بهم، فحقق أكبر نتيجة للمسلمين خارج الجزيـرة العربية، وأظهر قوتهم في الأطـراف الشمالية، ثم عـاد الى المدينة، فلما اقتـرب من الوصول بـادر أهل المدينة الى ملاقاة الجيش العائد من مؤتة فرجموه وحثـوا في وجهه التـراب متهمين إياه بالتخاذل والانهـزام أمام العدو**(1)**، إلا أن الرسـول صلى ا عليه وسلم رد على ذلك بأنهم الكرار إن شـاء ا **(2)**، فلم تكن معـركتهم هناك إلا عملاً عسكرياً خاطفاً لا رهاب العدو وإظهار قوة المسلمين، إضافة إلـى استكشاف البلاد، وتعويد الجيش الإسلامي على الصبر وتحمل المـشقة فـي هـذه الرحلة الطويلة .

وتمكن جيش المسلمين من تحقيق أهدافه عندما قام بضرب الروم فـي عقـر دارهم أو في البلاد التي يحكمونها، ثم عاد وأعلن للقاصي والداني أنه قادر علـى خوض الحروب الكبرى أمام الجيوش المنظمة، وازدادت ثقته بنفسه، فكانت معركة مؤتة البوابة الفعلية التي عبرت منها جيوش الفتح العربي الإسلامي المنظم إلـى بلاد الشام**(3)**.

ولأهمية معركة مؤتة فقد كتب الشعراء يرثون شهداءها في شعرهم، فبكاهم حـسان بن ثابت بشعره في قصيدة حملت عنوان "هم جبل الإسلام" قال فيها**(4)**:

تأو بني ليـلٌ بيثرب أعسر .... وهم إذا ما نوم الناس مسـهر

----

(1) الواقدي، المغازي، ج2 ص 764 ـ 765، المقريزي، إمتاع الأسماع، ج1 ص 349 .

(2) ابن هشام، السيرة النبوية , ج5 ص33، ابـن سـعد، الطبقـات الكبـرى, ج2 ص129 , الطبري، الرسل والملوك , ج3 ص42, المقدسي، البـدء والتـاريخ, ج4 ص232، ابـن الجوزي، المنتظم , ج3 ص319 .

(3) محاسنة، مقامات الصحابة، ص156.

(4) حسان بن ثابت الأنصاري (ت 50هـ/ 670م)، ديوان حـسان بـن ثابـت، دار صـادر، بيروت، ص99 ـ 100، ابن هشام، السيرة النبوية، ج5، ص34 ـ 35.

لذكرى حبيبٍ هيجت لي عبرة .... سفوحاً وأسباب البكاء التذكر

بلى إن فقـدان الحبيب بليةٌ .... وكم من كريم يبتلى ثم يصبر

رأيت خيار المسلمين تواردوا .... شعوبـاً وخلفاً بعدهم يتـأخر

فلا يبعدون ا قتلى تتابعوا .... بمؤتة منهم ذو الجناحين جعفر

وزيد وعبد ا حين تتابعوا .... جميعاً وأسبـاب المنية تخطر

غداة مضوا بالمؤمنين يقودهم .... إلى الموت ميمون النقيبة أزهر

أغر كضوء البدر من آل هاشمٍ .... أبي إذا سيم الظلامة مجسر

فطاعن حتى مال غير موسـدٍ .... لمعتـرك فيه القنـا متكسر

فصار مع المستشهديـن ثوابـه .... جنان وملتف الحدائق أخضر

وكنّا نرى في جعفر مـن محـمدٍ .... وفاءً وأمراً حازماً حين يأمر

فما زال في الإسلام من آل هاشـمٍ .... دعائم عز لا يزلن ومفخـر

هم جبل الإسلام والناس حولهـم .... رضام إلى طودٍ يروقُ ويقهر

أما كعب بن مالك وهو من الشعراء الذي دخلوا في الإسـلام ودافعـوا فـي شعرهم عن الإسلام وأهله، حيث كتب في غزوة مؤتة يقول(1):

نام العيون ودمع عينك يهـملُ .... سحاً كما وَكَفَ الطباب المخضل

في ليـلة وردت علي همومها .... طـوراً أخـن وتارةً أتملمـل

واعتادني حزن فـبت كأنني .... ببنات نعش والسـماك موكلُ

وكأنما بين الجوانح والحـشا .... مما تـأوبني شهاب مدخلُ

وجداً على النفر الذين تتابعوا .... يومـاً بمؤتـة أسندوا لم ينقلوا

صلى الإله عليـهم من فتيـةٍ .... وسقى عظامهم الغمـام المسبِلُ

صبروا بمؤتـة للإله نفوسـهم .... حذر الردى ومخافـةً أن ينكلوا

----

(1) ابن هشام، السيرة، ج5، ص36 -38.

10.3 سرية عمرو العاص إلى ذات السلاسل

وجاءت هذه السرية بعد غزوة مؤتة في سنة 8هـ / 630م ، وسببها أن الروم بعد الضربة القوية التي لحقت بهم في موقعه مؤتة أمام المسلمين لجأوا إلى إثارة القبائل الموالية لهم ضد المسلمين**(2)**، فتجمعت قبائل من بلي وقضاعة وفكروا بمهاجمة المسلمين.

ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم اتفقوا على مهاجمة المسلمين استدعى عمرو بن العاص, فعقد له لواءاً أبيضاً وجعل معه رايةً سوداء**(2)**، وبعثه على رأس حملة إلى ذات السلاسل**(3)**، ومعه ثلاثمائة رجل من سراة المهاجرين والأنصار منهم صهيب بن سنان وعامر بن ربيعه وأبو الأعور سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وسعد بن أبي وقاص من المهاجرين، وأسيد بن حضير وعباد بن بشر وسلمة بن سلامة وسعد بن عبادة من الأنصار**(4)**، وطلب منه النبي صلى الله عليه وسلم أن يستعين بمن يمر عليه من العرب, وهي قبائل بلي وعذرة وبلقين (القين), فقد كانت تربط عمرو بن العاص بهذه القبائل صلة رحم, فأم العاص بن وائل بلوية, وأراد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يتألفهم بعمرو بن العاص**(5)**.

ويذكر ابن سيد الناس أن المسلمين في هذه الحملة أُمروا بالإغارة على بكر, إلا أن عمرو بن العاص أغار على قضاعة لأن بكراً أخواله**(6)**.

----

(1) الواقدي، المغازي, ج2 ص770, ابن سيد الناس، عيون الأثر, ج1 ص204.

(2) ابن سعد، الطبقات الكبرى, ج2 ص131, ابن سيد الناس، عيون الأثر, ج1 ص204, المقريزي، إمتاع الأسماع , ج1، ص352 .

(3) السلاسل ماء بأرض جذام وبها سميت غزوة ذات السلاسل (انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان , ج3 ص233) .

(4) الواقدي، المغازي , ج2 ص770 .

(5) الواقدي، المغازي, ج2 ص770, ابن هشام، السيرة, ج5 ص34- 35, ابن سعد، الطبقات الكبرى, ج2 ص131, ابن عساكر، تاريخ دمشق,ج2، ص22 .

(6) ابن سيد الناس، عيون الاثر, ج1 ص206 .

وسار عمرو بمن معه من المسلمين وكان معه ثلاثون فرساً(1), فكان يكمن في النهار ويسير في الليل ليحافظ على سرية الحملة ويفاجئ عدوه, فلما اقتـرب مـن مكان تجمعهم نزل على ماء بأرض جذام يقال له السلاسل أو ذات السلاسل وهـي من مشارف الشام(2)، وكان الفصل شتاءً فجمع أصحابه الحطب ليوقدوا ناراً لكنه منعهم من ذلك خوفاً أن يكشف العدو قلة عددهم(3) .

ولما علم عمرو بن العاص بكثرة أعدائه تخوف من المواجهة فأرسل رافع بن مكيث الجهني إلى رسول ا صلى ا عليه وسلم يستمده بالرجال، فبعث إليـه أبـا عبيدة بن الجراح ومعه مائتان من سراة المهاجرين والأنصار وفيهم أبوبكر وعمـر ابن الخطاب(4) وأمره أن يلحق بعمرو بن العاص، فخرج أبو عبيدة وسـار حتـى لحق بعمرو وأراد أن يؤم المسلمين في الصلاة فقال له عمرو: إنما قدمت علي مدداً وليس لك أن تؤمني وأنا الأمير, وحاول بعض الصحابة التدخل في الأمر ليـؤم أبو عبيدة المسلمين لسابقته, إلا أن أبا عبيدة منعهم من ذلك, وقبل أن يكون عمـرو إماما والجميع تحت إمرته(5), فكان عمرو يصلي بالناس.

وسار المسلمون جميعاً بقيـادة عمرو لمواجهة أعدائهم, فكانوا كلما انتهوا إلى موضع وسمع الأعداء بوجودهم تفرقوا وغـادروا مكانهم خوفاً من لقـاء

----

(1) ابن سعد، الطبقات الكبرى, ج2 ص131, ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق, ج2 ص22 .

(2) ياقوت الحموي، معجم البلدان,ج2 ص233, الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيـات المـشاهير والإعلام، (المغازي), دار الكتاب العربي، ص513 .

(3) الذهبي، تاريخ الإسلام (المغازي) ص516 .

(4) الواقـدي، المغـازي, ج2 ص770, ابن الزبير، عـروة، مغازي رسـول ا صـلى ا عليه وسلم, مكتب التربية العربي, الـرياض1981م, ص207, الـديـاربكري، تـاريخ الخميس, ج2 ص5.

(5) ابن الزبير، المغازي, ص207, ابن هشام، الـسيرة النبويـة , ج5 ص35, ابـن سـعد، الطبقات الكبرى, ج2 ص31 , ابن عساكر، تـاريخ مدينـة دمـشق, ج2 ص 23- 24, الدياربكري، تاريخ الخميس ج2 ص75 .

المسلمين، فواصل عمرو مسيره بالمسلمين حتى انتهى إلى أقصى بلاد بلـي وعذرة والقين, والتقوا في آخر حملتهم بجمع قليل فقاتلوهم ساعة ثم هرب الأعـداء وتفرقوا, فدوخ عمرو تلك البلاد وأقام أياماً**(1)**، ثم عاد بالمسلمين بعد حملة طـاف بها جنوب الأردن وشمال الجزيرة العربية مؤكداً قدرة المسلمين على الانطـلاق ورد أي اعتداء يستهدف الوجـود الإسلامي .

11.3 سرية عكاشة بن محصن الأسدي إلى الجناب

وكانت هذه السرية في شهر ربيع الأخر سنة 9هـ / 631م، فقد ذكر ابن سعد أنه في هذه السنة كانت سرية عكاشة بن محصن الأسدي**(2)** إلى الجناب، وهـي أرض عـذرة وبلي**(3)**، وذكر ياقوت الحموي: أن الجناب موضع بعراض خيبـر وسَلاح ووادي القرى، وقيل هو من منازل بني مازن، وقال نصر: الجناب من ديار بني فُزارة بين المدينة وفيد**(4)**.

وعكاشـة بن محصن صحابي جليل شهد بدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلهـا مع رسول ا صلى ا عليه وسلم، وكلفه بقيادة سرية من أربعين رجلاً إلى الغمر، فسار في جنده الأربعين ولم يلـقَ كيداً كمـا ذكـر ابن سعـد**(5)**، وشارك فـي

----

(1) الواقدي، المغازي , ج2 ص771 , ابن سعد، الطبقات الكبرى, ج2 ص131, المقريـزي، إمتاع الأسماع , ج1 ص 354, الدياربكري، تاريخ الخميس, ج2 ص75, خليل، دراسة في السيرة، ص300, الزين، سميح، مجمع البيان, ج2 ص652 .

(2) هو عكاشة بن محصن الأسدي بن حرْثان بن قيس بن مرة، ويكنى أبو مِحْصَن، شهد كـل المشاهد مع النبي صلى ا عليه وسلم، واستشهد في حرب المرتدين عندما كلفه خالد بـن الوليد قيادة أحد جيوش المسلمين التي توجهت لمحاربة طليحة وأخيه سلمة(انظـر ابـن سعد، الطبقات الكبرى، ج3، ص92، ابن الطبري، الرسل والملوك، ج3، ص 354، ابن كثير، البداية والنهاية، ج6، ص321 .

(3) ابن سعد، الطبقات الكبرى, ج2 ص164, ابن الجوزي، المنتظم , ج2 ص 422 .

(4) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص 164.

(5) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج3، ص 92.

حروب المرتدين مع خالد بن الوليد عندما كلفه أبو بكر الصديق بمحاربة طليحـة، فبعث خالد عكاشة بن محصن وثابت بن أقرم طليعة له، فالتقيا جمـوع المرتـدين، وانفرد بهما أعداء ا فقتلوهما**(1)** .

ويبدو أن هذه السرية كانت آخر حملة وجهها النبي صـلى ا عليـه وسـلم باتجاه الشمال قبل أن يدعو المسلمين للمشاركة في غزوة تبوك، ولا يـرد أي تفصيلات عن أحـداث هذه السرية أو نتائجها.

----

(2) انظر ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج3، ص 92، الطبري، الرسل والملوك، ج3، ص254، ابن كثير، البداية والنهاية، ج6، ص 321.

الفصل الرابع

غـزوة تبوك

1.4 دوافع وأسباب قيام غزوة تبوك

استوطنت مجموعة من القبائل العربية في تبوك وشمال الجزيرة العربيـة، وكانت قبيلة قضاعة في طليعة هذه القبائل، وأشهر قبائل قضاعة التي سكنت هـذه المنطقة هي بهراء وعذرة وعاملة وسليح, وأقام على مقربة منهم في الجهة الشرقية أبنـاء عمومتهم من قبيلة كندة الذين كان منهم ملـوك دومـة الجنـدل بقلاعهـا المشهورة**(1)**.

وحمل أبناء هذه القبائل بمعتقداتهم ودياناتهم الوثنية أو النـصرانية عـداءاً كبيراً للمسلمين بتحريض من جيرانهم الروم الذين كانوا يرون أن خطر الإسلام بدأ يقض مضاجعهم خاصة بعد الضربة التي وجهها لهم المسلمون في غـزوة مؤتـة, وبعد النصر الكبير الذي حققه المسلمون بفتح مكة ونشر الإسلام فيه، حيث أقبلـت قبائل قريش سيدة القبائل العربية على اعتناق الدين الجديد والدخول في الإسلام, ثم تبعتها في اعتناق الإسلام قبيلتي هوازن وثقيف**(2)**.

وبهذا استطاع المسلمون نشر الاسلام ومد نفوذهم إلى أطراف الجزيرة العربية, وأصبحت أكثر هذه البلاد خاضعة للسيطرة الإسلامية, كما أقبلت كثير من القبائل العربية التي تدين بالنصرانية والخاضعة لحكم الرومان على الدخول في دين الإسـلام**(3)**, ومـن ذلك ما قام به فروة بن عمرو الجذامي أمير معان الذي اعتنق الإسلام ليفتح بذلك الطريق أمام أبناء القبائل العربية للتوجه نحو الدين الجديد وإمكانية قبوله, فكانت ردة الروم على ذلك قوية خاصة بعد أن عرضوا عليه الارتداد عن الإسلام ورفض ذلك؛ حيـث قـاموا بحبسه أول الأمر، ثم أقدموا على قتـله وصلبوه على عين ماء قرب الطفيلة هـي عـين عفراء.

---

(1) باشميل، غوة تبوك, ص50.

(2) ابن هشام، السيرة النبوية, ج5, ص81 وما بعدها, ابن سعد، الطبقات الكبرى, ج2 ص136- 145, 158- 160, باشميل، غزوة تبوك, ص50.

(3) المصري، غزوة تبوك في القرآن الكريم, ص106.

وكانت أكثر القبائل العربية في تبوك وشمال الجزيرة العربية تـدين بولائهـا للدولة البيزنطية (الروم) الذين يكنون العداء للمسلمين, لذلك ظلوا يـشكلون خطـراً على المسلمين خاصة قبائل قضاعة وكندة.

وكان الرومان يعتبرون هذه القبائل بمثابة درع لهم يحمي حدودهم الجنوبيـة لوقف تقدم المسلمين باتجاه الشمال إلى بلاد الشام, خاصة وأن هـذه القبائـل تجيـد حروب الصحراء التي لا يجيدها البيزنطيون, وكـان البيزنطيون يوفـرون لهـذه القبائل كل ما تحتاج إليه من الأسلحة والأدوات التي تلـزم لحراسة حـدود الـشام وشن الغارات على المسلمين أو إعاقة تقدمهم في شمال الجزيرة العربية إذا فكـروا بذلك**(1)**.

كان انتشار الإسلام بين نصارى العرب يقض مضاجع الـروم, لـذلك بـدأوا يفكرون بالقضاء على الإسلام قبل أن يستفحل خطره, فقاموا بحشد الحشود وجمعوا ما تمكنوا جمعه من قوة من نصارى الروم والعرب في الشام بهـدف الانقـضاض على الدولة الإسلامية والتخلص منها, وتم استدعاء أبناء القبائل العربية الموالية لهم في شمال الجزيرة العربية من لخم وجذام وعاملة وغسان, وشكلوا قـوة عـسكرية هدفها ضرب المسلمين, وقدم هرقل إمبراطور بيزنطة لأصحابه مؤونة سنة كاملـة مقدماً**(2)** حتى يتمكنوا من الاستعداد لمهاجمة المسلمين لأنـه يعـرف أن مهمـتهم صعبة وفيها مخاطر كبيرة.

وربما فكرت بعض القبائل العربية إغراء الروم بمهاجمة المـسلمين لأنهـم أحسوا بقدرة المسلمين القضاء على أية قوة تعاديهم في الجزيرة العربية فأرادوا الاستقواء بقوة خارجية تساعدهم ضد المسلمين.

---

(1) باشميل، غزو تبوك, ص52- 53.

(2) ابن سعد، الطبقـات الكبـرى, ج2, ص165, ابـن الجـوزي: المنـتظم, ج2, ص424, الصالحي، محمد بن يوسف سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد, القـاهرة, 1983م, ج5, ص626.

ويقال بأن نصارى العرب كتبوا إلى هرقل أن الرجل الذي خرج ينتحل النبوة- يعنون النبي محمد صلى ا عليه وسلم- قد هلك وأصابت أصحابه شـدة فهلكـت أموالهم فإن كنت تريد أن تحافظ على دينك فلتسرع بالأمر, فبعث رجلاً من أشـهر قادته يعرف باسم (الضناد)، وجهز معه أربعين ألف محـارب لقتـال المـسلمين, فزحفوا حتى وصلت مقدمات جيشهم إلى البلقاء(أي إلى الأردن) وعـسكروا بهـا وبقي هرقل خلفهم في مدينة حمص**(1)**.

وعند الواقدي وابن عساكر أن الأخبار التي وصلت المسلمين لم تكن صحيحة وأن هرقل لم يتحرك ولم يزحف**(2)**, ولكن هرقل بعث رجلاً من الغساسنة إلى النبي صلى ا عليه وسلم لينظر إلى صفته وعلاماته وإلى حمرة عينيه وخاتم النبوة بـين كتفيه، فلما أتاه ورأى تلك العلامات وسأل عنه فإذا هو لايقبل الصَّدَقة، فوعى أشياء من حال النبي صلى ا عليه وسلم، ثم انصرف إلى هرقل فذكر له ذلك عنها، ومن ذلك عرف هرقل أنه النبي الذين يقرأونه في كتبهم، فدعا قومه إلى التـصديق بـه فرفضوا عرضه حتى خافهم على ملكه وهو في مكانه لم يتحرك ولم يزحف**(3)**.

أما أخبار تجمع الروم البيزنطيين فجاءت بها طائفة الأنباط, الـذين سـماهم الواقدي بالساقطة**(4)** فقد كانوا يقدمون إلى المدينة بالدرمك**(5)** والزيت في الجاهلية.

----

(1) الواقدي، المغازي, ج3, ص990, ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق, ج2, ص34, الرشيد، عبدا محمد، القيادة العسكرية في عهد الرسول صلى ا عليـه وسـلم، ط1، دار القلـم، بيروت 1990م، ص280.

(2) الواقدي، المغازي،ج3،ص990، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق, ج2, ص34،37.

(3) الواقدي، المغازي، ج3، ص1018 ـ 1019، وانظر آل يحيـى، سـيف الـدين سـعيد، الحركات العسكرية للرسول الأعظم في كفتي ميزان، الدار العربية للموسوعات، بيروت ـ لبنان 1983م، ص 495.

(4) الواقدي، المغازي، ج3، ص989.

(5) الدرمك: الدقيق الحواري, وقيل الدرموك: الطنفسة (انظر ابن منظور، لسان العرب, ج5, ص251, مادة درمك، وانظر حمادة، فاروق، العلاقات الإسلامية النـصرانية فـي العهـد النبوي، دار القلم، دمشق 2005م، ص 201).

وبعد أن دخل الإسلام كانت أخبار الشام عند المسلمين كل يوم لكثرة من يقـدم عليهم من الأنباط, فذكروا للمسلمين أن الروم قد جمعت جموعاً كثيرة بالـشام وأن هرقل أعطى أصحابه رزق سنة, وجمع معهم من أبناء القبائل العربيـة مـن لخـم وجذام وغسان وعاملة وزحفت مقدماتهم إلى البلقاء وفعل الأنباط ذلك بنـاءً علـى طلب أو بإيحاء من الروم أو من القبائل العربية**(1)**, ربما بهدف اختبار قوة المسلمين ومعرفة مدى استعدادهم للمواجهة والتحرك, فلمـا عرفـوا بتحركـات المـسلمين واجتيازهم إلى تبوك لم يتمكنوا من فعل شيء ولم يتحركوا إليها لأنهم لا يجيـدون القتال أمام المسلمين في الصحراء وفي ظروف الحر الشديد.

وفي رواية أن اليهود هم سبب استنفار المسلمين إلى تبوك عندما جاؤوا إلـى رسول ا صلى ا عليه وسلم وقالوا له: يا أبا القـاسم: إن كنت صادقاً أنك نبي فالحق بالشام فإن الشام أرض المحشر وأرض الأنبياء، فغزا النبي صلى ا عليـه وسلم غزوة تبوك لا يريد إلا الشام(2), فلما بلغ تبوك أنزل ا تعالى عليه آيات من القرآن الكريم: (وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها وإذاً لا يلبثـون خلافك إلا قليلاً)(3).

ولما كان الإسلام دين عام شامل لجميع الناس فإن مسؤولية نشره هـي مـن واجب المسلمين؛ لذلك وجد النبي صلى ا عليه وسلم أن الظروف التـي حـدثت فرصة تساعد المسلمين في نشره خارج الجزيرة العربية باتجاه الشمال إلـى بـلاد الشام**(4)** ليعلم أصحابه أن الدور القادم هو الخروج بهذا الـدين لإعلانـه ودعـوة الناس خارج الجزيرة العربية إليه، وهي مسؤولية كبيرة تحتاج إلى الجهد والتعب فرغب بهذه الغزوة تدريب المسلمين على الحروب البعيدة الصعبة وتحمل المـشقة لأن الأيام القادمة ستشهد اصطداماً بالدول المجاورة.

----

(1) الواقدي، المغازي, ج3, ص989- 990, ابن عساكر, تاريخ كمدينة دمشق, ج2, ص34.

(2) السندي، الذهب المسبوك, ص62.

(3) سورة الإسراء، الآيات 71- 72.

(4) خطاب، محمود شيت، الرسول القائد، ط5، دار الفكر، 1974م، ص 395.

ويمكن تلخيص العوامل والأسباب التي أدت إلى قيام غزوة تبوك بما يلي:

1- ازدياد قوة الدولة الإسلامية، وتحول المسلمين من جماعة مضطهدة ملاحقة إلى دولة يحسب حسابها في البلاد المجاورة للجزيرة العربية، ويبدو ذلك من الرعب الذي أصاب الدول الكبرى من قيام دولة الإسلام خاصة الدولة البيزنطية.

2- خوف الدولة البيزنطية من قيام دولة المسلمين باجتياز حدودها الشمالية والغربية الأمر الذي يفتح لهم المجال باقتطاع هاتين الولايتين، وربما تمكنوا من استمالة أهل هذه البلاد للإسلام، وهذا لايعجب الدولة البيزنطية؛ لذلك فكرت بتجميع قوتها ومباغتة المسلمين بمهاجمتهم من تبوك أقرب الولايات لدولة الإسلام.

3- القضاء على منافسة المسلمين للدولة البيزنطية في السيطرة على العرب الخاضعين لبيزنطة ووقف انتشار الدعوة الإسلامية إلى بلاد الشام**(1)**.

4- ذكريات مؤتة المؤلمة للدولة البيزنطية مع المسلمين**(2)** جعلتهم يتخوفون مما قد يصيبهم في حال إعداد جيش إسلامي كبير.

5- جدية الرسول صلى ا عليه وسلم في التعامل مع الدول المحيطة بدولة الإسلام، فقد أرسل عليه الصلاة والسلام الرسائل إلى ملوك البلاد المجاورة، منها رسالة إلى هرقل عظيم الروم، يدعوه فيها إلى ترك دينه واعتناق الإسلام، وكان هرقل رغم اللهجة اللطيفة الطيبة في الرسالة يعتبرها تتضمن التهديد غير المباشر، عندما قال له : "أسلم تسلم يؤتك ا أجرك مرتين،فإن توليت فإنما عليك إثم الأريسيين"**(3)**؛ فهو يحمله ذنب أتباعه، ومن غير المستبعد أن يسعى لاكتساب الأتباع من البيزنطيين المقهورين على طاعة هرقل.، وهذا الأمر كان يقض مضجع هرقل ويخيفه على مستقبل دولته.

----

(1) آل يحيى، الحركات العسكرية، ص496.

(2) انظر الطبري، الرسل والملوك، ج3، ص 36 وما بعدها، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج2، ص 158 ـ 161.

(3) انظر ابن خلدون، العبر،ج2، ص36.

6- غرور القوى الكبرى وفي طليعتها بيزنطة فهي لاتقبل بوجود قوة أخرى إلى جوارها ، لذلك فإنها لا تسمح بظهور الدولة الإسلامية كقوة يحسب حسابها، لأن امبراطور بيزنطة يعتبر هذا انتقاصاً من أهمية وقدر الدولة البيزنطية، كما أن طبيعة الأديان الأخرى لاترضى بوجود الإسلام مصداقاً لقول الله عز وجل: " ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم، قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير"**(1)** .

7- وجود جماعات خارج الطرفين تدفع باتجاه الحرب والتصادم بين المسلمين وبيزنطة لأن مصالحها تقتضي ذلك، كاليهود والأنباط، وربما بعض القبائل العربية الموالية للدولة البيزنطية.

2.4 تسمية غزوة تبوك

سميت غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي غزاها في رجب سنة 9هـ/631م بغزوة تبوك، وغزوة العسرة**(2)**، وسميت بغزوة تبوك لأن وجهتها كانت مدينة تبوك، أو لأن النبي صلى الله عليه وسلم توقف عند مدينة تبوك ولم يتجاوزها وإنما بثّ سراياه وقادته إلى البلاد المجاورة ودعوة أهلها إلى الإسلام.

ووصلت أخبار حشود الروم إلى الرسول صلى الله عليه وسلم في وقت كان فيه المسلمون يعانون من الجدب والجفاف**(3)**.

---

(1)سورة البقرة، الآية 120.

(2) ابن الزبير، مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ص220، البخاري، محمد بن إسماعيل(ت 256هـ/70م)، صحيح البخاري، اعتنى به أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، الرياض 1998م، ص833 ، الطبري، الرسل والملوك،ج3،ص101، ابن حجر العسقلاني(ت 852هـ/1448م)، غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم من فتح الباري، اختيار الشيخ محمد عبدالسلام سلاطين، المكتبة المصرية ، الاسكندرية 2004م، ص5.

(3) ابن الزبير، المغازي، ص220, ابن هشام: السيرة, ج5, ص195, الطبري، الرسل والملوك, ج3, ص101, ابن الأثير، الكامل, ج2, ص189.

واستدعى هذا الأمر تسمية الغزوة بغزوة العسرة(1), فيذكر أن المسلمين كانوا يواجهون عسرة في الماء وعسرة في النفقة وعسرة في الظهر(2) لما كـان يعانيـه المسلمون من الضيق والشدة، وربما سميت كذلك لما كان ينتظر المسلمين من حـر شديد وبعد في المسافة التي سيقطعونها باتجاه تبوك أو منطقة الغزو, خاصـة وأن وقت الغزو جاء في الفترة التي تنضج فيها الثمار ويحب الناس فيها الإقامة بالظلال في وقت الحر الشديد(3), أو لأن الإعداد لمثل هذه الغزوة أمر عسير وصعب لمـا يحتاج إليه من مال ومتاع وزاد ورواحل تحمل المقاتلين وما يحتاجون إليه في مثل هذه الرحلة الطويلة باتجاه تبوك.

لم يكن ميسوراً على جميع المسلمين إعداد أنفسهم خاصة في ظـل الـضائقة المادية التي كان عليها الناس في ذلك الوقت, وعليه فقد سميت هذه الغزوة بغـزوة العسرة؛ إذ كان يتعسر عى أغلب المسلمين تجهيز أنفسهم للمـشاركة فيهـا؛ فجـاء سخاء الصحابة وتبرعهم بالأموال الهائلة ليحل هذه المشكلة العسيرة أمثال عثمان بن عفان رضي ا عنه تعالى وأبو بكر الصديق وعبد الرحمن بن عوف(4) رضي ا عنهم، وربما جاءت التسمية أيضاً لأن المسلمين في رحلتهم ما بين المدينة وتبـوك تعرضوا للضيق والجهد والجوع والعطش حتى قيل أن الرجلين كانا ليشقان التمـرة بينهما وأنهم ليمصون التمرة الواحدة ويشربون عليها الماء(5)، ولا يكون هذا الأمر إلاّ عندما يشارف الناس على الهلاك ولا يجدون ما يأكلون.

----

(1) ابن عساكر، تاريخ دمشق, ج2, ص28, ابن كثير، البداية والنهاية, ج5, ص9.

(2) الطبري، السيرة النبوية, ص323, ابن عبد البر، الدرر, ص238, العامري، بهجة المحافل وبغية الأماثل في تلخيص المعجزات والسير والشمائل, دار صادر, ص29- 30, الـديار بكري, تاريخ الخميس, ج2, ص123.

(3) ابن هشام، السيرة النبوية, ج5, ص195، ابن سـعد، الطبقـات الكبـرى, ج2,ص165, الطبري، الرسل والملوك, ج3, ص101, ابن كثير، البداية والنهاية, ج5, ص4, السندي، الذهب والسبوك, ص74.

(4) الواقدي، المغازي, ج3 ص1991, ابن هشام، السيرة النبوية, ج5, ص197.

(5) السندي، الذهب المسبوك, ص55.

وفي تاريخ الخميس أن هذه الغزوة سميت الفاضحة لأن الله سبحانه وتعالى فضح فيها أمر المنافقين وكشفهم للمسلمين(1)، ويمكن بيان أشكال العسرة كما يلي:

1- الحر الشديد

فالمناطق التي سيسلكها المسلمون باتجاه تبوك لمواجهة العدو صحراء قاحلة وفي وقت كان فيه الحر شديداً في الصيف، وفي هذه الفترة يرغب الناس في الركون إلى الراحة في الظل ابتعاداً عن شدة الحرارة(2).

استغل المنافقون ذلك إرجافاً برسول الله صلى الله عليه وسلم، وقالوا لا تنفروا في الحر لتثبيط المسلمين عن الخروج مع النبي عليه الصلاة والسلام، فرد الله كيدهم وأنزل قوله تعالى: "فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قُل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون"(3).

2- القحط وقلة الزاد

فقد تزامنت هذه الغزوة مع سنة جدب وحدوث قحط في البلاد، وكانت الثمار لم تنضج بعد(4) الأمر الذي يجعل من تجهيز الجيش وإعداد نفقة تكفيه للسفر البعيد مع ما يلزمه من عدة حربية لملاقاة الدولة البيزنطية أمراً في غاية الصعوبة، وبلغ الأمر من الصعوبة أن ذكر البعض أنه كان زادهم التمر المتسوس والشعير المتغير والإهالة المنتنة، وكان النفر يخرجون ما معهم إلاّ التمرات يتقاسمونها ، فإذا بلغ الجوع من أحدهم أخذ التمرة فلاكها حتى يجد طعمها، ثم يعطيها صاحبه حتى يشرب عليها جرعة من ماء ثم يتادلونها حتى تأتي على آخرهم فلا يبقى م التمرة إلاّ النواة، فهذه الأمور تجعل الأمر صعباً وعسيراً على المسلمين.

---

(1) الديار بكري، تاريخ الخميس، ج2، ص122، العامري، بهجة المحافل، ج2،ص31.

(2) الطبري، تاريخ الرسل، ج3، ص101، حمادة، العلاقات الإسلامية، ص202.

(3) سورة التوبة، الآية 81 .

(4) ابن هشام، السيرة النبوية، ج5، ص195، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج3،ص101، ابن لأثير، الكامل، 2، ص 189.

3- بُعد المسافـة :

وكانت المسافة التي على المسلمين أن يقطعوها للوصول إلى عدوهم طويلـة جداً فتبوك على أطراف الشام**(1)** وتبعد عن المدينة المنورة أربع عـشرة مرحلـة عبر مسافة بعيدة مهلكة، فكانت رحلة خطيرة عبر هذ المسافة الطويلة، قال تعـالى: "لو كان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسـيحلفون با لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم وا يعلم إنهم لكاذبون"**(2)**.

وهذه صعوبة أخرى فبعد المسافة جعل الأمر شاقاً على المسلمين حتى أن ا سبحانه وتعالى أورد ذكر هذه المسافة البعيدة بالشقة عندما فضح المنافقين وكـشفهم أشار إلى أنها بعدت عليهم الشقة؛ فطول المسافة وما يتبع ذلك من مخاطر دعى إلى تسميتها بغزوة العسرة.

4- دور المنافقين في تصعيب المهمة

فقد استخدم المنافقون الدعاية الكاذبة لزرع الشك في نفوس المسلمين لتثبيطهم عن مشاركة رسول ا صلى ا عليه وسلم ، وكان لهذه الدعاية تأثير كبير علـى ضعاف النفوس من المسلمين حتى تخاف بعضهم عن الخروج في هذه الغزوة .

وبعضهم بخلوا وضنوا عن المشاركة بالمال لتجهيز الجيش، وكان في طليعة المنافقين المرجفين بالمسلمين رأس النفاق عبدا بن أبي الذي ضرب معسكره نحو ذباب**(3)** ، فلما سار المسلمون تخاف عن المسير معهم**(4)**.

كانت هذه الأعمال والتصرفات التي يقوم بها المنافقون من تشكيك وتثبـيط لهمم وعزائم الناس يزيد من الصعوبات التي تواجه المسلمين، ويجعـل القيـام بالغزوة أمراً عسيرا وبالغ الصعوبة لذلك سميت غزوة العسرة.

---

(1) ابن هشام ، السيرة النبوية، ج5، ص 195، الطبـري، تـاريخ الرسـل والملـوك،ج3، ص101.

(2) سورة التوبة ، الآيـة 42.

(3) ذِباب: بكسر أوله جبل قرب المدينة المنورة(انظر يـاقوت الحمـوي، معجـم البلـدان، ج3،ص3.

(4) ابن هشام، السيرة النبوية، ج5، ص 199،

3.4 التهيوء والاستعداد للغزو

استشار النبي صلى ا عليه وسلم أصحابه فيما وصلت إليه من أخبار عن الروم البيزنطيين وتحركاتهم لمهاجمة المسلمين، فوجدوا أن الأمر يحتاج إلى تصرف مناسب من المسلمين حتى لا يطمع بهم الأعداء فبقاء المسلمين في المدينة ينتظرون قدوم الأعداء إليها سيجعل الأعداء يتمادون على المسلمين، وربما سيدفع بعض القبائل العربية إلى الوقوف مع الدولة البيزنطية وحلفائها، وانتهوا إلى أن أفضل السبل للرد عليهم هو الخروج إليهم ومحاربتهم بعيداً عن المدينة المنورة.

ثم قرر النبي صلى ا عليه وسلم أن يتوجه على رأس جيش إسلامي إلى شمال الجزيرة العربية إلى تبوك لمواجهة التجمعات المعادية للإسلام والمسلمين وكان هذا الأمر يستدعي إعداداً كبيراً وجيشاً قادراً على اجتياز الصحراء اللاهبة, لهذا أعلن عن نيته غزو تبوك لرد تجمع الأعداء رغم أنه كان من عادته إذا أراد الغزو ألاّ يصرح بذلك كي يفاجيء أعداءه**(1)**.

كان النبي عليه الصلاة والسلام يرمي من هذا الإعلان والتصريح عن نيته التوجه للغزو هو أن يتأهب المسلمون لذاك, ليعدوا للأمر عدته**(2)**, وأخذ عليه الصلاة والسلام يحض أهل الغنى واليسار من المسلمين للإنفاق والتبرع في سبيل ا **(3)** ليتمكن المسلمون من إعداد القوة التي تلزم للقيام بهذه المهمة الصعبة.

----

(1) ابن هشام: السيرة النبوية, ج5, ص195, ابن سعد، الطبقات الكبرى, ج2, ص165، الطبري، الرسل والملوك, ج3, ص101, ابن الجوزي، المنتظم, ج2, ص424, ابن كثير، البداية والنهاية, ج5, ص4.

(2) الواقدي، المغازي، ج3،ص990، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج2، ص32، المصري، غزوة تبوك، ص108..

(3) الطبري، الرسل والملوك, ج3, ص102, الصالحي، محمد بن يوسف، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد, دار الكتب العلمية, بيروت, ج5, ص435, آل يحيى، الحركات العسكرية للرسول الأعظم في كفتي ميزان, الدار العربية للموسوعات, بيروت, 1983م, ج2, ص497.

بعد أن اتخذ النبي صلى الله عليه وسلم قرار المواجهة، رأى أن الأمر لن يكون من السهولة بمكان وأنه يحتاج إلى عدة كبيرة فلا بد من الاستعداد لذلك وتهيئة المسلمين ليكونوا على أعلى درجات الاستعداد للحرب قبل مسيرهم إلى الروم.

لذلك وبعد أن أعلن عليه الصلاة والسلام أمر هذه الغزوة للناس فقد بدأ يعد للأمر عدته، وأعلن النفير العام بين جميع المسلمين في المدينة المنورة وفي جميع البلاد والنواحي التابعة لدولة الإسلام، فبعث عليه الصلاة والسلام رسله في النواحي المسلمة يستنفرهم ويدعوهم للمشاركة في الجهاد ضد أعداء المسلمين وتهيئة المقاتلين والمحاربين والمشاركة في تقديم المساعدة بكل الأشكال المعروفة أنذاك، فبعث إلى قبيلة أسلم وأرسل إليهم بريدة بن الحصيب، وأرسل أبا ذر الغفاري إلى غفار، وأرسل أبا واقد الليثي إلى قومه، وأبا الجعد الضمري إلى قومه بالساحل، ونعيم بن مسعود الأشجعي إلى أشجع، وبعث إلى بني سليم وجهينة وغيرهم من القبائل العربية التي كانت قد انضمت إلى المسلمين بدخول أبنائها في الإسلام**(1)**.

وفي المدينة المنورة أخذ عليه الصلاة والسلام يحض المسلمين على التطوع بالمال والزاد والمتاع، ويبين لهم فضل الجهاد وإعداد المجاهدين وتجهيزهم، فبدأ المسلمون بالاستجابة لنداء النبي صلى الله عليه وسلم، وراحوا يتسابقون في الاستعداد وبذل ما يستطيعون من مال وسلاح ومتاع وطعام وركائب وغير ذلك.

وأقبل أغنياء المسلمين من الصحابة يتوافدون لتقديم تبرعاتهم للمساهمة في تجهيز هذه الحملة من مال وسلاح وطعام ووسائل نقل من خيول وجمال وغيرها, وكان تبرعهم بسخاء عظيم؛ فقد تبرع عثمان بن عفان رضي الله عنه بتجهيز ثلث جيش المسلمين وتموينه**(2)** أي تجهيز ما يقارب العشرة آلاف مقاتل من المسلمين لأن عدد الجيش كله بلغ ثلاثون ألفاً.

---

(1) انظر حمادة، العلاقات الإسلامية النصرانية، ص 202.

(2) الواقدي، المغازي، ج3،ص991، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج2، ص 35.

وقيل أن عثمان تبرع بثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها وعدتها ووضع في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ألف دينار من الذهب(1) فقال عليه الصلاة والسلام: اللهم أرض عن عثمان فإني عنه راضٍ(2), وفي رواية أنه كان يقلبها بين يديه ويقول: ما ضر ابن عفّان ما عمل بعد اليوم(3).

ويذكر الحلبي في السيرة الحلبية(4), أن عثمان بن عفان رضي الله عنه جهز عشرة آلاف من المقاتلين أنفق عليهم عشرة آلاف دينار غير الإبل والخيل وهي تسعمائة بعير ومائة فرس والزاد وما يتعلق بذلك حتى ما تربط به الأسقية, وفي كلام بعضهم أنه أعطى ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها وخمسين فرساً وعند ذلك قال صلى الله عليه وسلم: اللهم ارض عن عثمان فإني راضٍ عنه, وجاء رضي الله عنه بألف دينار فصبها في حجر النبي صلى الله عليه وسلم, فجعل عليه الصلاة والسلام يقلبها بيديه ويقول: ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم(5).

وفي رواية أنه جاء بعشرة آلاف دينار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فصبت بين يديه, فجعل صلى الله عليه وسلم يقلبها ظهراً لبطن ويقول: غفر الله لك يا عثمان ما أسررت وما أعلنت وما كان منك وما هو كائن إلى يوم القيامة, ما يبالي ما عمله بعدها, ولعل هذه العشرة آلاف هي التي جهز بها العشرة آلاف إنسان وهي غير الألف التي صبها في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم(6).

----

(1) السندي، الذهب المسبوك، ص206، المصري، غزوة تبوك، ص109.

(2) ابن هشام، السيرة النبوية،ج5،ص197، الحلبي، السيرة الحلبية ، ج3، ص100.

(3) ابن حنبل، مسند الإمام أحمد، ج5، ص 53، ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج2، ص35.

(4) الحلبي، برهان الدين(ت 1044هـ/1634م)، السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون, دار المعرفة, ج3, ص100, وفي بهجة المحافل أن عثمان رضي الله عنه أنفق ألف دينار وحمل على تسعمائة وخمسين بعيراً وخمسين فرساً لذلك قيل له مجهز جيش العسرة (انظر العامري: بهجة المحافل, ج2, ص30).

(5) وفي تاريخ الخميس أن عثمان حمل جيش العسرة على ألف بعير وسبعين فرساً (انظر الديار بكري: تاريخ الخميس, ج2, ص123.

(6) الحلبي: السيرة الحلبية, ج3, ص100.

وتصدق أبو بكر رضي ا عنه, فكان أول من جاء يتصدق لتجهيـز جـيش المسلمين حيث جاء بماله كله, فقال رسول صلى ا عليه وسلم: هل أبقيت لأهلـك شيئاً ؟ قال: أبقيت لهم ا ورسوله (1), وتصدق عمر بن الخطاب رضي ا تعالى عنه بنصف ماله(2), وقيل بمائة أوقية ، وتصدق عبد الرحمن بن عـوف بمـائتي أوقية، وتصدق عاصم بن عدي الأنصاري بتسعين وسقاً من تمر(3), وقيل بسبعين وسقاً, ولكثرة ما أنفق عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف ذكر الحلبي أنه قيـل أن عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف رضي ا تعالى عنهما كانا خزينتين من خزائن ا في الأرض ينفقان في طاعة ا (4).

وجاء المسلمون أغنياء وفقراء يقدمون مما رزقهم ا سبحانه وتعالى، فجـاء العباس بن عبد المطلب بمال كثير, وكذلك سعد بن عبادة، ومحمد بن مسلمة دون أن يحدد مقدار المال(5), حتى من لم يكن عنده غير صاعين من تمر كان يأتي النبـي صلى ا عليه وسلم بصاع يتبرع بها ويترك لأهله صاعاً يقتاتون بها(6) .

ولم تقتصر المشاركة في الاستعداد والتهيوء للغزو على الرجال وحدهم، وإنما اشتركت النساء في التبرع لإكمال تجهيز جيش المسلمين, فمن كانت تملك الـدنانير أو الدراهم تصدقت منها, ومن لم تجد تصدقت بما كان لديها من الحلي أو ما تملـك من المسك أو الخلاخيل والمعاضد والأقرطة والخواتم وغيرها (7).

---

(1) الواقدي: المغازي, ج3, ص991, السندي: الذهب المسبوك, ص189.

(2) الصالحي: سبل الهدى والرشاد, ج5, ص682- 629.

(3) الواقدي، المغازي, ج3, ص991, ابن عساكر, تاريخ مدينة دمشق, ج2, ص35, الحلبـي: السيرة الحلبية, ج3, ص100, والوسق: حمل بعير.

(4) الحلبي: السيرة الحلبية, ج3, ص100, 101.

(5) الواقدي: المغازي, ج3, ص991, ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق, ج2, ص35, وانظـر أبو خليل، شوقي: تبوك غزوة العسرة, دار الفكر, دمشق 1986م, ص24.

(6) ابن عساكر، تاريخ دمشق, ج2, ص29, السندي: الذهب المسبوك, ص193.

(7) انظر الواقدي: المغازي, ج3, ص992, ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق, ج2, ص35.

وحاول المنافقون التشكيك بما كان يقدمه المسلمون من تبرعات وأموال بهدف تثبيط عزائمهم إلا أن الله سبحانه وتعالى رد كيدهم، وواصل المسلمون الإعداد والاستعداد دون اعتبار لمحاولات المغرضين والمشككين, حتى جهز المسلمون جيشاً يقدر بثلاثين ألف مقاتل, وهو جيش لم يسبق للمسلمين أن أعدوه في غزوة أو اجتمع إليهم مثله, حتى أن بعض المسلمين من الراغبين في المشاركة لم يجدوا ركائب يستخدمونها في أسفارهم لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يسمح لأحد بالمشاركة إذا لم يكن مجهزاً ولديه وسيلة نقل مناسبة بسبب بعد المسافة, وكان بعض الجنود المسلمين يتناوبون ركوب البعير اثنين أو ثلاثة**(1)**.

وبعث النبي صلى الله عليه وسلم يستنفر المسلمين خارج المدينة المنورة في مكة المكرمة وبوادي العرب, فأرسل إلى القبائل العربية رجالاً من أبنائها يستحثونها على المشاركة في هذه الغزوة وممن أرسلهم**(2)**:

1- أبو واقد الليثي ـ إلى بني ليث من كنانة.
2- أبو الجعد الضمري ـ إلى بني ضمرة بالساحل.
3- أبو رهم الغفاري ـ إلى بني غفار.
4- بريدة بن الحصيب ـ إلى أسلم بين مكة والمدينة, وأمره أن يبلغ الفرع**(3)**.
5- جندب بن مكيث ـ إلى جهينة.
6- رافع بن مكيث ـ إلى جهينة.
7- العباس بن مرداس ـ إلى سليم.
8- نعيم بن مسعود ـ إلى أشجع.
9- بديل بن ورقاء ـ إلى خزاعة.
10- عمرو بن سالم ـ إلى خزاعة.
11- بشر بن سفيان ـ إلى خزاعة.

----

(1) الواقدي، المغازي, ج3, ص990, ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق, ج2, ص34, الطبري، الرسل والملوك, ج3, ص102-103, ابن الأثير، الكامل, ج2, ص190.
(2) الواقدي، المغازي, ج3, ص990, السندي، الذهب المسبوك, ص77.
(3) الواقدي، المغازي, ج3, ص990.

وبلغت استعدادات المسلمين أوجها بما اجتمع للنبي عليه الصلاة والسلام من السلاح والمال والزاد وأدوات الركوب, حيث بلغ عدد الجيش الذي تهيأ للمسلمين ثلاثين ألفاً, واثني عشر ألفاً من الإبل, وعشرة آلاف من الخيول**(1)**.

وفي السيرة الحلبية رواية تذكر أن عدد الجيش كان أربعون ألفاً, وقيل سبعون ألفاً, وكانت الخيل عشرة آلاف فرس وقيل زيادة ألفين أي اثني عشر ألفاً**(2)**, إلا أن الأصح أن عدد جيش المسلمين كان ثلاثون ألفاً وهو ما اتفقت عليه معظم المصادر.

وبعد أن اكتملت استعدادات المسلمين قرر النبي صلى ا عليه وسلم السير, وكان ذلك في فصل الصيف اللاهب, وعند عروة ابن الزبير أن خروج النبي صلى ا عليه وسلم كان في فصل الخريف, وهي فترة تشتد فيها الحرارة كثيراً, ففي أوائل الخريف وهو الميزان يكون فيه الحر شديداً**(3)**.

ولم ينتظر عليه الصلاة والسلام انقضاء فصل الصيف وذلك لأن الأخبار التي وصلت إليه بأن حشود الرومان والقبائل العربية المنتصرة الموالية لهم في الشمال في بلاد الشام يدعو إلى القلق**(4)**, كما كان عليه الصلاة والسلام يرغب في اختبار معنويات جندة الخارجين معه**(5)**, ويريدهم من أصحاب العزيمة وحتى لا يفسح المجال لمشاركة أحد من المنافقين أو ضعاف النفوس, فالخروج في وقت شديد الحرارة وإلى مسافات بعيدة لا يخرج فيه إلا من كان صادق الإيمان قوي العزيمة, وبهذا يضمن عليه الصلاة والسلام أن يكون جيشه قادراً على تحمل المشقة والصعاب وعلى مواجهة أقسى الظروف وأشد الأزمات في مواجهة العدو.

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم, ج2, ص425.

(2) الحلبي، السيرة الحبية, ج3, ص102.

(3) ابن الزبير، المغازي, ص220, الحبي، السيرة الحلبية, ج3, ص99, آل يحيى، الحركات العسكرية للرسول الأعظم, ج2, ص497.

(4) باشميل، غزوة تبوك, ص62.

(5) آل يحيى، الحركات العسكرية للرسول الأعظم, ج2, ص497.

ومن جهة أخرى فإن العدو إذا ما علم بمسير جيش المسلمين في مثـل هـذه الأحوال فإنه يتأكد أن جيشاً كهذا ويخرج في أصعب الأوقات وإلى مسافات بعيـدة عبر صحراء لاهبة يصعب أن يهزم, وهذا الأمر أضاف الكثيـر إلـى معنويـات المسلمين واضعف من معنويات أعدائهم الذين لم يتمكنوا من الصمود حتى وصـول المسلمين, وكانوا مستأجرين لأعداء المسلمين, لكن ذلك لم يؤثر على قـوة الجـيش الإسلامي وتماسكه بوجود النبي صلى ا عليه وسلم.

4.4 الجماعات المتخلفة عن المشاركة في غزوة تبوك

تخاف كثير من الناس عن الخروج مع المسلمين في غزو تبوك بعضهم مـن المسلمين وبعضهم من المنافقين ولهذا سنميز بين هذين النوعين من المتخلفين:-

أ - المتخلفين من المسلمين:

وهؤلاء على ثلاثة أقسام؛ هي: المكلفون بالبقاء في المدينة بأمر النبي صلى ا عليه وسلم، والمتخلفون بعذر كالمرضى والعجزة، والمتخلفون العـصاة، وفيمـا يلي بيان لهذه الأقسام الثلاثة:

1ـ **المأمورون بالبقاء في المدينة:** وهم الذين أمرهم النبي صلى ا عليه وسـلم بالبقاء في المدينة لرعاية أهلها أو الإشراف على إدارتها وحمايتهـا، وهـؤلاء لايعدوا متخلفين عن الخروج لأنهم مكلفون أو مأمورون بعمل أو أعمـال مـن النبي صلى ا عليه وسلم كعلي بن أبي طالب ومحمد بن مسلمة وابن أم مكتوم وغيرهم**(1)**.

2ـ **المعذورون:** ومنهم الضعفاء والمرضى الذين لايستطيعون الخروج لعدم قدرتهم أو لعدم استطاعتهم على الخروج، ومنهم **البكاؤون**, وكانوا غير قـادرين علـى توفير وسائل نقل لهم ليتمكنوا من المشاركة في هذه الغزوة, فجاؤوا إلى رسول ا صلى ا عليه وسلم واستحملوه (أي طلبو منه مـا يحملهـم عليـه) فقـال

----

(1) الرشيد، القيادة العسكرية، ص 284.

لهم: لا أجد ما أحملكم عليه, فعادوا من عنده يبكون(1), وقد أشار القرآن الكريم إلى أعذارهم فأسقط التكليف عنهم لعجزهم نتيجة الضعف وكبر السن أو المرض، وفيهم نزل قول الله تعالى: (ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لايجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم * ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون)(2).

وكان عدد هؤلاء البكائين سبعة رجال كما ورد في المصادر هم(3):

1 ـ سالم بن عمير. 2 ـ علية بن زيد.

3 ـ أبو ليلى عبد الرحمن بن كعب 4 ـ عمرو بن الحمام.

5 ـ هرمي بن عبد الله. 6 ـ عرباض بن سارية.

7 ـ عبد الله بن معقل المزني, وقيل عبد الله بن عمرو.

وفي رواية ابن اسحاق أن ابن يامين بن عمير بن كعب النضري لقي اثنين منهم هما:

1 ـ أبا ليلى عبد الرحمن بن كعب 2 ـ وعبد الله بن معقل

وهما يبكيان, فسألهما ما يبكيكما؟ فقالا: جئنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحملنا فلم نجد عنده ما يحملنا عليه وليس عندنا ما نتقوى به على الخروج معه, فأعطاهما جملاً له ليركباه وزودهما شيئاً من التمر, فخرجا مع المسلمين في الغزوة(4).

----

(1) ابن سعد، الطبقات الكبرى, ج2, ص165, الطبري، الرسل والملوك, ج3, ص102.

(2) سورة التوبة، الآيتان 91 ـ 92.

(3) انظر بن هشام، السيرة النبوية, ج5, ص197- 198, ابن سعد، الطبقات الكبرى, ج3, ص165, ابن الجوزي، المنتظم, ج2, 424, ابن كثير، البداية والنهاية, ج5, ص6, الصالحي، سبل الهدى والرشاد, ج5, ص633-634.

(4) ابن هشام، السيرة النبوية, ج5, ص198, الطبري، الرسل والملوك, ج3, ص102.

وكذلك تخاف عن الخروج إلى الغزو رجال من المسلمين دون ارتياب منهم, وكانوا رجال صدق لا يتهمون في إسلامهم منهم أبو خيثمة أخو بني سالم بن عوف**(1)**, وأبو ذر الغفاري**(2)** .

ولحق أبو خيثمة وأبو ذر بالنبي صلى الله علية وسلم, فبعد أن سار عليه الصلاة والسلام أياماً رجع مالك بن قيس "عبد الله بن خيثمة السالمي"**(3)** (أبو خيثمة) حتى دخل على أهله في يوم حار, فوجد امرأتين له في عريشين لهما في حائطه قد رشت كل واحدة منهما عريشها وبردت فيه ماءً وهيأت له فيه طعاماً, فلما دخل قام على باب العريش فنظر إلى امرأتيه وما صنعتا له, فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وهو في الشمس والريح والحر وأبو خثيمة في ظل بارد وطعام مهيأ وامرأة حسناء في ماله مقيم, ما هذا بالنصف, والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله صلى الله عليه وسلم, فهيئا لي زاداً, ففعلتا, ثم قدم بعيره فركبه وخرج يطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لحقه بتبوك, ودعا له الرسول صلى الله عليه وسلم بخير**(4)**, وقال أبو خثيمة في ذلك أبياتاً شعرية منها**(5)**:

----

(1) انظر ابن هشام، السيرة النبوية, ج5, ص198- 199, ابن سعد، الطبقات الكبرى, ج2, ص166, ابن كثير، البداية والنهاية, ج5, ص7, الحلبي السيرة الحلبية, ج3, ص104.

(2) لم يتخاف أبو ذر عن الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم, وإنما تخاف عن المسير مع الجيش لأن بعيره كان ضعيفاً لم يستطع السير فتأخر يعلفه أياماً ثم يحلق بالمسلمين (انظر الواقدي، المغازي, ج3, ص1000, ابن كثير، البداية والنهاية, ج5, ص9).

(3) هذا اسمه عند الواقدي بينما يذكر ابن هشام أن اسمه مالك بن قيس (انظر ابن هشام: السيرة النبوية, ج5, ص201, ابن كثير: البداية والنهاية, ج5, ص8، فاروق حمادة، العلاقات الإسلامية، ص207).

(4) الواقدي: المغازي, ج3, ص998- 999, ابن هشام: السيرة النبوية,ج5, ص200- 201, الطبري: الرسل والملوك, ج3, ص104, ابن كثير: البداية والنهاية, ج5, ص8.

(5) ابن هشام: السيرة النبوية,ج5, ص201, ابن كثير: البداية والنهاية, ج5, ص8.

لما رأيت الناس في الدين نافقوا   أتيت التي كانت أعف وأكـرما
وبايعت باليمنى يـدي لمحمد   فلم اكتسب إثماً ولم أغش محرماً
تركت خضيباً في العريش وصرمة   صفايـا كراماً بشرها قد تحمما
وكنت إذ شك المنـافق أسمحت   إلى الدين نفسي شطره حيث يمما

ولما سار رسول ا صلى ا عليه وسلم كان إذا تخاف رجـل عـن الجـيش يقولون:يا رسول ا : تخاف فلان, فيقول: دعوه فإن يكن فيه خير فسيلحقه ا تعالى بكم, وإن يكن غير ذلك, فقد أراحكم ا منه,وكان أبو ذر (جندب بن جنادة)**(1)** يملك بعيراً ضعيفاً بطيء السير وربما كان ذلك بسبب كبره أو لمرض أو علة به, فأبطـأ به بعيرة, وتأخر يعلفه عدة أيام لعله يتمكن من مواصلة السير, ولمـا تـأخر عـن المسلمين, قالوا: يا رسول ا : قد تخاف أبو ذر وأبطأ به بعيره, فقال عليه الصلاة والسلام: فإن يك فيه خيراً فسيلحقه ا بكم, وإن يك غير ذلك فقد أراحكم ا منه, ولما تأخر أبو ذر كثيراً وخذله بعيره لضعفه أخذ متاعه فحمله على ظهره وترك البعير وتبع أثر رسول ا صلى ا عليه وسلم ماشياً على قدميه, ونزل المـسلمون على الطريق في أحد المنازل فنظر ناظر من المسلمين فقال: يا رسول ا : إن هذا رجل يمشي على الطريق وحده, فقال عليه الصلاة والسلام: كن أبا ذر، فلما تأملـه القوم, قالوا يا رسول ا : هو أبو ذر, فقال صلى ا عليه وسلم: يرحم ا أبـا ذر يمشي وحده, ويموت وحده, ويبعث وحده**(2)**.

3ـ المتخلفون العصاة:

وكذلك تخاف عن الخروج إلى الغزو رجال من المسلمين دون ارتياب مـنهم, وكانوا رجال صدق لا يتهمون في إسلامهم منهم كعب بن مالك بن أبي كعب أخـو بني سلمة, ومرارة بن الربيع أخو بني عمرو بن عـوف، وهلال بن أمية أخو بني

----

(1) أبو ذر هو جندب بن جنادة وقيل اسمه سلمة بن جنادة (انظر الحلبي، السيرة الحلبية, ج3, ص109، ابن هشام، السيرة النبوية, ج5, ص204/ الهامش).

(2) ابن هشام، السيرة النبوية, ج5, ص204, الطبري، الرسل والملـوك, ج3, ص107, ابـن كثير، البداية والنهاية, ج5, ص8-9.

واقف, ليشتروا ركائب لهم ويلحقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم, ثم تباطـأوا، فعاد عليه الصلاة والسلام من الغزو قبل أن يلحقوا به(1).

ولما عاد عليه الصلاة والسلام من تبوك جاءه كعب بن مالك، فـسأله النبـي صلى الله عليه وسلم عن عذره في التخلف فأجابه بأنه لاعذر لـه، وكـذلك فعـل صاحبيه مثل ذلك، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه ألاّ يكلموا أحداً مـن هؤلاء الثلاثة(2)، فاعتزل المسلمون كلامهم حتى ضاقت عليهم الدنيا.

وأمضى هؤلاء الصحابة خمسين ليلة لايكلمهم أحد، فاعتزل مرارة بن الربيع وهلال بن أمية الناس وجلس كل منهما في بيته، أما كعب بن مالك فبقـي يخـرج ويؤدي صلاته في المسجد ولا أحد يكلمه فلما تمت الخمسون ليلة جاءه البشير بتوبة الله عليه وعلى صاحبيه، فأسرع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يتصدق بمالـه شكراً لله على ذلك، فطلب منه النبي صلى الله عليه وسلم أن يمسك عليه بعض ماله، فأبقى لنفسه سهمه الذي بخيبر(3)، وجاءت التوبة عليهم بقـرآن كـريم فـي قولـه تعالى:"وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لاملجأ من الله إلاّ إليه ثم تاب علـيهم ليتوبـوا إن الله هـو التواب الرحيم"(4).

ب ـ المتخلفون من المنافقين:

وتخلف عن الخروج مع المسلمين في هذه الغزوة أيضاً جماعة من الأعـراب, من بني غفار(5), وكانوا اثنان وثمانون رجلاً, جاؤوا يستأذنون رسول الله صلى الله عليه وسلم في التخلف بغير عذر, فلم يقبل عليه الصلاة والسلام طلبهم (6).

---

(1) الواقدي، المغازي, ج3, ص997- 998، ابن هشام، السيرة النبوية، ج5، ص213.

(2) ابن هشام، السيرة النبوية، ج5، ص 216، ابن كثير، البداية والنهاية، ج5، ص22.

(3) ابن هشام، السيرة ، ج5، ص 317- 220، ابن كثير، البداية والنهاية، ج5، ص 22ـ 24.

(4) سورة التوبة، الآية 118.

(5) ابن هشام، السيرة النبوية, ج5, ص198.

(6) ابن سعد، الطبقات الكبرى, ج2, ص165, ابن الجوزي، المنتظم, ج2, ص425, السندي، الذهب المسبوك, ص92.

وبرزت فئة من المنافقين تخلفوا عن المشاركة في هذه الحملة بهـدف إثـارة الفرقة والشك بين المسلمين أو إحداث البلبلة والتشويش على وحدة الصف الإسلامي لتفريق الناس عن الرسول صلى ا عليه وسلم، فجاء بعضهم يعتذر بأعذار واهية، ومنهم من جاء النبي صلى ا عليه وسلم يعتذر بالخوف من فتنة النساء ومنهم الجد ابن قيس**(1)** الذي فضح ا حجته الواهية بقوله تعالى:"ومنهم من يقول ائذن لـي ولا تفتني ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنّم لمحيطة بالكافرين"**(2)**.

وبعضهم كان يستهدف تثبيط عزائم المسلمين إلا أن ا سبحانه وتعالى فـضح سرائرهم وكشفهم للمصطفى عليه الصلاة والسلام, وكان هؤلاء المنافقون يشجعون بعضهم على عدم الخروج في الحر**(3)**, فأنزل ا سبحانه وتعالى في القرآن الكريم يفضح نياتهم, قال تعالى: (فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسـول ا وكرهـوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل ا وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشـد حراً لو كانوا يفقهون)**(4)**.

وبلغ رسول ا صلى ا عليه وسلم أن أناساً من المنافقين يـدبرون المكائـد والدسائس للمسلمين ويجتمعون في بيت سويلم اليهودي يثبطون الناس عـن النبـي صلى ا عليه وسلم, فبعث إليهم عليه الصلاة والسلام طلحة بن عبيد ا في نفر من أصحابه وأمره أن يحرق عليهم بيت سويلم, فامتثل طلحة أمر النبي صلى ا عليـه وسلم, فاقتحم الضحاك بن خلفة من ظهر البيت فانكسرت رجله, واقـتحم أصـحابه فأفلتوا, فقال الضحاك في ذلك شعراً**(5)**:

كادت وبيت ا نار محمد	يشيط بها الضحاك وابن أبيرق
وظلت وقد طبقت كبس سويلم	أنوء على رجلي كسيراً ومرفقي
سلام عليكم لا أعـود لمثلها	أخاف ومن تشمل به النار يحرق

---

(1) الرشيد، القيادة العسكرية، ص 290.

(2) سورة التـوبة، الآية 49.

(3) ابن هشام، السيرة النبوية, ج5, ص196, الطبري، الرسل والملوك, ج3, ص101-102.

(4) سورة التـوبة, الآيـة 81.

(5) ابن هشام، السيرة النبوية, ج5, ص196- 197, ابن كثير، البداية والنهاية, ج5, ص4.

وجاء عبد ا بن أبي ومعه حلفاؤه من المنافقين واليهود فضرب معسكره فـي ثنية الوداع وكان معه ما يقارب جيش المسلمين ويريد ضرب المسلمين لزرع الشك فيهم ودفعهم للتخلي عن الرسول صلى ا عليه وسلم, فلما سار النبي صلى ا عليه وسلم بالمسلمين تخاف عنه عبد ا بن أبي ومن كان معه من المنافقين**(1)**.

وحاول المنافقون الإيقاع بعلي بن أبي طالب وإثارة الشائعات الباطلـة عنـه للتفريق بينه وبين المصطفى عليه الصلاة والسلام وكان النبي صلى ا عليه وسلم قد استخلفه على أهله في المدينة, فلما علم علي بن أبي طالب بذلك حمـل سـلاحه وخرج حتى أتى رسول ا صلى ا عليه وسلم وهو نازل بالجرف على بعد ثلاثة أميـال من المدينة المنـورة, فقال له : يا نبي ا : زعم المنافقـون أنـك إنمـا خلفتني لأنك استثقلتني وتخففت مني, فقال له النبي: كذبوا ولكنني خلفتك لما تركت ورائي, فارجع في أهلي وأهلك, أفلا ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة هـارون من موسى؟ إلا أنه لا نبي بعدي**(2)**, فرجع علي إلى المدينة وتابع النبي عليه الصلاة والسلام رحلته, وفوت على المنافقين تحقيق رغباتهم في التـأثير علـى معنويـات المسلمين أو الحط من عزائمهم.

وعندما كان النبي صلى ا عليه وسلم يتجهز لغزو تبوك, وأصحابه يستعدون ويأتون بالخيول والجمال والأموال والطعام مما يحتاج إليه المجاهدون في سـفرهم الطويل, قال للجد بن قيس وهو رجل منافق من بني سلمة**(3)**: هـل لـك العـام أن تخرج معنا لعلك تحتقب من بنات الأصفر؟ أي تحمل سبايا من نساء الروم- فقـال الجد: أو تأذن لي ولا تفتني؟ فو ا لقد عرف قومي ما أحد أشد عجباً بالنساء مني, وإني لأخشى إن رأيت نساء بني الأصفر أن لا أصبر عـنهن, فـأعرض عنـه رسول ا صلى ا عليه وسلم وقال: قد أذنت لك**(4)**.

---

(1) ابن هشام، السيرة النبوية, ج5, ص199, ابن سعد، الطبقات الكبرى, ج2, ص165, الطبري، الرسل والملوك, ج3, ص103.

(2) ابن هشام، السيرة النبوية, ج5, ص199, البخاري، الصحيح، ص834.

(3) الطبري، السيرة النبوية, ص323, ابن عبد البر، الدرر, ص238.

(4) الواقدي، المغازي, ج3, ص992, الطبري، السيرة النبوية ص323.

ولما علم ابنه عبدا وكان مسلماً من أهل بدر جاء إليه فلامه لـ رده كـلام رسول ا صلى ا عليه وسلم, فقال له: يا بني مالي وللخروج في الـ ريح والحـ ر والعسرة إلى بني الأصفر؟ وا ما آمن خوفاً من بني الأصفر, وإني عالم بالدوائر, فرد عليه عبد ا وقال: لا وا , ولكنه النفاق, وا لينزلن على رسول ا صلى ا عليه وسلم فيك قـ رآن يقرأونه، فرفع نعله وضرب به وجـ ه ابنـ ه عبـ د ا , فانصرف عبد ا عن أبيه ولم يرد عليه**(1)**, وفي هذا نزل قول ا تعالى: (ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين)(2).

5.4 رحلة الجيش الإسلامي إلى تبوك

بعد أن تهيأ للرسول صلى ا عليه وسلم الجيش الذي لم يجمـ ع المـ سلمون مثله من قبل من حيث العدد والعدة, وأزمع رأيه على المسير نحو تبوك عين نائباً له على المدينة المنورة, هو سباع بن عرفطة**(3)**, وقيل بل استعمل محمد بـ ن مـ سلمة الأنصاري**(4)**, ويبدو أن ذلك هو الأرجح كما يؤكد ابن سعد في الطبقات الكبرى**(5)**, وهناك رواية أخرى تشير أنه استعمل ابن أم مكتوم(6), غير أن هذا أمر مستبعد.

وعسكر النبي صلى ا عليه وسلم في منطقة الجرف**(7)**, وهي مكان تجمـ ع المسلمين إذا أرادوا الغزو, ولما حاول المنافقون الأرجاف بعلي بن أبي طالـ ب وأراد اللحاق بالنبي صلى ا عليه وسلم, خاطبه عليه الصلاة والسلام في هذا الأمر وأعاده إلى المدينة ليخلفه على أهله كما سبق.

- - - - - - - - - - - - - - - - -

(1) الواقدي، المغازي, ج3, ص992- 993, الصالحي، سبيل الهدى والرشاد, ج5, ص632.

(2) سـ ورة التوبـ ة, الآيـ ة 49.

(3) الواقدي، المغازي, ج3, ص995, ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق, ج2, ص35.

(4) ابن هشام، السيرة النبوية, ج5, ص199, ابن سعد، الطبقات الكبرى, ج2, ص165.

(5) ابن سعد، الطبقات الكبرى, ج2, ص165.

(6) ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق, ج2, ص35, الحلبي، السيرة الحلبية, ج3, ص102.

(7) الجـ رف هي المنطقة المعروفة بثنية الـ وداع (انظر الواقـ دي، المغـ ازي, ج3, ص992, الطبري، الرسل والملوك, ج3, ص104, الحلبي، السيرة الحلبية, ج3, ص102).

وكعادة النبي صلى ا عليه وسلم كان يقوم بتنظيم صفوف جيـشه كلمـا أراد الخروج للغزو, لذلك عين قادته وحدد حملة الرايات والألويـة لأن التخطـيط والتنظيم هو أساس النجاح, فعين صلى ا عليه وسلم حملـة الرايـات والألويـة الإسلامية في هذه الحملة كما يلي**(1)**:

1- لواءه الأعظم- ودفعه إلى أبي بكر الصديق رضي ا تعالى عنه.

2- رايته العظمى ودفعها إلى الزبير بن العوام رضي ا تعالى عنه.

3- رايـة الأوس ودفعها إلى أسيد بن حضير رضي ا تعالى عنه.

4- لواء الخزرج ودفعه إلى أبي دجانة ويقال إلى الحباب بن منـذر بـن الجمـوع رضي ا تعالى عنهما.

5- راية مالك بن النجار من الخزرج, وهي راية ثانية حملها زيد بن ثابت رضي ا تعالى عنه**(2)**, وكان رسول ا صلى ا عليه وسلم دفع هذه الراية إلى عمارة بن حزم, فأدرك رسول ا صلى ا عليه وسلم زيد بن ثابت فأعطاه الراية, قال عمارة: يا رسول ا : لعاك وجدت علي, قال, لا وا , ولكن قدموا القرآن, وكان زيد أكثر أخذاً للقرآن منك والقرآن يقدم وإن كان عبداً أسود مجدعاً**(3)**.

6- راية بني عمرو بن عوف وأعطيت لأبي زيد.

7- راية بني سلمة وأعطيت لمعاذ بن جبل.

واهتم النبي صلى ا عليه وسلم بتوفير القوة الضاربة في الجيش الإسلامي وهي أهم الوحدات والفرق العسكرية؛ وهي فرقة الخيالة والفرسان, فقد كان ثلث الجيش الإسلامي من الفرسان, وأكثر من الثلث من الهجانة راكبي الإبل, فقد كان مع المسلمين عشرة آلاف فرس واثني عشر ألف بعير**(4)**.

----

(1) انظر الواقدي، المغازي, ج3, ص996, الدياربكري، تاريخ الخميس, ج2, ص125.

(2) الواقدي، المغازي, ج3, ص996, ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق, ج2, ص36.

(3) الواقدي، المغازي, ج3, ص1003, ابن عساكر, تاريخ مدينة دمشق, ج2, ص36.

(4) ابن الجوزي، المنتظم, ج2, ص425.

وكان عبد ا بن أُبي لَعَنَه ا قد ضرب معسكره في ذباب(1) قريباً مـن معسكر المسلمين في محاولة لتفريق الناس عن الرسول صلى ا عليه وسلم فلمـا سار عليه الصلاة والسلام تخلّف عبد ا بن أبي وقال: يغزو محمد بني الأصـفر مع جهد الحال والحر والبلد البعيد إلى ما لا قبل له به أيحسب محمداً أن قتـال بني الأصفر اللعب, وا لكأني أنظر إلى أصحابه غداً مقرنين في الحبال(2).

وتحرك الرسول صلى ا عليه وسلم بجيش المسلمين باتجاه الـشمال, فكـان يسير في الليل ويستريح في النهار, وذلك عائد لصعوبة السير في النهـار بـسبب الحرارة الشديدة فمسير الليل أسهل وأهون على المسلمين, وكان المسلمون يرحلون عند ميل الشمس فما يزالون يرحلون والساقة مقيمـون حتـى يرحـل العـسكر فيرحلون على أثـرهم(3).

وكان أول منزل نزله المسلمون بعد الجرف ذا خشب(4), فنزل عليه الـصلاة والسلام تحت الدومة, وكان دليله إلى تبوك علقمة بن الغفواء الخزاعي, فقام رسول ا صلى ا عليه وسلم تحت الدومة فراح منها ممسياً حيث أبرد وكان فـي حـر شديد(5), وكان يجمع من يوم نزل ذا خشب بين الظهر والعصر في منزله يؤخر الظهر حتى يبرد ويعجل العصر ثم يجمع بينهما(6).

---

(1) ويبدو أن هذا المكان بني فيه مسجد يعرف بمسجد الراية, وهو منطقة بالقرب من المدينة المنورة ولعله في المنطقة المعروفة بالجرف أو بثنية الوداع (انظر السمهودي, وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى, تحقيق محمد محيي الدين عبد المجيد, دار الكتب العلمية, بيروت 1984م, ج3, ص845).

(2) الواقدي، المغازي, ج3, ص996, ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق, ج2, ص36.

(3) الواقدي, المغازي, ج3, ص996.

(4) هو واد على مسير ليلة من المدينة المنورة باتجاه الشمال (انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان, ج2, ص372).

(5) الواقدي، المغازي, ج3, ص999, ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق, ج2, ص36.

(6) الواقـدي، المغـازي, ج3, ص999.

ونزل عليه الصلاة والسلام في رحلته إلى تبوك خمسة عشر موضعاً كان يقيم فيها الصلاة، أو يبيت فيها ويستريح المسلمون, وبنيت المساجد بعد ذلك في المواضع التي نزلها رسول ا صلى ا عليه وسلم لأنه كان يصلي فيها, فأماكن إقامة الصلاة أصبحت مساجد للمسلمين, وأهم هذه المواضع**(1)**:

1 ـ ذا خشب: أول المنازل التي نزلها النبي صلى ا عليه وسلم في هذه الغزوة.

2 ـ الفيفاء: وهو موضع بالقرب من المدينة المنورة, ويقال له فيفاء الخبار**(2)**.

3 ـ المروة: وهي قرية بين ذا خشب ووادي القرى**(3)**, ونزل فيها رسول ا صلى ا عليه وسلم في طريقه إلى تبوك, ثم بني فيها مسجد**(4)**.

4 ـ السقيا: قرية على الطريق بين المدينة وتبوك بالقرب من وادي القرى**(5)**.

5 ـ وادي القرى: بين الشام والمدينة وفيه قرى كثيرة وهو منازل قضاعة وجهينة وعذرة وبلي**(6)**.

6 ـ الحجر: وهي قرية صغيرة قليلة السكان على بعد يوم من وادي القرى وكانت بها منازل ثمود, ويقال لهـا مدائن صالح.

7 ـ ذنب حوصاء: وهو موضع بين وادي القرى, وتبوك نزله رسول ا صلى ا عليه وسلم في غزوة تبوك وبني فيه مسجد**(7)**.

8 ـ ذي الجيفة: موضع قريب من حوصاء وهو أيضاً من منازل رسول ا صلى ا عليه وسلم في غزوة تبوك**(8)**.

----

(1) المغازي، الواقدي, ج3, ص999, ابن هشام، السيرة النبوية, ج5, ص212- 213, السمهودي، وفاء الوفا, ج3, ص1029- 1030.

(2) ياقوت الحموي، معجم البلدان, ج2, ص342, السمهودي، وفاء الوفا, ج3, ص879.

(3) ياقوت الحموي، معجم البلدان,ج5, ص116, وانظر الصالحي, سبل الهدى, ج5, ص643.

(4) انظر الصالحي، سبل الهدى والرشاد, ج5, ص643.

(5) ياقوت الحموي، معجم البلدان, ج3, ص228, السمهودي، وفاء الوفا, ج3, ص843.

(6) ياقوت الحموي، معجم البلدان, ج4, ص338.

(7) ياقوت الحموي، معجم البلدان, ج2, ص319.

(8) ياقوت الحموي، معجم البلدان, ج2, ص201.

9ـ شق تار: وهو مكان قريب من وادي القرى ونزله الرسول صلى ا عليه وسلم, وبني في موضع منه يقال له الرقعة مسجد**(1)**.

10- ذات الخطمي: وهو من منازل الرسول صلى ا عليه وسلم ولم يحدد مكانه بالضبط**(2)**.

11- سمنة : وهو ماء بين المدينة والشام بالقرب من وادي القرى**(3)**.

12- الأخضر: من منازل الرسول صلى ا عليه وسلم بين تبوك ووادي القرى**(4)**.

13- ذات الزراب: من المنازل التي بنيت فيها المساجد لرسول صلى ا عليه وسلم**(5)**.

14- المدران: مكان على الطريق بين المدينة المنورة وتبوك ويقال له ثنية مدران**(6)**.

15- تبوك: وهي آخر منازله عليه الصلاة والسلام في هذه الغزوة.

وعلى الرغم من أن عبد ا بن أبي وأعوانه من المنافقين تخلفوا عن المسير مع رسول ا صلى ا عليه وسلم، إلا انه رافق رسول ا صلى ا عليه وسلم جماعة من المنافقين ساروا مع الجيش، ولكنهم لم يخرجوا بنية صادقة ولا من أجل القتال في سبيل ا ومشاركة المسلمين، وإنما لأهداف خبيثة في أنفسهم، فبعضهم خرج للتخريب على المسلمين ونشر الفرقة والخوف بين صفوف المسلمين**(7)**، وبعضهم خرج بهدف الحصول على الغنيمة **(8)**، وربما خرج بعضهم مدفوعين أو بتدبير من الروم ومستأجرين لهم .

----

(1) ويقال له شقة بني عذرة أيضاً (انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان, ج3, ص356, السمهودي، وفاء الوفا, ج2, ص269.

(2) ياقوت الحموي، معجم البلدان, ج2, ص379.

(3) ن. م, ج3, ص254.

(4) ن. م, ج1, ص123.

(5) ن. م, ج3, ص135

(6) ن. م, ج2, ص76.

(7) باشميل، غزوة تبوك ، ص 113.

(8) الواقدي، المغازي ،ج3 ص 1000.

وبعد مسير النبي صلى ا عليه وسلم كان بعض هؤلاء المنافقين يتخلفون عن الجيش، وكلما تخاف رجل قالوا لرسول ا صلى ا عليه وسلم: تخاف فلان فيقول صلى ا عليه وسلم: دعوه فان يك فيه خير فسيلحقه ا بكم، وان يك غير ذلك فقد أراحكم ا منه**(1)**، وذكر بين المنافين الذين خرجوا مع المسلمين وكانوا يشيعون الفرقة وينشرون أخباراً كاذبة لإضعاف النفوس ودفعها للتخلي عن الرسول صلى ا عليه وسلم: وديعة بن ثابت أحد بني عمرو بن عوف، والجلاس بن سويد بن الصامت، ومخشي بن حمير من أشجع حليف بني سلمة، وثعلبة بن حاطب**(2)، إلا** أن ا سبحانه وتعالى كان يكشف نواياهم لنبيه الكريم صلى ا عليه وسلم، ولم يكن لهم تأثير كبير على معنويات المسلمين.

وكانت التوجيهات النبوية ونصائحه عليه الصلاة والسلام للمسلمين تخفف عنهم كثيراً من الأعباء التي كانوا يتعرضون لها في هذه الرحلة الطويلة تحت وطـأة الحـر الشديد والمصاعب الكثيرة، وقلة الماء. ومر النبي صلى ا عليه وسلم في طريقه على مدينة الحجر من ديار ثمود قـوم صالح عليه السلام، وقد شح الماء على المسلمين فاستسقى الناس من بئرها، فلما راحوا قال عليه الصلاة والسلام للمسلمين: لا تشربوا من مائها شيئا ولا تتوضؤا للصلاة، وما كان من عجين عجنتموه فاعلفوه الإبل، ولا تأكلوا منه شيئا، ولا يخرجن أحد إلا مع صاحبه.

امتثل الناس أمر النبي صلى ا عليه وسلم إلا رجلين من بني ساعده، خـرج أحدهما لحاجته وخرج الآخر في طلب بعيره، فأمـا الذي ذهب لحاجته فقد أصابته نوبة خنق شديدة، وأما الذي ذهب في طلب بعيره، فاحتملته الريح حتـى طرحتـه بجبلي طيء، وأخبر رسول ا صلى ا عليه وسلم فقال: الم أنهكم أن يخرج أحـد منكم إلا ومعه صاحبه؟ ثم دعا للذي أصيب بالاختناق فشفي، وأما الآخـر فوجدته طيء وأعادته لرسول ا صلى ا عليه وسلم بعد عودته من تبوك**(3).**

----

(1) الطبري، الرسل والملوك ،ج3 ص107 ،ابن كثير، البداية والنهاية ،ج5 ص8-6.

(2) الطبري، الرسل والملوك ،ج3 ص108 باشميل، غزوة تبوك ص 6،ص 435.

(3) ابن هشام، السيرة النبوية ،ج5 ص 201-202، الطبري، الرسل والملوك، ج3 ص105، ابن كثير، البداية والنهاية،ج5 ص 11، السندي، الذهب المسبوك، ص 435 .

وقيل أن رسـول ا صلى ا عليه وسلم عندما مـر بالحجر سجى وجهه واستحث راحلته ثم قال: لا تدخلـوا بيوت الذين ظلموا إلا وانتم باكـون خوفـا أن يصيبكم مثلما أصابهم **(1)**.

وعن هذه الحادثة يذكر ابن الجوزي رواية يسندها إلى عمر بن الخطاب عندما سئل عن ساعة العسرة أن عمر قال : خرجنا إلى تبوك في قيظ شديد، فنزلنا منزلا أصابنا فيه عطش شديد ظننا أن رقابنا ستقطع حتى أن الرجل ليذهب ليلتمس الماء فلا يرجع حتى يظن أن رقبته تنقطع، وحتى أن الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل ما بقي على كبده، فقال أبو بكر رضي ا عنه : يا رسـول ا : إن ا قد عودك في الدعاء خيراً فادع لنا، قال : أتحب ذلك ؟ قال نعم، فرفع عليـه الصلاة والسلام يديه ولم يرجعها حتى قالت السماء فملأوا ما معهم، ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر**(2)** .

وذكر ابن هشام أن المسلمين بعد أن وصلوا الحجر وأصبحوا لا ماء معهم ، شكوا ذلك إلى رسول ا صلى ا عليه وسلم، فدعا ا فأرسل سـحابة فـأمطرت حتى ارتوى الناس واحتملوا حاجتهم من الماء**(3)**.

وكان بين المسلمين رجال من المنافقين يشككون ويثيـرون النـاس حتـى وصل بهم الحد إلى التشكيك بالنبي صلى ا عليه وسلم وبرسالته، ومن هـؤلاء زيد بن اللصيت الذي حاول تشكيك المسلمين برسول ا صلى ا عليـه وسـلم ورسالته، ففي الطريق ضاعت ناقة رسول ا صلى ا عليه وسلم فراح بعـض أصحابه يبحثون عنها.

----

(1) ابن هشام، السيرة النبوية، ج5، ص 220، الطبري، الرسل والملوك، ج3، ص 105.
(2) ابن هشام، السيرة النبوية، ج5، ص220.
(3) ابن هشام، السيرة النبوية ،ج5 ص -202، الطبري، الرسل والملوك ،ج3 ص 105.

وكان من بين المنافقين الذين ساروا مع رسول ا صلى ا عليه وسلم: زيد بن اللصيت وكان في رحل عمارة بن حزم(1) وكان هذا من المفسدين، فقال مشككا بالنبي عليه الصلاة والسلام : أليس محمد يزعم انه نبي ويخبركم عن خبر السماء وهو لا يدري أين ناقته ؟ فقال رسول ا صلى ا عليه وسلم وعمارة عنده : إن رجلا قال: هذا محمد يخبركم أنه نبي ويزعم أنه يخبركم بأمر السماء وهو لا يدري أين ناقته، وإني وا لا أعلم إلا ما علمني ا وقد دلني عليها، وهي في الوادي ـ وأشار إليه ـ في شعب كذا وكذا حبستها شجرة بزمامها فانطلقوا حتى تأتوني بها، فذهبوا فجاؤا بها، ولما علم عمارة أن زيد بن اللصيت هو صاحب المقالة أقبل عليه يضربه على عنقه ويمنعه من مرافقته (2).

وفي هذه الرحلة أم عبد الرحمن بن عوف بالمسلمين، وصلى النبي صلى ا عليه وسلم خلفه مأموماً، وعندما كان المسلمون بين الحجر وتبوك ذهب رسول ا صلى ا عليه وسلم لحاجته بعد الفجر وتأخر حتى خاف الناس طلوع الشمس، فقدموا عبدالرحمن بن عوف فصلى بهم، فلما قدم صلى ا عليه وسلم كان عبد الرحمن ركع بالناس ركعة، فسبح الناس حين رأوا رسول ا صلى ا عليه وسلم وأراد عبد الرحمن الرجوع ليخلي لرسول ا صلى ا عليه وسلم، فأشار إليه النبي ليكمل الصلاة، وصلى عليه الصلاة والسلام ركعة، ثم قام فأكمل صلاته، وبعد فراغه من الصلاة قال صلى ا عليه وسلم: أحسنتم: انه لم يتوف نبي حتى يؤمه رجل صالح من أمته(3).

وعندما اقترب النبي عليه الصلاة والسلام من تبوك قال: إنكم ستأتون غداً إن شاء ا عين تبوك، وأنكم لن تنالوها حتى يضحي النهار، فمن جاءها فلا يمس من مائها شيئا حتى آتي، قال معاذ بن جبل رضي ا عنه، فجئناهـا وقد سبقنا إليها

---

(1) زيد بن اللصيت : هو أحد المنافقين ويهودي من بني قينقاع (انظر ابـن هـشام، الـسيرة النبوية ، ج5 ص 203).

(2) انظر الواقدي، المغازي ،ج3 ص 1010، ابن هشام، السيرة النبوية ،ج5 ص 203 .

(3) الواقدي، المغازي ،ج3 ص 1012.

رجلان والعين مثل الزلال تبض بشيء من مائها، فسألهما رسول ا صـلى ا عليه وسلم: هل مسستما من مائها شيئا ؟ قالا: نعم، فسبهما رسول ا صلى ا عليه وسلم وقال لهما ما شاء ا أن يقول، ثم غرف قليلا حتى اجتمع إليه شيء من الماء، فغسل وجهه ويديه ثم أعاده فيها، فجادت العين بماء كثير واستقى الناس منها**(1).**

ويبدو أن المنافقين واليهود تعودوا على التخريب والقيام بإعمـال لا تخـدم مصلحة المسلمين حيث تكرر وصول المنافقين إلى عيـون المـاء قبـل وصـول المسلمين إليها ليفسدوا فيها ويخربوها.

ولما وصل النبي عليه الصلاة والسلام إلى تبوك وضع حجراً قبلة مسجد تبوك بيده وما يلي الحجر، ثم صلى الظهر بالناس، ثم اقبل عليهم فقال : ما ههنا شام وأشار إلى جهة الشام، وما ههنا يمن وأشار إلى جهة اليمن**(2)**، ثم جمع عليه الصلاة والسلام أصحابه في تبوك والقي عليهم خطبة تضمنت الكثير من النصائح والمواعظ والعبر لمن تدبر قوله، فحمد ا وأثني عليه ثم قال : أيها الناس : أما بعد: فإن أصدق الحديث كتاب ا ، وأوثق العرى كلمة التقوى، وخير الملـل ملـة إبراهيم عليه السلام، وخير السنن سنن محمد، وأشرف الحديث ذكر ا ، وأحـسن القصص هذا القـران**(3).**

وكان النبي عليه الصلاة والسلام في هذه الحملـة يكلـف أصـحابه بـبعض المهمات وكانوا يؤدون واجباتهم على اكمل وجه، وربما قام بعضهم ببعض المهمات التطوعية دون أن يكلفوا بذلك إذا رأوا أنها تخدم مصلحة المسلمين.

----

(1) الواقدي، المغازي ،ج3 ص 1012-1013، الصالحي، سبل الهـدى والرشـاد ،ج2 ص 450- 451.

(2) الواقدي، المغازي ،ج3 ص 1012 ،الصالحي، سبل الهدى والرشاد ،ص 451 ، الـسندي، الذهب المسبوك ص 429.

(3) الواقدي، المغازي ، ج3 ص 1016 وفيه النص كاملا .

فمن الحوادث الطريفة التي يوردها المؤرخون في هذا الباب أن النبي صلى ا عليه وسلم استخلف على عسكره أبا بكر رضي ا عنـه يـصلي بالنـاس(1)، واستعمل على حرس العسكر عباد بن بشر(2)، فكان يطوف في أصـحابه علـى الجيش الإسلامي(3)، ثم جاء إلى رسول ا صلى ا عليه وسلم يوما فقال: مازلنا نسمع صوت تكبير من ورائنا حتى أصبحنا، أفوليت احدنا يطوف على الحرس؟ قال رسول ا صلى ا عليه وسلم: ما فعلت ولكن عسى أن يكـون بعـض المسلمين على خيلنا انتدب، فقال سلكان بن سلامة : يا رسول ا : خرجت فـي عشرة من المسلمين، فكنا نحرس الحرس، فقال رسول ا صلى ا عليه وسـلم: رحم ا حرس الحرس في سبيل ا ، فلكم قيراط من الأجر على كل من حرستم من الناس جميعا أو دابة(4).

وكان بين من رافق المسلمين فـي هـذه الغـزوة عبـد ا ذو البجـادين(5) المـزني(6)، فقد خرج مع النبي عليه الصلاة والسلام إلى تبـوك، فلمـا وصـلوا وأقاموا بها أياما توفي بها ذو البجادين ودفنه المسلمون فيها، وتولى عليه الصلاة والسلام دفنه بنفسه فنزل إلى حفرته وأبو بكر وعمر يدليانه إليه وهو يقول: أدنيـا إلي أخاكما، ثم قال: اللهم إني قد أمسيت راضياً عنه فارض عنه، عندها قال عبدا بن مسعود: ياليتني كنت صاحب هذه الحفرة (7) .

---

(1) الدمياطي، السيرة النبوية ، ص 250

(2) يذكر الدمياطي أن النبي صلى ا عليه وسلم استعمل على الحرس عباد بن كثير (انظـر الدمياطي، السيرة النبوية، ص 250)

(3) المقريزي إمتاع الإسماع، ج2 ص 68، الحلبي، السيرة الحلبية، ج3 ص 106.

(4) المقريزي، إمتاع الأسماع، ج2 ص 68، الصالحي، سبل الهدى ، ج5 ص453.

(5) البجاد: كساء غليظ خشن (انظر ابن هشام السيرة النبوية ،ج5 ص210).

(6) الواقدي، المغازي، ج3 ،ص 1014، ابن سيد الناس، عيون الأثـر، ج2 ص 284، ابـن كثير، السيرة النبوية، ج4 ص 33، وكان اسم ذو البجادين قبل إسلامه عبد العزى (انظـر الواقدي، المغازي، ج3 ص 1013) .

(7) الواقدي، المغازي، ج3، ص1014، ابن كثير، البداية والنهاية، 5، ص17.

وذو البجادين رجل من مزينة كان يتيما فقيرا مات أبوه ولم يورثه شـيء، وكان له عم غني فـأخذه وكفله حتى صار ميسوراً وصاحب إبل وغنم ورقيق، فلما قـدم النبي عليه الصلاو والسلام إلى المدينة أخذت نفسه تتوق إلى الإسلام لكن خوفه من عمه كان يمنعه إلى إن فتحت مكة، فطلب من عمه أن يأذن له بالإسلام، إلا أن عمه رفض ذلك وهدده إن هو أسلم أن يستولي على كل ماله، فلم يمنعه ذلك عن الإسلام، ورد على عمه قائـلاً : أنـا وا متّبـع محمـداً ومسلم وتارك عبادة الحجر والوثن وهذا ما بين يدي فخُذه ـ يعني ما له من مال ـ فأخذ كل ما يملك حتى جرده من لباسه، فذهب إلى أمه فقطعـت لهـا بجـاداً نصفين فأتزر بواحد وارتدى الآخر، ثم أقبل إلى المدينة عنـد صـلاة الـصبح وكان النبي صلى ا عليه وسلم يتصفح الناس بعد الـصلاة، فلمـا رآه وأنكـره وسأله عن نفسه انتسب له، فقال النبي عليه الصلاة والـسلام: أنـت عبـدا ذو البجادين، ونزل قريباً من النبي صلى ا عليه وسلم يتعلم القرآن**(1)**.

وكان ذو البجادين جهوري الصوت يرفع صوته في القراءة، فقال عمر: يـا رسول ا : ألم تسمع إلى هذا الأعـرابي يرفع صوته بالقران حتى قـد منـع الناس من القراءة؟ فقال رسول ا صلى ا عليه وسلم: دعه يا عمر فإنه خـرج مهاجراً إلى ا ورسـوله **(2)**.

وكان النبي صلى ا عليه وسلم يهتم بالخيل كثيرا لحاجة الفرسان إليها، فهي أهم وسائل القتـال، فاهدى له رجل من قضاعة فرساً فأعطاه إلـى رجـل مـن الأنصار وأمره أن يربطه قريبا منه استئناسا بصهيله، وبقي حتى عاد النبي صـلى ا عليه وسلم إلى المدينة ففقد صهيله، فسأل عنه صاحبه فقال: خصيته يا رسـول ا ، فقال عليه الصلاة والسلام، مـ ـه! فان الخيل في نواصيها الخير إلـى يـوم القيامة، وباهـوا بصهيلها المشركين**(3)**.

----

(1) الواقدي، المغازي، ج3 ص 1013- 1014، ابن هشام، السيرة، ج5، ص209 -210.

(2) الواقدي، المغازي، ج3، ص1014.

(3) الواقدي، المغازي، ج3، ص1019- 1020، المقريزي، إمتاع الأسماع ،ج2 ص 62 .

ولاحظ المسلمون في رحلتهم هذه الكثير من الخير والبركة التي يمن الله سبحانه وتعالى بها على المسلمين إكراما للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، فذكر رجل من بني سعد بن هذيم قال: جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس بتبوك في نفر من أصحابه وهو سابعهم، فسلمت عليهم وجلست، فطلب عليه الصلاة والسلام من بلال قائلا : أطعمنا يا بلال، فبسط بلال نطعاً (وهو البساط) ثم جعل يخرج تمراً من زق له، فاخرج بيده تمراً معجوناً بالسمن والأقط عدة مرات، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كلوا فأكلنا حتى شبعنا، فقلت يا رسول الله : إن كنت لآكل هذا وحدي؟ قال عليه الصلاة والسلام : الكافر يأكل في سبعة أمعاء والمؤمن يأكل في معي واحد**(1)**.

وروي عن العرباض بن سارية انه قال: كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بتبوك فقال ليلة لبلال : هل من عشاء ؟ فقال بلال : والذي بعثك بالحق لقد نفضنا جربنا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: انظر عسى أن تجد شيئا، فاخذ الجرب ينفضها جراباً جراباً، فتقع التمرة والتمرتان حتى رأيت في يده صلى الله عليه وسلم سبع تمرات، ثم دعا بصفحة فوضع التمر فيها، ثم وضع يده الشريفة على التمرات وقال : كلوا باسم الله ، فأكلنا ثلاثة أنفس، وأحصيت أربعا وخمسين تمرة أعدها عداً ونواها في يدي الأخرى، وصاحباي يصنعان كذلك، فشبعنا ورفعنا أيدينا، فإذا التمرات السبع كما هي، فقال يا بلال : ارفعها فإنه لا يأكل منها أحد إلا نهل شبعاً، فلما كان من الغد دعا صلى الله عليه وسلم بلالاً بالتمرات فوضع يده الشريفة عليهن ثم قال :كلوا باسم الله ، فشبعنا وإنا لعشرة، ثم رفعنا أيدينا فإذا التمرات كما هي، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لولا أن استحي من ربي لأكلنا من هذه التمرات حتى نرد إلى المدينة من آخرنا، فأعطاهن غلاماً فولى وهو يأكلهن**(2)**.

----

1 ـ الواقدي، المغازي ، ج3، ص1017 – 1018، الصالحي، سبل الهدى والرشاد، ج5، ص 454.

2- الصالحي، سبل الهدى والرشاد، ج5 ص 454-455، الحلبي، السيرة الحلبية،ج3 ص 117، وانظر المقريزي إمتاع الأسماع، ج2 ص 69-70.

6.4 العـــودة إلى المدينة

وأقـام النبي صلى الله عليه وسلم في تبوك بضع عشرة ليلة(1)، وعن ابـن سعد أنه أقـام بها عشرين ليلة (2)، ثم قفل عائداً إلى المدينة، ومر المسلمون فـي الطريق بوادي المشقق(3)، وكان ماؤه يخرج من وشل(4) بما يروي الراكـب و الراكبين أو الثلاثة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من سبقنا إلى ذلك الوادي فلا يستقين منه شيئا حتى نأتيه، غير أن بعض المنافقين سبقوا إليه كعادتهم واستقوا منه، فلما وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يرَ فيه شيئا، فقال : من سبقنا إلى هذا الماء :فقيل يا رسول الله : فلان وفلان، فلعنهم رسول الله صلى الله عليـه وسلم ودعـا عليهم، ثم نزل حتى وضع يده تحت الوشل حتى جمع شيئا من الماء ومسحه بيده ودعـا بما شاء الله أن يدعوا به، فانخرق من الماء ما كان له حس كحس الصواعق، فشرب الناس واستقوا حاجاتهم (5).

وأجمع المنافقون الذين رافقوا المسلمين في غزوة تبوك وكانوا اثنـا عـشر رجلاً، وقيل خمسة عشر رجلاً على الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم فـي العقبة التي بين تبوك والمدينة المنورة(6).

---

(1) ابن هشام، السيرة النبوية ، ج5 ص 208، الطبري، السيرة النبوية ،ص 329، ابـن عبـد البر، الدرر ص 242، ابن عساكر تاريخ مدينة دمشق ،ج2 ص 32.

(2) ابن سعد، الطبقات الكبرى ،ج2 ص 166، ابن الجوزي، المنـتظم ج2 ص 426، الـديار بكري، تاريخ الخميس، ج2 ص 128، السندي، الذهب المسبوك ،ص 427.

(3) المشقق: واد بين المدينة وتبوك غير بعيد عن تبوك (انظر السمهودي، وفاء الوفـا،ج2، ص 374).

(4) الـوشل: الماء القليل يسير في الصخر أو الجبل (انظر ابن هشام، السيرة النبـوية،ج5، ص 208/ الهامش)، ابن سيد الناس، عيون الأثر، ج2 ص 283 .

(5) ابن هشام، السيرة النبوية، ج5 ص 209، الطبري، السيرة النبوية، ص 329، ابن كثيـر، السيرة النبوية ، ج4، ص32.

(6) الثعـالبي، معجز الـرسـول صلى الله عليه وسلم، ج2 ص291، الحلبي، السيرة الحلبية، ج3 ص 120 .

وحدثت هذه المحاولة والرسول صلى ا عليه وسلم عائد من تبـوك، حيـث تآمـروا على طـرحه في الطريق عند اجتيازه تلك العقبة، فـأمر النـاس أن يسلكوا بطن الوادي لأنه أسهل، فسلكه الناس، وسلك عليه الصلاة والسلام العقبـة، وأمر عمار بن ياسر أن يأخذ بزمام ناقته يقودها، وحذيفة بن اليمـان يـسوقها خلفه، فبينما هو يسير إذ سمع حس القوم قد غشوه، فغضب النبي صلى ا عليـه وسلم وأمـر حذيفة أن يردهم، فرجع حذيفة إليهم وجعل يضرب وجوه رواحلهـم بمحجن في يده، وخافوا أن يكشف أمرهم، فانحطوا من العقبـة مـسرعين حتـى خالطوا الناس، فسأل النبي صلى ا عليه وسلم حذيفة إن كان عرفهم، فقال: عرفت راحلة فلان وفلان، وكان القـوم متلثمين فلم أبصرهم من ظلمة الليل.

وفي الصباح أخبر عليه الصلاة والسلام أصحابه ما أراد القوم من الغدر بـه، فقال أسيد بن حضير رضي ا عنه: مرنا بقتلهم، فرفض عليه الصلاة والسلام حتى لا يكون ذلك مجالاً لحديث لناس **(1)** .

7.4 مسجد الضـرار

وهو بناء أقامه جماعة من المنافقين المغرضين الذين كانوا يكيـدون للإسـلام والمسلمين في المدينة قبل تحرك النبي عليه الصلاة والسلام إلى تبـوك، واسـتغلوا فرصة استعداد المسلمين لغزوة وأرادوا زرع بذور الشقاق والنفاق بين المسلمين، وكانوا يتوهمون أنهم ببنائه سيعملون على دفع المسلمين لترك الصلاة في مسجد قباء**(2)**، وكان خلف هذه الأعمال الخبيثة أناس من الأنصار منهم أبوعامر ودعاهم لطرد المسلمين وإخراجهم من المدينة، ووعدهم بأن يأتيهم بمساعدة من قيـصر الروم مع جيش يساعدهم على ذلك بعد أن يقـوم بزيارة القيصر**(3)**.

----

(1) الواقدي، المغازي، ج3 ص 1042-1044، الصالحي، سبل الهدى ، ج5، ص291ـ292.

(2) الحلبي، السيرة الحلبية، ج3ص122.

(3) الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن، تحقيق أحمـد شـاكر، دار المعـارف، 1958م، ج11، ص24، الرشيد، القيادة العسكرية، ص 306ـ 307.

توجه المنافقون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتجهز لتبوك فقالوا: يا رسول الله إنا قد بنينا مسجداً لذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الـشاتية، وإنا نحب أن تأتينا فتصلي لنا فيه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إني على جناح سفر وحال شغل، ولو قدمنا إن شاء الله أتيناكم فصلينا لكم فيه**(1)**.

وفي طريق عودته من تبوك نزل عليه الوحي بالنهي عن الصلاة فـي هـذا المسجد بقوله تعالى:"لاتقم فيه أبداً لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحـق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين"**(2)**.

فلما اقبل عليه الصلاة والسلام من تبوك ونزل بذي أوان قريباً من المدينـة المنورة دعـا مالك بن الدخشم أخـا بني سالم بن عوف ومعن بن عـدي أو أخـاه عـاصم بن عدي، فقال لهما: انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه وحرقـاه، فخرجا سريعين حتى أتيا بني سالم ابن عـوف وهم رهط مالك بن الدخشم، فجـاءا بنارٍ وأشعلا النار فيه وفيه أهله، فحرقاه وهدماه **(3)**، وفيه نزل قول الله تعـالى (والذين اتخذوا مسجدا ضرارا كفراً وتفريقاً بين المؤمنين)**(4)**.

وكان المنافقون يتجمعون في هذا البناء ويعيبون على النبي صـلى الله عليـه وسلم ويستهزئون به، ويقال أن الذي أمرهم ببنائه هو أبوعامرالفاسق**(5)**، واشـترك معه في البناء اثني عشر رجلاً من المنافقين هم**(6)**:

1- خذام (خزام) بن خالد من بني عبيد بن زيد أحد بني عمرو بن عوف.

2- معتب بن قشير من بني ضبيعة بن زيد .

---

(1) ابن هشام، السيرة النبوية، ج5، ص211، الطبري، السيرة النبوية، ص ،330.

(2) سورة التوبة، الآية 108.

(3) ابن هشام، السيرة النبوية ،ج5 ص، 211-212، الطبري، السيرة النبوية، ص، 330، ابن عبد البر، الـدرر، ص242، الثعـالبي، معجز الرسول صلى الله عليه وسلم، ج2، ص، 299، ابن سيد الناس، عيون الأثر، ج1، ص 285 .

(4) سـورة التـوبة، الآيـة 107.

(5) الحلبي، السيرة النبوية، ج3، ص122.

(6) انظر ابن هشام، السيرة النبوية،ج5، ص212، ابن عبد البر، الدرر، ص 242 -243.

3- أبو حبيبة بن الأزعر من بني ضبيعة بن زيد.

4- عباد بن حنيف من بني عمرو بن عوف .

5- جارية بن عامر وابناه مجمع وزيد ابنا جارية .

6- نبتل بن الحارث من بني ضبيعة .

7- ثعلبة بن حاطب من بني أمية بن زيد.

8- بحزج من بني ضبيعة.

9- بحاد بن عثمان من بني ضبيعة .

10- وديعة بن ثابت من بني أمية بن زيد رهط أبي لبانة بن عبد المنذر .

وبهذا يكون النبي صلى ا عليه وسلم قضى على واحدة من أسوأ محـاولات التخريب على المسلمين، وبعد أن تم حرق المسجد وتخريبه أمر أن يتخذه النـاس كناسة تلقى فيه الجيف والقمامات(1).

8.4 تأكيد السيادة الإسلامية على تبوك وما حولها

بعد وصول النبي صلى ا عليه وسلم إلى تبوك، وتحقيق النصر الكبير ضـد الدولة البيزنطية، اهتم عليه الصلاة والسلام بتأكيد السيادة الإسلامية في منطقة تبوك ليثبت للجميع أنه إنما جاء لتحقيق إنجاز إسلامي يفتح الطريق أمام المسلمين لنـشر دينهم باتجاه الشمال إلى بلاد الشام، لذلك اتجه النبي صلى ا عليـه وسـلم للقيـام بعملين رئيسين هما:

1 ـ الإقامة في تبوك لفترة يتأكد من خلالها عدم قدرة البيزنطيين وعملائهـم علـى العودة إلى تبوك وأطرافها، وإشعارعملاء بيزنطة أن قوة المسلمين أصـبحت قادرة على مواجهة أي خطر قد تتعرض له الجزيرة العربية.

2 ـ إخضاع المناطق المجاورة لتبوك في أطراف الجزيرة والشام أو عقد الـصلح معها حتى لاتعود للتعاون مع الروم البيزنطيين، فقام بعقد الصلح مع أمـراء البلاد المجاورة؛ ومنها أيلة وأذرح وجرباء(2).

---

(1)الثعالبي، معجز رسول ا صلى ا عليه وسلم ،ج2، ص 299.

(2) ابن هشام، السيرة النبوية، ج5، ص 206 ـ 207.

وفكر النبي عليه الصلاة والسلام بعد وصوله تبوك بملاحقة الروم إلى بلاد الشام ومطاردتهم هناك، لكنه قبل أن يقدم على خطوة كهذه كان عليه أن يستشير أصحابه، واستشار المسلمين في هذا الأمر، فأشار عليه عمر بن الخطاب بالرجوع إلى المدينة، وقال: يارسول الله: إن للروم جموعاً كثيرة وليس بالشام أحد من أهل الإسلام، وقد دنوت منهم وأفزعهم دنوك، فلو رجعت هذه السنة حتى ترى أو يحدث الله أمراً(1).

فكان عمر يعتبر دخول الشام في ذلك الوقت ضرب من المخاطر، وأن أراضي الشام ليست صحراوية، والقتال فيها لن يكون سهلاً على المسلمين، بينما سيكون قتال الروم أكثر ضراوة ومهارة، هذا فضلاً عن أعدادهم الكبيرة وما كان انضم إليهم من القبائل العربية النصرانية.

وأخذ النبي صلى الله عليه وسلم برأي عمر، ورأى أن يمكث في تبوك وقتاً يتأكد فيه أن جموع الروم لن تعود إليها، وأقام عليه الصلاة والسلام في تبوك بضع عشرة ليلة إلى عشرين ليلة(2) كان خلالها يقصر الصلاة.

واهتم النبي عليه الصلاة والسلام خلال وجوده بتبوك بإرسال سراياه إلى المناطق المجاورة لاخضاعها أو عقد الصلح معها، وذلك من خلال:

أ- إخضاع دومة الجندل. ب - مصالحة ملك أيلة.

ج - مصالحة أهل أذرح وجرباء . د - عقد الصلح مع قرية مقنا.

أ - إخضاع دومة الجندل

دومة الجندل إحدى القرى الحصينة ما بين المدينة المنورة والشام، وتبعد عن تبوك حوالي 300كم بالقرب من جبلي طيء، وكانت تقيم فيها قبائل من كلب(3).

----

(1) حمادة، العلاقات الإسلامية النصرانية، ص 211.

(2) انظر الواقدي، المغازي، ج3، ص 1015، ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج2، ص 166، ابن الجوزي، المنتظم،ج2، ص426، الرشيد، القيادة العسكرية، ص304.

(3) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص 487.

وفي عهد النبي صلى ا   عليه وسلم كان يحكمها أكيدر بن عبدالملك الكنـدي وكان على دين النصرانية**(1)** ويرتبط بالروم البيزنطيين بعلاقات متينة، ويعتبرونه أهم أعوانهم في الجزيرة العربية.

وعندما قرر النبي صلى ا   عليه وسلم الإقامة في تبوك استدعى خالد بـن الوليد، وجهز له جيشاً ليقوم بغزو أكيدر في دومـة الجنـدل، فأعـد لـه (420) أربعمائة وعشرين فارساً، وطلب منه التوجه إلى دومة الجندل لغزو أكيدر وقال له: إنك ستجده يصيد البقر، فانطلق خالد بالجيش إلى دومة الجندل حتى اقترب منهـا، وأخذ يترصده ليجد الوقت المناسب لأن مدينة دومة الجندل محصنة بـسور منيـع ويصعب اجتيـازها على من يريد مهاجمتها.

وترصده خالد في ليلة مقمرة صافية حتى إذا كان أكيدر وزوجته على شـرفة قصره جاءت البقر الوحشي تَحك بقرونها باب القصر، فنزل وركب فرسـه مـع مجموعة من قومه يطاردونها ومعه أخاه حسان بن عبدالملك، عندها تلقـتهم خيـل المسلمين واستطاع خالد أسر أكيدر وقتل أخاه حسان، وكان عليه قباء من ديبـاج مخوص بالذهب، فأخذه خالد بن الوليد وبعث به إلى النبي صلى ا   عليه وسلم قبل قدومه عليه**(2)** ليبشره بفتح دومة الجندل.

طلب أكيدر الأمان من خالد بن الوليد، وأن يأخذه إلى النبي صل   عليه وسلم مقابل فتح حصنه، فقبل خالد وصالحه على ألفي(2000) بعير وثمانمائة (800)رأس من السبي وأربعمائة(400) درع وأربعمائة(400) رمح، فعزل للنبي صلى ا   عليه وسلم صفياً خالصاً، ثم قسم الغنيمة بعد أن أخرج الخمس**(3)**.

----

(1) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج2، ص166، الطبري، الرسل والملوك،ج3، ص 108، ابـن الأثير، الكامل في التاريخ، ج2، 192، ابن كثير، السيرة النبوية، ج4، ص30.

(2) ابن هشام السيرة النبوية، ج5، ص207-208، الطبري، الرسل، ج3، ص 108 ـ 109، ابن سيد الناس، عيون الأثر ج2،ص282، الرشيد، القيادة العسكرية، ص302.

(3) ان سعد، الطبات الكبرى، ج2، ص166، ابن سيد الناس، عيون الأثـر، ج2، ص282   ـ 283، ابن كثير، السيرة النبوية، ج4، ص31، المقريزي، إمتاع الأسماع، ج2، ص64.

ويبدو أن حملة خالد بن الوليد إلى دومة استمرت وقتاً وعاد النبي صـلى ا عليه وسلم إلى المدينة المنورة، فلما فتح خالد بن الوليد دومة عاد إلى المدينة ومعه أكيدر بن عبدالملك وأخيه مضاد، فلما وصل إلى المدينة صالحه رسول ا صـلى ا عليه وسلم على الجزية وخلى سبيله وسبيل أخيه، وكتب لهما أماناً وختمه بظفره لأنه لم يكن في يده خاتم**(1)**، وأهدى أكيدر إلى رسول ا صلى ا عليه وسلم ثوب حرير، فأعطاه عليـاً وقال له: شقّقه خُمراً بين الفـواطم**(2)**.

ويذكر الواقدي نص الكتاب الذي كتبه النبي صلى ا عليه وسلم لأكيدر وفيه: (بسم ا الرحمن الرحيم: هذا كتاب من محمد رسول ا لأكيدر حين أجاب إلـى الإسلام وخلع الأنداد والأصنام مع خالد بن الوليد سيف ا في دومـة الجنـدل وأكنافها، وأن لنا الضاحية من الضحل والبور والمعامي**(3)** وأغفال الأرض والحلقة والسلاح والحافر والحصن، ولكم الضامنة من النخل، والمعين من المعمـور بعـد الخمس، لاتعدل سـارحتكم، ولا تعـد فـاردتكم، ولا يحظر عليكم النبـات، ولا يؤخذ منكم عشر البتات**(4)**، تقيمون الصلاة لوقتها، وتؤتون الزكاة لحقها، علـيكم بذلك العهد والميثاق، ولكم بذلك الصدق والوفـاء، شهد ا ومـن حـضر مـن المسلمين)**(5)**.

ويقال بأن أكيدر دخل الإسلام، لكنه ارتد بعد وفاة النبي صلى ا عليه وسلم،

---

(1) الطبري، الرسل والملوك، ج3، ص109، ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج2، ص166، ابـن الجوزي، المنتظم، ج2،ص427، المقريزي، إمتاع الأسماع، ج2،ص64.

(2) المقريزي، إمتاع الأسماع، ج2، ص64، والمقصود بالفواطم أمه وابنته وابنة عمه حمزة لأن اسم كل واحدة منهن فاطمة.

(3) الضاحية : أطراف الأرض، والضحل: قليل المـاء، والمعامي: الذي لاتعرف حدوده(انظر الواقـدي، المغازي، ج3، ص1030).

(4) البتات: متـاع البيت(انظر ابن منظور، لسان العرب، ج2، ص13/ مادة بتت).

(5) الواقـدي، المغازي، ج3، ص 1030، المقريزي، إمتاع الأسـماع، ج2، ص65.

فقتله خالد بن الوليد في حـرب المرتدين(1)، وقيل بل فرض عليه النبي صلى ا عليه وسلم الجزية وكان نصرانياً، ولا تقر الجزية على المسلم، وأسلم أخوه حريـث فأقـره النبي صلى ا عليه وسلم على ما في يده، ونقض أكيدر الـصلح بعـد وفاة النبي صلى ا عليه وسلم، فأجلاه عمر بن الخطاب عن دومة الجنـدل إلـى الحيرة، فنزل في موضع منها قرب عين التمـر وبنـى بـه المنـازل وسـماه دومة(2).

ب- مصالحة ملك أيلة

شكلت غزوة تبوك محطة هامة في تاريخ الدعوة الإسلامية، حيث بادر أهل البلاد المجاورة لتبوك وأبناء القبائل العربية في الجزيرة العربية إلى إعادة حساباتهم مع المسلمين، فخاف اهل دومة(3) وأيلة(4) وتيماء من تحركات النبي صلى ا عليه وسلم عندما رأوا العرب أقبلت على الإسلام(5).

وأيلة هي مدينة على البحر الأحمر الذي كان يعرف ببحر القلزم، وتقع مكان العقبة اليوم في المملكة الأردنية الهاشمية، وذكر ياقوت الحموي أنها آخر الحجاز وأول الشام، وسميت بأيلة بنت مدين بن إبراهيم عليه السلام(6)، وهي على الطريق بين مصر والحجاز.

وكان اليهود يسكنون أيلة في عهد الملك داؤد بن إيشا الذي ينتهي نسبه إلى يعقوب بن إسحاق عليهم السلام، وقد حرم ا عليهم صيد السمك يوم السبت لكنهم

----

(1) المقريزي، إمتاع الأسماع، ج2، ص 65.

(2) انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص65.

(3) لعلها دومة الجندل في نجد إلى الشرق من تبوك (انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص487).

(4) وهي مدينة على ساحل البحر الأحمر بين الحجاز والشام (انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص292).

(5) الواقدي، المغازي، ج3، ص1031، المقريزي، إمتاع الاسماع، ج2، ص65.

(6) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص292.

خالفوا ذلك فمسخوا قردة وخنازير(1)، وفيهم نزلت الآيات القرآنية الكريمة في سورة الأعراف:(وسئلهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر، إذ يعدون في السبت إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شُرعاً ويوم لا يسبتون لاتأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون* وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوماً ا مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً قالوا معذرةً إلى ربكم ولعلهم يتقون* فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بِئس بما كانوا يفسقون فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين)(2).

فقدم يحنة بن رؤبة ملك أيلة على النبي صلى ا عليه وسلم ومعه أهل جرباء وأذرح، فقد تخوفوا أن يبعث إليهم كما بعث لأكيدر دومة الجندل، ولما رأى يوحنة النبي صلى ا عليه وسلم أخفض رأسه، فأومـأ إليه النبي عليه الصلاة والسلام أن يرفع رأسه وكساه بـرداً يمانياً وأنـزله عند بلال(3)، ثم صالحه على الجزية على أن يدفع للمسلمين ثلاثمائه(300) دينار كل سنة، أي ما يعادل ديناراً واحداً عن كل رجل، فقد كان أهل أيلة ثلاثمائه رجل(4).

وكتب لهم النبي عليه الصلاة والسلام كتابـاً جـاء فيه: (بسم ا الرحمن الـرحيم: هذا أمنة من ا ومحمد النبي رسول ا ليحنة بن رؤبة وأهـل أيلة، لسفنهم وسائرهم في البر والبحر، لهم ذمة ا وذمة محمد رسول ا ، ولمن كان معه من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر، ومن أحدث حدثاً فإنه لا يحول ماله دون نفسه، وإنه طيب لمن أخذه من الناس، وإنه لا يحل أن يمنعوا ماءً يردونه ولا طريقاً يريدونه من بر أو بحر، هذا كتاب جهيم بن الصلت وشرحبيل بن حسنة بإذن رسول ا)(5).

----

(1) ابن الأثير، الكامل، ج1، ص125، ابن كثير، تفسير القرآن، ج2، ص 246، 248.

(2) انظر سـورة الأعـراف ، الآيات 163 ـ 166.

(3) الواقدي، المغازي، ج3، ص1031-1032، المقريزي، إمتاع الأسماس، ج2، ص66.

(4) الواقدي، المغازي، ج3، ص1031، المقريزي، إمتاع الاسماع، ج2، ص66.

(5) الواقدي، المغازي، ج3، ص1031، ابن هشام، السيرة النبوية، ج5، ص207، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج2، ص41 – 42، ابن سيد الناس، عيون الأثر، ج2، ص281.

وقام ملك أيلة يحنة بعد ذلك بمهاداة النبي صلى ا عليه وسلم، وأهدى لـه بغلة بيضاء، فكساه النبي صلى ا عليه وسلم البرد اليماني، وصالحه على ما ذكر بعد أن عرض عليه الإسلام فلم يسلم**(1)**: وفي إمتاع الاسماع: أن أهل أيلة أهدوا للنبي صلى ا عليه وسلم القلقاس، فأكله وأعجبه وقال : ما هذا ؟ فقالوا : شـحمة الأرض، فقال : إن شحمة الأرض لطيبة**(2)**.

ويذكر ابن كثير أن النبي صلى ا عليه وسلم أعطى أهل أيلة بردَه مع كتابه أماناً لهم، ثم اشتراه أبو العباس عبدا بن محمد بعد ذلك بثلاثمائة دينار**(3)**.

ج - مصالحة أهل أذرح وجرباء

وأذرح مدينة في أطراف الشام من أعمال الشراة ومجاورة لأرض الحجاز**(4)**، وهي اليوم في المملكة الأردنية الهاشمية شمال غرب معان على طريـق الـشوبك، وعل مقربة منها وعلى بعد ميل واحد تقع الجرباء.

وكما فعل النبي صلى ا عليه وسلم مع أهل أيلة فعل مع أهل أذرح والجربـاء**(5)**، فقد صالحهم على جزية معلومة وكتب لهم بذلك كتاباً، فصالح أهل أذرح على مائة (100) دينار كل سنة، وأهل الجرباء على مائـة (100) دينـار كل سنة أيضاً وعلى أن تدفع في شهر رجب**(6)**، فجاء في كتابه لأهل أذرح (بسم ا الرحمن الرحيم من محمد النبي صلى ا عليه وسلم لأهـل أذرح

---

(1) الحلبي، السيرة الحلبية، ج3، ص117، ويذكر ابن عساكر أن النبي صلى ا عليه وسـلم أعطى أهل أيلة برده مع كتابه أماناً لهم، ثم اشتراه فيما بعد أبو العباس عبد ا بن محمد بثلاثمائه دينار(انظر ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج2، ص42، ابن كثير، السيرة النبويـة، ج4، ص30).

(2) المقريزي، إمتاع الاسماع، ج2، ص66.

(3) ابن كثير، البداية والنهاية، ج5، ص16.

(4) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص129.

(5) الجرباء: قرية في منطقة البلقاء بالشام بالقرب من أذرح (انظر ياقـوت الحموي، معجـم البلـدان، ج2، ص118، آل يحيى، الحركـات العسكرية، ص 503).

(6) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج2، ص42، المقريزي، إمتـاع الاسماع، ج2، ص66 – 67.

أنهم آمنون بأمـان ا وأمـان محمد، وأن عليهم مائة دينـار في كل رجب ومائة أوقية طيبة وا كفيل عليهم بالنصح والإحسان إلى المسلمين، ومن لجأ إليهم آمنـون من المسلمين من المخافة والتعزير إذا خشوا على المسلمين وهم آمنون حتى يحدث إليهم محمد قبل خروجه)**(1)**.

فجعل لهم النبي محمد صلى ا عليه وسلم الخيار إذا أرادوا إجراء تغيير على بنود العهد حتى يخرجوا من تبوك، وكان يهدف من ذلك أن يأمن شر أعدائه .

وكتب لأهل جرباء مثل ذلك كتـاباً جـاء فيه : (هذا كتاب من محمد النبـي رسول ا لأهل جرباء: أنهم آمنون بأمان ا وأمان محمد، وأن عليهم مائة دينـار في كل رجب وافية طيبة وا كفيل عليهم)**(2)**.

د - عقد الصلح مع قرية مقنـا

مقنا في اللغة الموضع الذي لاتصيبه الشمس في الـشتاء**(3)**، ومقنـا : قريـة بالقرب من أيلة على ساحل البحر وكان اهلها من اليهود**(4)**، وكانت من بين البلاد التي صالحها النبي صلى ا عليه وسلم على ربع غزولهم وربع ثمارهم**(5)**، وفـي معجم البلدان أن النبي صلى ا عليه وسلم صالحهم على ربع عروكهم والعـروك حيث يصطاد عليه، وعلى ان يعجل منهم ربع عراكهم وخلفتهم**(6)**، وكتب لهم بذلك كتاباً جاء فيه: (أنهم آمنون بأمان ا وأمان محمد، وأن عليهم ربع غـزولهم وربع ثمارهم)**(7)**.

----

(1) الواقدي، المغـازي، ج3، ص 1032، ابـن عـساكر، تـاريخ دمـشق، ج2، ص 42، المقريـزي، إمتـاع الأسـماع، ج2، ص67، وانظر ابن كثير، البدايـة والنهـايـة، ج5، ص15 ـ 16.

(2) الواقدي، المغازي، ج3، ص 1032، المقريزي، إمتاع الأسماع، ج2، ص66.

(3) القثامي، شمال الحجاز، ص338.

(4) انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص178.

(5) الواقدي، المغازي، ج3، ص1032، المقريزي، إمتاع الاسماع، ج2، ص67.

(6) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص178.

(7) الواقدي، المغازي، ج3، ص1032، المقريزي، إمتاع الاسماع، ج2، ص67.

ولما قدم عبيد بن ياسر بن نمير ومعه رجلٌ من جذام من بني وائل على النبي صلى ا عليه وسلم بتبوك وأسلما، أجازهما رسول ا صـلى ا عليـه وسـلم فأعطاهما ربع مقنا مما يخرج من البحر والثمر من نخلها وربع المغزل، وأعطى عبيد بن ياسر وكان فارساً والجذامي راجلاً مائة ضفيرة؛ والضفيرة: الحلـة(1)، وأهدى عبيد للنبي صلى ا عليه وسلم فرساً عتيقاً يقال له مراوح وقـال أنـه سابق، وأجرى عليه الصلاة والسلام الخيل بتبوك فسبق الفرس فأخذه رسـول ا صلى ا عليه وسلم، فسـأله المقـداد بن عمـرو أن يعطيـه الفـرس فأعطـاه له(2).

وأورد البلاذري نص كتاب المصالحة الذي كتبه النبي صلى ا عليه لأهـل مقنا، وفيه: " بسم ا الرحمن الرحيم من محمد رسول ا إلى بني حبيبـة وأهـل مقنـا، سلم أنتم فإنه إن أنزل علي أنكم راجعون إلى قريتكم، فإذا جاءكم كتـابي هذا فإنكم آمنون ولكم ذمة ا وذمة رسوله، وإن رسول ا قد غفر لكم ذنـوبكم، وكل دم اتبعتم به لاشريك لكم في قريتكم إلا رسول ا ، أو رسول رسول ا ، وانه لاظلم عليه ولا عدوان، وان رسول ا صلى ا عليه وسلم يجيركم مما يجير منه نفسه، فإن لرسول ا بزتكم ورقيقكم والكراع والحلقة إلا ما عفا عنه رسول ا ، وإن عليكم بعد ذلك ربع ما أخرجت نخيلكم وربع ما صادت عرككم وربـع مـا اغتزلت نسائكم، وانكم قد ثريتم بعد ذلكم ورفعكم رسول ا صلى ا عليه وسـلم عن كل جزية وسخرة، فإن سمعتم وأطعتم فعلى رسول ا أن يكـرم كـريمكم ويعفو عن مسيئكم، ومن ائتمر في بني حنيفة وأهل مقنا من المسلمين خيراً فهـو خير له، ومن أطلعهم بشر فهو شر له، وليس عليكم أمير إلاّ من أنفسكم أو من أهل بيت رسول ا صلى ا عليه وسلم، وكتب علي ابن أبي طالـب فـي سـنة تسع"(3) .

---

(1) الواقدي، المغازي، ج3، ص1032، المقريزي، إمتاع الاسماع، ج2، ص67.

(2) انظر الواقدي، المغازي، ج3، ص1033، المقريزي، إمتاع الاسماع، ج2، ص67.

(3) البلاذري، فتوح البلدان، ص 71 ـ 72.

9.4 نتائج غزوة تبوك

شكلت غزوة تبوك نقطة تحول في تاريخ الجزيرة العربية وعلاقتهـا بـالبلاد المجاورة خاصة بالدولة البيزنطية، فقد أصبحت دولة الإسلام هي صاحبة السيادة في الجزيرة العربية، ولم تعد هناك قوة قادرة على منافستها أو الوقوف أمامها.

وبقيام النبي صلى ا عليه وسلم بحملته على تبوك لرد جيوش الروم المتجمعة لغزو دولة الإسلام بدأت تتغير المواقف وموازين القوى في المنطقة، فالإمبراطورية البيزنطية التي كانت ترعب العالم لم يعد لها بعد غزوة تبوك تلك الهالة التي تعطيها العظمة أو الهيمنة التي كانت تمتلكها من قبل.

وكان لغزوة تبوك اكبر الأثر على المسلمين وعلى دولتهم التي أخـذت تمتـد على أطراف جزيرة العرب لتشمل معظم الجزيرة، ودخلت معظم القبائـل العربيـة الكبرى في دين الإسلام .

ويمكن إجمال النتائج المترتبة على غزوة تبوك بما يلي:

1 ـ رفع معنويات المسلمين، فقد أكدت غزوة تبوك قدرة المسلمين على التحـرك إلى مسافات بعيدة، ومواجهة خصومها في ميادين خارج المدينة المنورة، بـل وخارج جزيرة العرب على حدود الشام البعيدة، فأعطت المسلمين معنويـات عالية جدا، وساهمت في حماية حدودهم الشمالية من خطر الروم البيـزنطيين وأعوانهم من القبائل العربية المتنصرة، وعودت المسلمين على الصبر وتحمل المشقات والصعاب، وخاضوا تجربة كبيرة ومفيدة في السير عبر الصحراء لمسافـات بعيدة .

2- إثارة الرعب لدى القبائل العربية المعادية للإسلام في شمال الجزيـرة العربيـة وأطراف بلاد الشام الجنوبية، كما وضعت حداً لتحركات البيـزنطيين الـذين كانوا يتوهمون النيل من المسلمين بمجرد إثارة القبائـل العربيـة البعيـدة، وعندما أصبحت هذه القبائل أمام خطر المسلمين عجز الروم البيزنطيون عـن تقديم المساعدة لها وهذا بدوره يضعف من العلاقات المتينة التي كانت تـربط بين الطرفين .

3- تصفية جيوب المعارضة المعادية للإسلام والمسلمين فـي شـمال الجزيـرة العربية، فقضى على مملكة دومة الجندل التي كانت تربطها علاقات ود ية مع الروم البيزنطيين في الشام، وأجبر المسلمون ملكها أكيدر بن عبد الملك علـى عقد الصلح ودفع الجزية للمسلمين، وعقد اتفاقيات مـصالحة مـع بعـض الممالك الواقعة ما بين الجزيرة العربية وبلاد الشام؛ كما فعل النبي صـلى ا عليه وسلم مع ملوك أيلة وأذرح والجرباء ومقنا.

4- الإقبال على الدخول في دين الإسلام خاصة من أبناء القبائل العربية المنتـشرة في أطراف الجزيرة العربية، وبدأت وفود القبائل تؤم المدينة المنـورة معلنـة إسلامها وولاءها للرسول صلى ا عليه وسلم؛ لذلك أطلق على العـام الذي حدثت فيها غزوة تبوك عـام الـوفـود .

5- وكان لهذه الغزوة منافع أخرى كثيرة وكبيرة، فقد تمكن المسلمون من كـشف الكثير من المنافقين وفضح دسائسهم ومكائدهم ضد المسلمين وضد رسول ا صلى ا عليه وسلم، وفضح ا سبحانه وتعالى حقيقة هؤلاء المنـافقين بمـا فعلوه مع المسلمين ومحاولاتهم التفريق والاعتداء والإساءة للمسلمين.

الفصل الخامس

تبوك في عهد الخلفاء الراشدين

بدأت تبوك تأخذ أهمية خاصة بعد دخول النبي صلى ا عليه وسلم إليها في غزوة تبوك، وإقامته فيها مدة من الوقت، فقد كانت غزوة تبوك هي العامل الذي هيأ المسلمين لمراحلهم التالية بالتوجه شمالاً صوب الدولة البيزنطية، والعمل على نشر الإسلام في بلاد الشام وتحريرها من السيطرة البيزنطية؛ فكانت غزوة تبوك بداية لأعمال أخرى قام المسلمون بتنفيذها في عهد النبي صلى ا عليه وسلم، وفي عهد خلفائه الراشدين.

1.5 حملة أسامة بن زيد الى جنوب بلاد الشام

ففي صفر سنة 11هـ / 633 رأى النبي صلى ا علية وسلم أن يبعث حملة الى شمال الجزيرة العربيه ومناطق جنوب بلاد الشام حيث الروم أعداء المسلمين وحلفائهم من العرب ، فيذكر ابن هشام أن النبي صلى ا عليه وسلم بعد عودته من حجة الوداع في السنة العاشرة للهجرة أقام بالمدينة المنورة بقية ذي الحجة ومحرم وصفر من السنة الحادية عشرة للهجرة، ثم ضرب على الناس بعثاً إلى الشام وأمر عليهم أسامة بن زيد بن حارثة، وأمره أن يوطيء الخيل تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين**(1)**.

وأراد علية الصلاة والسلام من هذه الحملة إعداد الجيش الاسلامي لمرحلة جديدة وتهيئتهم لنشر الاسلام خارج الجزيرة العربية، وأمر المسلمين بالاستعداد لغزو الروم، وأخذ المسلمون يجهزون أنفسهم لهذه الحملة، حيث طلب النبي عليه الصلاة والسلام من أسامة أن يأتي مقتل أبيه، وأن يسرع في الغزو كما فعلوا في معركة مؤتة**(2)**.

----

(1) ابن هشام، السيرة النبوية، ج6، ص 12.

(2) المحاسنة، محمد حسين، معركة مؤتة وتحركات المسلمين الاولى باتجاه بلاد الشام، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، المجلد 15 العدد (5)لسنة 2000م، ص58ـ59.

وأمر النبي علية الصلاة والسلام أسامة فقال له: يا أسامة سر على اسم الله وبركته حتى تأتي مقتل أبيك، فأوطئهم الخيل، فقد وليتك هذا الجيش، فأغر صباحاً على أهل أُبنى وحرق عليهم وأسرع السير تسبق الخبر، فإن أظفرك الله فاقلل اللبث فيهم، وخذ معك الأدلاّء وقدم العيون أمامك والطلائع**(1)**.

وعقد النبي صلى الله عليه وسلم اللواء لأسامة بيده، ثم قال له: "اغز بسم الله في سبيل الله، فقاتل من كفر بالله فإنكم لاتدرون لعلكم تُبتلون بهم، وقولوا اللهم اكفناهم واكفف بأسهم عنا، فإن لقوكم وقد أجلبوا وصيحوا فعليكم بالسكينة والصمت، ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم، وقولوا: اللهم نحن عبادك وهم عبادك؛ نواصينا ونواصيهم بيدك، وإنما تغلبهم أنت، واعلموا أن الجنة تحت ظلال البارقة"**(2)** .

وكان أسامة بن زيد فتىً صغيراً عمره 19 سنة فتكلم بعض الناس وقالوا: يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الأولين؟ أي أن بعضهم لم يكن راضياً عن ذلك، وسمع عمر بن الخطاب الكلام فرده على قائله ودخل على النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بما سمع، فغضب النبي عليه الصلاة والسلام غضباً شديداً، فخرج وقد عصب رأسه، ثم صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:" أما بعد: أيها الناس فما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة، فلئن طعنتم في إمارتي أسامة لقد طعنتم في تأميري أبيه من قبله، وإيم الله إن كان للإمارة لخليقاً، وإن ابنه من بعده لخليق للإمارة، وإن كان لمن أحب الناس إلي، فاستوصوا به خيراً فإنه من خياركم"**(3)** .

----

(1) الواقدي، المغازي ،ج3ص1117، شعراوي، محمد متولي، غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم، ص 534، فاروق حمادة، العلاقات الإسلامية النصرانية، ص 221.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، ج2، ص 458، حمادة، العلاقات الإسلامية النصرانية، ص 221 ـ 222.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، ج2، ص 458، وانظر ابن الأثير، الكامل، ج2، ص 215، حمادة، العلاقات العربية النصرانية، ص 222.

ودفع أسامة لـواءه فجعله مع بريـدة بن الخصيب، وعسكر المسلمون قـرب المدينة في منطقة تعـرف بالجـرف الى ان يتكامل تجميع الجيش الاسلامي، وبـدأ توافـد المسلمين الذين سيشاركون في هذه الحملـة فاجتمع إليه عدد كبيـر مـن المسلمين كـان من بينهم عمر بن الخطـاب، ويقـال كان أبو بكر مع هذا الجيش فاستثناه رسـول ا صلى ا عليه وسلم منهم للصلاة**(1)**، كما كـان فـي هــذا الجيش أبـو عبيدة عـامر بن الجـراح، و سعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيــد وغيرهم**(2)**، الا أنه قبـل أن يتحـرك هذا الجيش حيث وجهه المصطفى صلى ا عليه وسلم، جـاء الخبر إلى أسـامة وهو معسكر بالجـرف بأن النبي عليه الصلاة والسلام يمـوت، وعـاد الى المدينه فـإذا النبي عليه الصلاة والسلام قد انتقل إلى الـرفيق الأعلى، وذلك في 12 ربيع الاول سـنة 11هـ/ 633م**(3)**.

وبعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام ارتدت كثير من أحيـاء العـرب عـن الإسلام وامتنع آخرون عن أداء الزكاة، خاصة حـديثي العهـد بالـدين وضـعاف النفوس، فلما وقعت هذه الأمور أشار كثير من الناس على أبـي بكـر أن لا ينفـذ جيش أسامة لاحتياج المسلمين إليه فيما هو أهم، وكان من جملة مـن أشـار عليـه بذلك عمر بن الخطاب، فأبى أبو بكر ذلك، وأصر رضي ا تعالى عنه على تنفيذ جيش أسامة وقال: وا لا أحل عقدة عقدها رسول ا صلى ا عليه وسلم ولـو أن الطير تخطفنا، والسباع من حول المدينة ولو أن الكلاب جرت بأرجل أمهـات المؤمنين لأجهزن جيش أسامة**(4)** ؛ فكان خروجـه مـن أعظـم المـصالح علـى المسلمين.

----

(1) ابن كثير، البداية والنهاية، ج6، ص 308.
(2) ابن الجوزي، المنتظم، ج2، ص458، ابن سـيد النـاس، عيـون الأثـر،ج1، ص335، محاسنة، معركة مؤتة، ص 59.
(3) الـواقـدي، المغـازي،ج3، ص1120.
(4) ابن كثير، البدايـة والنهـايـة، ج6، ص 308.

وفي كتاب أبي بكر بن العربي "العواصم من القواصم" أن أبا بكر قال لأسامة: أنفذ لأمر رسول ا صلى ا عليه وسلم، فقال عمر: كيف ترسـل هـذا الجـيش والعرب قد اضطربت عليك؟ فقال: وا لو لعبت الكلاب بخلاخيل نساء المدينة ما رددت جيشاً أنفذه رسول ا صلى ا عليه وسلم**(1)**.

ويقال بأن أبا بكر عندما صمم على تجهيز جيش أسامة قال بعـض الأنـصار لعمر بن الخطاب: قل له فليؤمر علينا غير أسامة ـ وكان أسامة بـن زيـد شـاباً صغيراً في مقتبل عمره - فذكر له عمر ذلك، فأخذ بلحية عمر وقال: ثكلتك أمـك وعدمتك يا ابن الخطاب، استعمله رسول ا صلى ا عليه وسـلم وتـأمرني أن أنزعه؟**(2)**.

وخرج ابو بكر يودع الجيش الاسلامي ويوصي قادتة بآداب الحرب وأخـلاق الإسلام في التعامل مع الأعداء في جميع الأحوال والظروف كما كان يأمر النبـي عليه الصلاة والسلام أصحابه**(3)**، وذكر الطبري توديعه لجيش أسامة، فذكر بأنـه أشخصهم وشيعهم وهو ماشٍ وأسامة راكب وعبدالرحمن بن عوف يقود دابـة أبـي بكر، فقال أسامة: يا خليفة رسول ا ، وا لتركبن أو لأنزلن، فقال: وا لا تنزل ووا لا أركب! وما علي أن أغبر قدمي في سبيل ا ساعة، فـإن للغـازي بكـل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة تكتب له، وسبعمائة درجة ترتفع لـه، وترفـع عنـه سبعمائة خطيئة، ثم خاطب أسامة قائلاً: إن رأيتَ أن تعينني بعمر فافعل، فأذن لـه بإبقاءِ عمر عنده، ثم خاطب جند المسلمين وأوصاهم بآداب الإسلام في الحـرب**(4)**.

وسار أسامة بجيش المسلمين الى المكان الذي حدده الرسول عليه الصلاة والسلام،

----

(1) ابن العربي، أبو بكر المالكي(ت 543هـ/1148م)، العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى ا عليه وسلم، تحقيق الشيخ محب الدين الخطيب، دار الجيل، بيروت ـ لبنان، ص63.

(2) الطبري، الرسل والملوك، ج3، ص226، وانظر ابن كثير، البداية والنهاية، ج6، ص 309.

(3) الطبري، الرسل والملوك ,ج3، ص226, محاسنة، معركة مؤتة ، ص59 .

(4) الطبري، الرسل والملوك، ج3، ص 226 ـ 227.

وكانوا لا يمرون بحي من أحياء العرب إلاّ أرعبوا منهم وقالوا: ما خرج هـؤلاء من قومٍ إلا وبهم منعة شديدة، فمن كان يريد الارتداد رجع عن رأيه، وأقام جـيش أسامة أربعين يوماً، وقيل سبعين يوماً ثم رجعوا إلى المدينة سالمين**(1)** .

فوصل جيش أسامة بن زيد في هذه الحملة إلى أبنى ونظر إليها فعبأ أصـحابه وقال يوصيهم ويحضهم على الجهاد والصبر في لقاء العدو: اجعلوهـا غـارةً ولا تمعنوا في الطلب، ولا تفترقوا واجتمعوا وأخفوا الصوت، واذكروا ا في أنفـسكم وجردوا سيوفكم، وأقبل بجنده يقاتل أعداء ا فهزمهم وقتل منهم من أشرف لـه وسبى من قدم علية، وحرق طوائفها بالنار وحرق منازلهم، وقتل قاتل أبية**(2)**، ثـم عاد مسرعاً بجيش المسلمين كما أوصاه المصطفى عليه الصلاة والسلام، وبذلك أمن الجبهة الشمالية لدولة المسلمين أمام خطرالروم، وعاد بالمسلمين الى المدينة ظافراً.

ويكون أسامة بهذه الحملة قد عمل بوصية المصطفى علية الصلاة والـسلام، وكان لحملته هذه آثار مفيدة للمسلمين حيث منعت الكثير من القبائل العربيـة عـن الارتداد، وأكدت للقاصي والداني قدرة المسلمين واستعدادهم بعد وفاة الرسول صلى ا عليه وسلم على المواجهة والإغارة على أي مكان يشكل خطراً على الإسـلام والمسلمين حتى وإن كـان بعيداً، وكانت هذه الحملة المقدمة الاولـى لإرسـال طلائع الجيوش الإسلامية باتجاه الاردن وجنوب بلاد الشام من أجـل تحريرهـا من سيطرة البيزنطيين**(3)**.

2.5 عبور جيوش الفتح الإسلامي من تبوك إلى بلاد الشام:

بعد أن فرغ أبو بكر الصديق رضي ا عنه من حروب المرتدين، فكر بتوجيه الجيوش الاسلامية الى بلاد الشام لنشر الاسلام فيهـا، والقـضاء علـى الـسيطرة البيزنطية هناك، فجميع تحركات المسلمين السابقه الى الشمال كان هدفها الاستعداد

----

(1) ابن كثير، البداية والنهاية ,ج6ص308 ـ 309 .

(2) حمادة، العلاقات الإسلامية النصرانية، ص 224.

(3) محاسنة ، معركـة مـؤتة , ص60 .

لنشر الاسلام في بلاد الشـام، لهذا استنفر أبو بكـر المسلمين للجهاد في سـبيل ا ، فسارع الناس الى تلبية دعـوته، وجهز خالد بن سعيد بن العاص(1) ـ وكـان قبل وفاة النبي صلى ا عليه وسلم عاملاً له في اليمن ولاّه صنعاء واسـتكتبه على الصدقات(2) ـ بجيش وطلب منه أن ينزل تيماء ولايغـادرها وأن يدعو من حوله من القبائل العربيه للانضمام إليه استعداداً لقتال أعداء المسلمين، وأمـره ألاّ يقاتل إلاّ من قاتله حتى يأتيه أمر الخليفة أبى بكر بذلك .

توجه خالد بن سعيد إلى تيماء فاجتمعت إليه أعداد كبيرة من المتطوعين(3)، وكان جيش خالد بن سعيد أول لواءٍ عقده الخليفة أبو بكر إلى الشام، فتحرك باتجـاه تيماء في شهر ربيع الثاني سنة 12هـ/633م(4).

ولما علم الروم بذلك أخذوا يعدون العدة للقـاء المـسلمين فانـضمت الـيهم جماعات من أبناء القبائل العربية من بهراء وكلب وسليح وتنوخ ولخم وجـذام وغسان، وأقاموا بالقرب من زيزياء في البلقاء(الأردن اليوم)، وكتب خالد بن سعيد إلى الخليفة أبي بكر يخبره بذلك، فطلب منه الخليفه أن يتقدم ويتوكل علـى ا ، وتقدم خالد بجيشه حت إذا اقترب من الروم وأتباعهم وجدهم قد تفرقـوا وأخلـوا

----

(1) هو خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس، أسلم أيام الدعوة السرية وكـان مـن أوائل المسلمين، هاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية، وعاد منها مع جعفر بن أبـي طالـب، وكان من كتاب رسول ا صلى ا عليه وسلم، ثم ولاّه النبي صـلى ا عليـه وسـلم صنعاء، فبقي عاملاً عليها حتى وفاة النبي عليه الصلاة والسلام، فعزله أبو بكـر وولـى مكانه المهاجر بن أمية(انظر ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج4، ص 94 ـ 96، البلاذري، أنساب الأشراف، تحقيق محمد حميد ا ، القاهرة 1959، ص 529، 532).

(2) ابن حزم(ت 456هـ/1063م)، جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبدالسلام هارون، القـاهرة 1971م، ج1، ص 81.

(3) الطبري، الرسل والملوك,ج3ص388, ابن عساكر، تاريخ دمـشق ,ج2ص71, محاسـنة، صفحات من تاريخ الاردن وحضارته , ص106.

(4) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج2، ص275، محاسنة، محمد والصرايرة، حـاتم، فنـون التاريخ العسكري في أرض الحشد والرباط, منشورات وزارة الثقافة الأردنيـة، عمـان 2005م، ص98.

مضاربهم فاستولى عليها وغنم ما فيها، وكتب إلى أبي بكر يخبره بذلك، فأمره أبو بكر أن يتقدم دون أن يقتحم حتى لايؤتى من الخلف(1)، فسار حتى نزل المنطقه الواقعه بين زيزياء والقسطل والتقى مع بطريق من بطارقة الروم يدعى باهان، فتعرض خالد لهزيمة كبيرة وقتل عدد من جنده(2) .

ثم كتب إلى أبي بكر يستمده، وكان قدم على أبي بكر مستنفرة من اليمن ومكة وفيهم ذو الكلاع، كما عاد إليه عكرمة بن أبي جهل فيمن معه من مجاهدي تهامة وعمان والبحرين والسرو، فوجههم أبو بكر لنصرة خالد بن سعيد وأمره باستبدال جيشه، وتم استبداله فسمي جيشه بجيش البدال(3).

كانت هذه الأحداث مثيرةً لقلق الخليفة أبي بكر وخوفه على جيش المسلمين، والمحرك الرئيس ليفكر بإخضاع الشام والقضاء على السيطرة الرومية لتلك البلاد، بدأها بإرسال الإمدادات العسكرية بقيادة ذي الكلاع الحميري وعكرمة بن أبي جهل، ثم ألحق بهما الوليد بن عقبة في قوات مساندة بعد أن استعفاه من وظيفته، حيث كان عاملاً على صدقات قضاعة(4).

ثم جهز الخليفه أبو بكر الصديق أربعه جيوش إسلاميه وطلب من قادتها التوجه الى بلاد الشام لفتحها، فجعل عمرو بن العاص قائداً على جيش وجهته فلسطين، وطلب منه أن يسلك طريق أيلة، وهي الطريق الساحلية، وكانت هذه الطريق تعرف بطريق المعرقة(5)، وبعث يزيد بن أبي سفيان على جيش آخر جعل وجهته دمشق، وشرحبيل بن حسنة على جيش ثالث حدد له وجهته إلى الأردن، وأبا عبيدة عامر بن الجراح على جيش رابع جعل وجهته حمص، وطلب من هؤلاء القادة الثلاثة أن يسلكوا طريق تبوك(6)، وكانت تعرف بالتبوكية.

---

(1) الطبري، الرسل والملوك، ج3، ص 389.

(2) الطبري، الرسل والملوك، ج3، ص389، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج2، ص 276.

(3) الطبري، الرسل والملوك, ج3، ص 389، ابن عساكر، تاريخ دمشق, ج2، ص71-72.

(4) الطبري، الرسل والملوك، ج3، ص 390.

(5) الطبري، الرسل والملوك، ج3، ص387، وانظر ابن عساكر، تاريخ دمشق،ج2، ص69.

(6) البلاذري، فتوح البلدان، ص116، الطبري، الرسل والملوك، ج3، ص390.

وكان مع كل قائد من القادة الأربعة ثلاثة الآف جندي، وكان أبو بكر يمـدهم بالرجال حتى صار مع كل قائد منهم أكثر من سبعه ألآف جنـدي، وسـار القـادة بجيوشهم ومعهم النساء والخيل والسلاح فأخذوا على طريق فلسطين حتـى نزلـوا بقرية يقال لها داثـن(1) من قرى غزه والتقوا هناك بالروم ، فكانت أول حرب بين المسلمين والروم (2).

وسار عمرو بن العاص باتجاه الساحل من الطريق الغربية، وكان يستنفر كـل من يمر به من الأعراب، ونفر معه أناس كثيرون من أبناء القبائل العربية؛ من بلي وعذرة وبلقين وقضاعة، ولم تُبدِ القبائل العربية أية مقاومة لحملة عمرو بن العاص، فيبدوا أنها كانت تنتظر من يتقدم لتخليصها من سيطرة بيزنطة، لكنها كانت متخوفة قوة الدولة ابيزنطة العظيمة(3).

وكانت أول المعارك التي خاضها المسلمون ضد الدوله البيزنطيه فـي وادي عربه حيث نزل قادة الروم في جمع من الجيش يزيد عن ثلاثه الاف مقاتل وتمكـن المسلمون من الحاق الهزيمة بهم (4).

وسار جيش أبو عبيدة الى وادي القرى ثم إلى الحجر وذات المنار وزيزياء، ثم توجه الى مؤاب وتمكنوا هناك من الحاق الهزيمه بالروم فدخلوا مؤاب وتحصنوا بها فحاصرهم المسلمون حتى أجبروهم على طلب الصلح فصالحهم المسلمون على أن يؤدوا ديناراً وجريب عن كل بالغ(5)، فكانت مؤاب أول مدن الشام صلحاً، وبهذا تمكن المسلمون من تأمين الطريق المؤدية إلى الحجاز لضمان الاتصال بالعاصـمه الإسلاميه وتوفير الامدادات اللازمة عند الحاجة .

---

(1) داثن : ناحية قرب غزة من أعمال فلسطين(انظر ياقوت الحمـوي، معجـم البلـدان، ج2، ص417).

(2) ابن عساكر، تاريخ دمشق ،ج2، ص82.

(3) محاسنة ، صفحات من تاريخ الأردن، ص107.

(4) البلاذري، فتوح البلدان ، ص117.

(5) البلاذري، فتوح الشام ، ص120، محاسنة، تاريخ الأردن، ص108.

ويذكر الطبري أن فتح بصرى سبق فتح مؤاب(1)، فخالد بن الوليد عندما قـدم من العراق أغار على غسان بمرج راهط، ثم سار حتى نزل على قناة بـصرى وعليها أبو عبيدة بن الجراح وشرحبيل بن حسنة ويزيد بن أبي سـفيان، فـاجتمعوا عليها ورابطوا حتى صالحت على الجزية وفتحها ا على المـسلمين فكانـت أول مدن الشام التي فتحت في خلافة أبي بكر(2)، ومن هناك توجه أبو عبيدة إلى مـآب من أرض البلقاء فافتتحها صلحاً على مثل صـلح بـصرى وهـو دينـار وجريب حنطة على كل بالغ(3).

وكان أبو عبيدة عامر بن الجراح يتـولى قيـادة الجيـوش الاسـلاميه إذا اجتمعت الى أن قدم خالد بن الوليد من العراق، فكان أمير المسلمين في كل حـرب إلى أن تولى عمر بن الخطاب الخلافة فاستبدله بأبي عبيدة بن الجراح وجعل لـه إمارة الجيوش الاسلامية في بلاد الشام، فيذكر الطبري أن أول كتاب كتبه عمر بن الخطاب بعد أن تولى الخلافة كان إلى أبي عبيدة بن الجراح بالشام يوليه جند خالد ابن الوليد ويعزل خالد عن قيادة المسلمين العسكرية هناك(4) .

وكان عمرو بن العاص تقدم إلى فلسطين في الوقت الذي كان فيه يزيد بن أبي سفيان يتمركز في البلقاء، فصالح أهلها على ألف ألف درهم(5)، وكان شرحبيل ابن حسنه في بصرى، فتوجهوا لنجدة عمرو بن العاص والتقوا في أجنادين(6)، وكـان هرقل امبراطور بيزنطة سار إلى القسطنطينية وترك مكانه القُبقُلار ليتولى حـرب المسلمين، وقيل بل كان على الروم تذارق، فبعث رجلاً من عرب قضاعة ليستطلع أحـوال المسلمين، فلما عاد إليه قال له: مـا وراءك؟ قـال: هـم بالليـل رهبـان

---

(1) الطبري، الرسل والملوك، ج3، ص417، انظر البلاذري، فتوح البلدان، ص 120.

(2) الطبري، الرسل والملوك، ج3، ص 417.

(3) البلاذري، فتوح البلدان، ص 120، الطبري، الرسل والملوك، ج3، ص417.

(4) الطبري، الرسل والملوك، ج3، ص434، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج2، ص 293.

(5) المقدسي، البدء و التاريخ، ج5، ص166.

(6) موضع معروف بالشام من نواحي فلسطين، ومن أعمال الرملة(انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص103).

وبالنهار فرسان، ولو سرق ابن ملكهم قطعوا يده، ولو زنى رجم لإقامة الحق فيهم، فقال له القبقلار: لئن صدقتني لبطن الأرض خير من لقاء هؤلاء على ظهرها، فدخل المسلمون المعركة وأبلوا بلاءً حسناً فنصرهم ا على عـدوهم نـصراً عزيـزاً وقتلوا القُبقُلار سنة 13هـ/634م **(1)**.

وكان سعيد بن عامر على درايه ببلاد الشام وطرقها، فسار من غيـر جـادة وضل الطريق، ثم وجد نفسه في منطقه الرقيم قرب عمان، ثم عدل من هناك الـى قريه تسمى الحنينة فحمل سعيد ومن معه على دهاقين القرية المتوجهين الى عمـان بناء على طلب من صاحبها(لقيطاس) لامداده بالجند للوقوف في وجـه المـسلمين، فهاجمهم سعيد وأسر بعضهم ووقع معهم على صلح قدره عـشرة الآف دينـار**(2)**، ولما فرغ أبو عبيده من مؤاب أرسل الزبير بن العوام والفضل بـن عبـاس لفـتح عمان، ففتحت صلحاً**(3)**.

وبعد أجنادين توجه المسلمون نحو غـور الاردن فهزمـوا أعـداءهم فـي الواقوصة ثم انتقلوا الى فحل في الغور الشمالي قرب الـشونة الـشمالية، ولاقـى المسلمون عناءً كبيراً في حصارها ودام الحصار عدة أشهر إلـى أن طلـب أهلهـا الصلح فصالحهم شرحبيل بن حسنه سنه 13هـ/635م على أموالهم وأنفسهم على أن يدفعوا الجزية عن رؤوسهم والخراج عن أرضهم**(4)** .

أما أكبر معـارك المسلمين في بـلاد الشـام فكانت معـركة اليـرموك حيث تمكن المسلمون من تحقيق نصر مؤزر ضد الـروم سـنة 15هـ/636م وكـانت المعركه الفاصله التي حددت مصير الشام كله وفتحت بعد ذلك جميع مدن الشام.

---

(1) البلاذري، فتوح البلدان، ص 120 ـ 121، الطبري، الرسل والملوك، ج3، ص 417 ـ 418.

(2) الواقدي، فتوح الشام،ص181ـ 182، محاسنة، تاريخ الأردن، ص109.

(3) الواقدي، فتوح الشام، ص181ـ184.

(4) البلاذري، فتوح البلدان، ص122.

3.5 فتح دومة الجندل في عهد أبي بكر الصديق

كانت دومة الجندل تشكل بؤرة عداءٍ للمسلمين منذ عهد النبي صلى ا عليه وسلم، فقد كان ملكها أُكيدر حليفاً كبيراً من أهم حلفاء الدولة البيزنطية المعادية للإسلام والمسلمين، وكان هذا أهم الأسباب التي دفعت النبي صلى ا عليه وسلم إلى إرسال خالد بن الوليد لإخضاعها بعد وصوله إلى تبوك في السنة التاسعة من الهجرة؛ حيث كانت تجتمع إلى ملك دومة مجموعة من قبائل العرب النصرانية التي تدين بولائها لبيزنطة.

وبعد وفاة النبي صلى ا عليه وسلم أولى الخليفة أبو بكر الصديق رضي ا عنه دومة الجندل عناية كبيرة خاصة بعد ظهور حركات المرتدين، وكانت دومة أعظم واحة في شمال الجزيرة العربية، فأراد أبو بكر من اهتمامه بها القضاء على قوة القبائل المعادية للإسلام، ووقف حركات المرتدين فيها وفي المناطق المجاورة لها**(1)**.

وبدأ أبو بكر بعقد الألوية لقادة المسلمين، فعقد لواءاً لخالد بن سعيد بن العاص الذي بعث به إلى الحمقتين**(2)** من مشارف الشام، وعمرو بن العاص الذي أرسله إلى قضاعة، وشرحبيل بن حسنة الذي طلب اليه السير في أثر عكرمة بن أبي جهل وكانت وجهته إلى مسيلمه الكذاب، وقال لشرحبيل: إذا فرغت من اليمامة فالحق بقضاعة حتى تكون أنت وعمرو بن العاص على من أبى منهم **(3)**.

وقام كل أمير من أمراء المسلمين بالمهمات الموكلة إليه من الخليفة في محاربة المرتدين، وشن شرحبيل بن حسنة غاراته على قبائل قضاعة بالقرب من دومة الجندل، كما شن عمرو بن العاص غارات مماثلة على قبائل سعد وبلي، وتمكنوا من إخضاع قبائل قضاعة**(4)**، وتهيأت الفرصة لهم لشن الغارة على دومة الجندل

---

(1) السديري، عبد الرحمن بن احمد، الجوف- وادي النفاخ، مؤسسة السديري الخيرية، ص29،

(2) الحمقتين منطقة في مشارف الشام عقد أبو بكر لواءها لخالد بن سعيد بن العاص بعد عودته من اليمن(انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص 305).

(3)الطبري، الرسل والملوك، ج3، ص 281، ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج2، ص234.

(4) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج2، ص234، السديري، الجوف، ص28-29.

التي تعتبر الحصن المنيع والأكثر أهمية في المنطقة حيث كانـت تـسيطر علـى الطريق وأعمال التجارة ما بين الحجاز وبلاد الشام، وما بـين العـراق والحجـاز خاصه بعد الانتهاء من حرب المرتدين في أطراف الجزيرة العربية ولم يبق غيـر هذا الحصن يأوي اليه بعض العادين والمرتدين.

وكلف الخليفه أبو بكر اثنين من أمراء المسلمين للتوجه شمال وشمال شـرق الجزيرة العربية هما: خالد بن الوليد وعياض بن غنم، وسلك كـل منهمـا طريقـاً مختلفاً عن الآخر، فسلك عياض طريقاً أوصلته مباشرة إلى دومة الجندل**(1)**.

وبنـاءً على أمـر الخليفة أبي بكر تـوجـه خالـد بن الولـيد إلى العراق في المحرم سنة 12هـ/634م، ومر بالسواد فأخضع عـدداً من القـرى وصـالح أهلهـا، ثم زحف حتى وصل الحيرة، ودعـا أهلها إلى الإسلام، فطلبـوا منـه أن يدفعوا لـه الجـزية، وصالحهم على 290 ألف درهم فكانت أول جزية يأخذها من العراق هي وما أخذه من القرى التي قبلها، وبعث بها إلى المدينة المنورة مع الوليد بن عقبة**(2)**.

استخلف خالد بن الوليد على الحيرة القعقاع بن عمرو**(3)**، وتحرك في العراق، فخاض معارك عديدة، وفتح عدداً من المدن والقرى، ثم توجه إلى الأنبـار وعليهـا رجل من الفرس يقال له **شيرزاد،** فأحاط بها خالد بن الوليد وخندق عليهـا، وأمـر أصحابه أن يقاتلوا عدوهم وأن يرموا عيونهم، فرموهم بأمر خالد ففقأوا فـي ذلـك اليوم ألف(1000) عين، فسميت الوقعة (ذات العيون)، وقاتلهم خالد حتى نزلوا على حكمه، وخرج شيرزاد من الأنبار وتسلمها خالد بن الوليد، ثم صـالح مـا حولهـا؛ فصالح أهل البوازيج وأهل كلواذى**(4)**.

----

(1) السديري، الجوف(وادي النفاخ)، ص 29.

(2) ابن الأثير، الكامل ، ج2، ص 267، ابن كثير، البداية والنهاية، ج6، ص347 ـ 348.

(3) الطبري، الرسل والملوك، ج3، ص 373.

(4) الطبري، الرسل والملوك، ج3، ص 374، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج2، ص 269، ابن كثير، البداية والنهاية، ج6، ص 353.

واستخلف خالد على الأنبار الزبرقان بن بدر وقصد عين التمـر وكـان بهـا مهران ابن بهرام في جمع كبير من العجم، وعقة بن أبي عقة في جمع كبيـر مـن العرب، من النمر وتغلب وإياد وغيرها من القبائل العربية، فقال عقّة لمهـران: إن العرب أعلم بقتال العرب فاتركه لنا، فتركه مهران يقاتل خالد بن الوليـد بأبنـاء القبائل العربية، ليهجم عليهم بعد أن يكون الطرفان أهلكا بعضهم البعض**(1)**.

وقاتلهم خالد قتالاً شديداً حتى أثخن فيهم وأسر عدداً كبيراً وهـزمهم هزميـة سـاحقة، فلمـا سمع مهران بمـا جرى هرب بجنده وتركـوا الحصن، فـاقتحم عليهم خالد ومعه عقّة أسيراً، فسألوه الأمان فأبى إلاّ على حكمه، ثم اقتحم الحـصن وفتحه؛ فوجد أربعين(40) غلاماً عليهم باب مغلق يتعلمون الإنجيل، فكسر علـيهم الباب وقسمهم على أهل الجهاد؛ ومنهم سيرين والد محمد بن سيرين، ونصير والـد موسى بن نصير، وأبو عمرة جد عبدا بن عبد الأعلى الشاعر، ويـسار مـولى قيس بن مخرمة وغيهم**(2)**.

ويذكر الطبري أنه عندما قدم الوليد بن عقبة من عند خالد بن الوليد بالأخماس على أبي بكر الصديق وجهه أبو بكر نجدة إلى عياض بن غنم وهو يحاصر دومة الجندل ليكون مدداً له، فقدم الوليد على عياض وهو يحاصرهم ويحاصـرونه وقـد صعب عليه الأمر، فكان أكيدر استطاع أن يجمـع الكثيـر مـن القبائـل العربيـة ويحشدهم للوقوف معه ضد المسلمن، ويعولون على الروم لتقديم المـساعدة لهـم، فسأل عياض الوليد عن رأيه في الأمر بعدما اطلع الوليد على صـعوبة الموقـف، فأشار عليه الوليد أن هذه الأمور تحتاج إلى قوة وخبرة خالد بن الوليد الذي كـان وقتها في عين التمر بالعراق، وطلب منه أن يبعث إلى خالد يستمده**(3)**.

----

(1) الطبري، الرسل والملوك، ج3، ص 374، ابن الجوزي، المنتظم فـي تـواريخ الملـوك والأمم، ج3، ص 47، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج، ص269.

(2) الطبري، الرسل والملوك، ج3، ص 374، ابن الجوزي، المنتظم فـي تـواريخ الملـوك والأمم، ج3، ص 47، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج2، ص 269 ـ 270، ابن كثير، البداية والنهاية، ج6، ص 354.

(3) الطبري، الرسل والملوك، ج3، ص 377.

وبعث عياض رسولاً إلى خالد بن الوليد يحمل كتاباً يستمده فيه على أكيـدر وأعوانه، فوصل رسول عياض إلى خالد وقد فرغ من عين التمر، فأرسل إليه خالد ابن الوليد كتاباً مستعجلاً يطمئنه مستجيباً إلى استغاثته ويقول في كتابه:

" إياك أريـد ... لبث قلـيلاً تأتكَ الحلائب**(1)**، يحملن آسـاداً عليها القاشِـب .... كتـائب يتبعهـا كتـائب "**(2)** .

استخلف خالد على عين التمر عويمر بن الكاهن الأسلمي**(3)**، وتوجه هو إلـى دومة الجندل، فلما سمع أهل دومة الجندل بمسير خالد إليهم بعثوا إلـى أعـوانهم وحلفائهم من القبائل العربية من بهراء وتنوخ وكلب وغسـان والضجـاعم، فأقبلوا إليهم؛ وعلى غسان وتنوخ جبلة بن الأيهم، وعلى الضجاعم الحدرجان، وسبقت إليهم جماعات من كلب وبهراء وجماعات أخرى**(4)**.

وكان على دومة الجندل اثنين من الحكام هما**(5)** :

1- أكيـدر بن عبد الملك الذي أسلم وارتد عن الاسلام بعد أن فتح خالد بن الوليد مدينته سـنة 9هـ/631م.

2-الجودي بن ربيعة.

ولما علم أهل دومة بمسير خالد بن الوليد إليهم اختلفوا فيما بينهم، فأكيدر لم يرغب بمقاتله خالد بن الوليد، ورفض الآخرون هذا الرأي، فقال لهم أكيدر: أنا أعلم الناس بخالد، لا أحد أيمن طائراً منه، ولا أحد في حرب، ولا يرى، وما جاء خالد قوم أبداً قلّوا أو كثروا إلا انهزموا عنه، فأطيعوني وصالحوا القوم، ولما رفض القـوم هـذا الرأي خرج عنهم وقال: لا أمالئكم على حرب خالد، فشأنكم فخرج وتركهم، ولمـا

---

(1) الحلايب: الجماعات، وقال بعضهم: لاتلبث الحلائب أن يحاب عليهـا، تُعاجلهـا قبـل أن تأتيهـا الأمداد(انظر ابن منظور، لسان العرب، ج4، ص190).

(2) الطبري، الرسل والملوك، ج3، ص 377، ابن كثير، البداية والنهاية، ج6، ص354.

(3) ابن الجوزي، المنتظم، ج3، ص 47، ابن كثير، البداية والنهاية، ج6، ص354.

(4) انظر الطبري، الرسـل والملوك، ج3، ص378، ابـن كثيـر، البـداية والنهـايـة، ج6، ص354 ـ 355.

(5) الطبري، الرسل والملوك، ج3، ص378، ابن الاثير، الكامل،ج2، ص270.

علم خالد بمسيره أرسل الى طريقه عاصم بن عمرو معارضاً له وأخذه أسيراً فقتله وأخذ ما كان معه(1) .

ومضى خالد بن الوليد حتى نزل على أهل دومه وعليهم الجودي بن ربيعه الكلبي وابن روماني الكلبي ،وابن الايهم ،وابن الحدْرجان، فجعل خالد دومة بين عسكره وعسكر عياض بن غنم(2).

وكان النصاري الذين قدموا لمساعده أهل دومة الجندل من العرب المجاورين لم يحملهم الحصن، فلما اطمأن خالد خرج اليه الجودي في جمع من العرب لقتاله، وخرج ابن الحدرجان وابن الأيهم إلى عياض فنصر ا الأميرين خالد وعياض وأخذوا الجودي أسيراً، فانهزم أصحابه إلى الحصن فلم يحملهم، فلما امتلأ الحصن أغلق من في الحصن الباب دون أصحابهم فبقوا حوله حرداء، فأقبل خالد عليهم فقتلهم حتى سد باب الحصن، ودعا بالجودي فقتله(3).

وقتل خالد من أسره منهم إلا أسرى كلب فإن بني تميم قالوا لخالد: قد أمناهم وكانوا حلفاءهم فتركهم وقال لبني تميم: مالي ولكم: أتحفظون أمر الجاهلين وتضيعون أمر الإسلام؟ فقال له عاصم بن عمرو: لا تحسدهم العافية ولا يحوزهم الشيطان، ثم طاف خالد على باب الحصن ومازال به حتى اقتلعه واقتحم المسلمون على من فيه؛ فقتلوا المقاتله وسبو الذريه والشرخ (النساء الشابات) وأقام خالد بدومة بينما رد الاقرع بن حابس إلى الانبار(4).

واشترى خالد ابنة الجودي وكانت موصوفة، ثم عاد الى الحيرة حيث استقبل هناك استقبالا حسناً، وبسيطره المسلمين على دومة الجندل يكون قد تم لهم حماية الطرق المؤدية الى العراق وبلاد الشام، حيث كانت جيوشهم قد انطلقت لإكمال نشر الاسلام وفتح هذه البلاد وتحريرها من السيطرة الأجنبية .

---

(1) الطبري، الرسل والملوك، ج3ص378،ابن الاثير، الكامل، ج2ص270.

(2) الطبري، الرسل والملوك، ج3، ص378.

(3) الطبري، الرسل والملوك، ج3، ص 378-379، ابن الاثير، الكامل، ج2، ص271.

(4) انظر الطبري، الرسل والملوك، ج3، ص 378-379، ابن الاثير، الكامل، ج2، ص271.

4.5 دومـة الجـندل والتحكيـم بين علي ومعاوية

ويبدو أن أهمية دومة الجندل استمرت في عصر الخلفاء الراشدين, ويقال بأنـه حدث فيها التحكيم بين علي بن أبي طالب ومعاويه بن أبي سفيان بعد معركة صفين سنة 37هـ/657م**(1)** .

فقد حدثت فتنه بين المسلمين أدت إلى مقتل عثمان بن عفان رضي ا عنـه، ثم نتج عنها إنقسام بين الجماعات الإسلامية انتهت الى حـروب بـين المـسلمين المطالبين بدم عثمان وبين علي بن ابي طالب باعتباره الخليفة، وكان يمثل الـسلطه في الدولة الإسلامية، ووقف في هذه الفتن أهل العراق إلى جانب علي بن أبي طالب وأهل الشام إلى جانب معاوية بن أبي سفيان، وكانت بين الطرفين حروب وفتن منها وقعه صفين التي راح ضحيتها عدد كبير من المسلمين من الطرفين حتى قيل إنـه قتل فيها (70000) سبعين ألفاً**(2)**، ولما رأى أهل الشام أنهم فـي موقـف صـعب وأخذت المعركه تشير الى ظهور أهل العراق طلب منهم عمـرو بـن العـاص أن يرفعوا المصاحف طالبين تحكيم كتاب ا بين المـسلمين, وتوقفـت المعركـه ليحتكم الناس إلى كتاب ا عز وجل**(3)**.

ورغم أن علي بن أبي طالب أحس بالخديعة في الدعوة إلى تحكيم كتـاب ا إلاّ أنه لم يكن بوسعه إلاّ قبول تحكيم كتاب ا عز وجل, فقد طالبه عـدد من المسلمين بينهم نفر من القراء بقبول التحكيم**(4)** .

\- - - - - - - - - - - - - - - -

(1) انظر ياقوت الحموي، معجم البلدان ، ج2، ص488.

(2) المنقري، نصر بن مزاحم(ت 212هـ/827)، وقعة صفين، تحقيق عبدالسلام هارون، دار الجيل، بيروت 1990م، ص 475، حسـين، طه، الفتنـة الكـبرى/علي وبنوه، ط11، دار المعـارف، القاهرة، ص76، الهميم، عبداللطيف، صفين وتداعياتها في الاجتمـاع السياسي الإسلامي، ط1، دار عمار، عمان 2004م، 163 .

(3) الطبري، الرسل والملوك , ج5، ص48.

(4) الطبري، الرسل والملوك, ج5، ص49، و انظر الدينوري، ابن قتيبة، الامامة والـسياسة، دار الاضواء، بيروت 1990م, ج1، ص148ـ149.

وأختار كل فريق من المتخاصمين حكماً نائباً عنه، فاختار أهل الشام عمـرو ابن العاص حكماً, واختار أهل العراق أبا موسى الاشعر على أن يجتمع الحكمان في مكان ويتفقان عليه ويتوصلوا إلى قرار ينهي الخلاف بين المسلمين، فذكر ابن قتيبة أ ن أهل العراق وأهل الشام اتفقوا أن يكون اجتماع الحكمين في دومة الجنـدل**(1)**, وأنهما اجتمعا بدومة الجندل**(2)**, كما أورد الطبري أنه تم الاتفاق على أن يوافي علي ومعاوية موضع الحكمين بدومة الجندل في شهر رمضان سنة 37هـ ـ/657م, وأن الحكمان يجتمعان بدومة الجندل, فإن لم يجتمعا لذلك إجتمعا من العام المقبـل فـي أذرح **(3)**.

وذكر ابن الأثير أنهم أتفقوا على أن يوافي أمير المؤمنين على موضع الحكمين بدومة الجندل أو بأذرح في شهر رمضان سنة 37هـ/657م**(4)**, ثم أورد بعد ذلـك أن معاوية أرسل عمرو بن العاص في أربعمائة من أهل الشام حتى توافوا من دومة الجندل بأذرح**(5)**.

ويبدو أن هناك خطأً حدث في الامر فأورد المؤرخون روايات مختلفة حـول هذا الموضوع, ولعلهم اختلفوا في مكان الاجتماع أول الامر، لكـنهم انتهـوا إلـى الاتفاق على الاجتماع في أذرح كما يورد بعض المؤرخين, وعلى أية حال فقد حدث الاجتماع بين الحكمين سواءً أكان ذلك في أذرح أو في دومة الجندل والتي هـي مدار البحث هنا, ولعلها متوسطة بالنسبه الى أهل الشام وأهل العراق.

---

(1) الدينوري، الامامة والـسياسة, ج1، ص152، ابـن خلـدون، عبـدالرحمن بـن محمـد (ت808هـ/1405م)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومـن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مؤسسة الأعلمي للمطبوعـات، بيـروت، ج2، ص 176 الهميم، صفين وتداعياتها ، ص 168.

(2) المنقري، وقعة صفين، ص 539، الدينوري، الإمامة والسياسة، ج1، ص 155، حسين، الفتنة الكبرى، ص98.

(3) الطبري، الرسل والملوك, ج5، ص57، وانظر ابن خلدون، العبر، ج2، ص176.

(4) ابن الاثير، الكامـل، جص3، ص163.

(5) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج3، ص167.

وقد ورد ذكر أذرح في شعر بعض الشعراء الذين تناولوا التحكيم في شعرهم مما يدل على أن التحكيم جرى فيها وا أعلم, وقليلاً ما أوردوا ذكر دومة الجنـدل في هذا الشعر غير ما قاله ألاعور الشّنّي الذي قال(**1**):

رضينا بحكم ا في كل موطن	وعمـرو وعبدا مختلفـان
وليس بهادي أمـة من ضلالة	بدومـة سخماً فتنه عميـان
أثارا لما في النفس من كلّ حاجة	شـديدان ضراران مؤتلفـان
أصمان عن صوت المنادي تراهما	على دارةٍ بيضـاء يعتلجـان
فيـا راكباً بلّغ تميمـاً وعامراً	وعبساً وبلّغ ذاك أهل عمان
فمـا لكم إلاّ تكـونـوا فجرتم	بإدراك مسعاة الكرام يـدان
بكت عين من يبكي ابن عفّان بعدما	نفى ورقَ الفُـرقان كلّ مكان
كـلا فئتيـه عـاش حيـاً وميتاً	يكادان لـولا الحق يشتبهان

وقال أعشى بني ضَوْرمن عنزة (**2**):

أباح لنا مابين بصرى ودومة	كتـائب منا يلبسون السنَورا
إذا هو سامانا من الناس واحد	له الملك خـلا ملكه يتفطرا
نفت مضر الحمراءَ عنا سيوفنا	كما طرد الليلُ النهار فأدبرا

ولما اجتمع الحكمان في دومة الجندل حسب الرواية التي تقول انهما اجتمعا هناك اتفقا على خلع علي بن أبي طالب من منصب الخلافة وخلع معاوية بن أبـي سفيان من ولايته أهل الشام, على أن يكون الأمر شورى بين المـسلمين فيختـاروا لأنفسهم من أحبوا من المسلمين(**3**).

---

(1) المنقري، وقعـة صفّـين، ص546، ياقوت الحموي، معجم البلدان, ج2، ص488ـ489.

(2) ياقوت الحموي، معجم البلدان, ج22، ص489.

(3) المنقري، وقعـة صفّـين، ص 544 ـ 545، الطبري، الرسل والملـوك, ج5، ص70، الهميم، صفين وتداعياتها، ص 173.

ولما اجتمع الحكمان لإطلاع الناس على ما تم الاتفاق عليه طلـب عمـروبن العاص من أبي موسى الأشعري أن يتقدم ويخبر الناس بما اتفقا عليه, فتقـدم أبـو موسى الأشعري, فحمد ا عز وجل وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس, إنا قد نظرنا في أمر هذه الأمة فلم نَرأصلح لأمرها ولا الّم لشعثها من أمر قد أجمـع رأيـي ورأي عمرو عليه, وهو أن نخلع علياُ ومعاوية, وتستقبل هذه الامة هذا الأمر فيولوا مـنهم من أحبوا، وإني قد خلعت علياً ومعاوية, فاستقبلوا أمركم وولوا عليكم من رأيتموه لهذا الأمر أهلاً, ثم تنحى وأقبل عمرو بن العاص فقام مقامه فحمد ا عز وجـل وأثنى علي وقال: إن هذا قد قال ماسمعتم وخلع صاحبه وأنا أخلع صـاحبه كمـا خلعه, وأثبت صاحبي معاوية, فإنه ولي عثمان بن عفان والطالب بدمـه وأحـق الناس بمقامه, فقال أبو موسى: مالك لاوفقك ا , غدرت وفجرت! إنما مثلك كمثـل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث, قال عمرو: إنما مثلك كمثـل الحمـار يحمل أسفاراً، وقام الناس فحجزوا بينهم**(1)**, وكان ذلك سبباً في استمرار الخلافات والفتن بين المسلمين, وانقسم الناس بعد ذلك فرقاً وأحزاباً حيث خرج نفر ممن كان مع علي عليه ورفضوا قبول التحكيم وهم الخوارج وليس هذا مكان البحث فيه .

----

(1) انظر المنقري، وقعة صفين، ص 546، الطبري، الرسل والملوك , ج5، ص70 ـ 71, ابن الايثر، الكامل ، ج3، ص168، حسين، الفتنة الكبرى، ص100.

الخاتمة

تبين من خلال الدراسة أن منطقة شمال الجزيرة العربية والتي كان الاعتقاد السائد أنها معزولة عن باقي الجزيرة العربية، وكانت مأهولة بالسكان؛ حيث كانت تقيم فيها أقوام عربية مشهورة شكلت دولاً كان لها حضور تاريخي فقد استوطنت المنطقة قبائل ثمود وقوم شعيب الذين استوطنوا منطقة مدين.

واستوطن بنو لحيان شمال وادي القرى في مناطق الحجر والعلا وتيمـاء، وأنشأوا دولة لكنهـا لم تستمر لفترة طويلة بسبب الغزو الآشوري للمنطقة، وتركوا الكثير من الآثار والنقوش التي تشير إلى أنهم استوطنوا هذه البلاد.

وكانت جماعـات الأنبـاط والأمم التي استوطنت المنطقة وحكموها، فقد بدأ ظهورهم هنـاك منذ القـرن الرابع قبل الميلاد، ثم انتشرت بعد ذلك قبائـل عـربية مختلفة كقضاعة وكلاب وكنـدة وجـذام ولخم، وبقيت هذه القبائل تنتشر في المنطقة إلى أن جـاء الإسـلام.

وجاء ظهور الإسلام ليعطي هذه المنطقة أهمية خاصة بعد غـزوة تبـوك التي عرفت بغـزوة العسرة لتنقل تبوك وشمال الجزيـرة العـربية إلى وضع جديـد وإعطائها أهمية كبيرة، فقد أوقف المسلمون امتداد الـروم البيزنطيين في شمال الجزيرة وهيمنتهم على القبائل العـربية التي كانت تخضع لحكم الـروم البيزنطيين، وفتحوا المجال أمام هذه القبائل للتحرر من السيطرة البيزنطية، فانتشر فيها الإسلام، وصار لها شأن كبير.

ومن تبوك وجوارها بدأت تعبر جيوش المسلمين لنشر الإسلام وتحريـر بـلاد الشام من السيطرة البيزنطية، وصارت تبوك طـريق الفاتحين.

وأقام المسلمون مراكز لهم على طول الطرق التي كانوا يسلكونها منذ أيام النبي صلى ا عليه وسلم، الذي اتخذ المساجد على طـول الطريق الذي سلكه في حملته على تبوك.

ولابد من الإشارة إلى أن ظهور الإسلام وانتشاره في تبـوك وشـمال الجزيرة العربية قضى على الصراعات القبلية، ونشر روح المحبة والتعاون بين أبناء هذه البـلاد التي أصبحت تدين بدين الإسلام.

وأخذت شمال الجزيـرة العـربية أهمية أخرى بعقد مؤتمر التحكيم بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان في أراضيها سـواءً عقد في دومة الجندل الواقعة إلى الشرق من تبـوك، أو في منطقة أذرح الـواقعة إلى الشمال من تبـوك في جنوب بـلاد الشـام.

المصادر والمراجع

القرآن الكـريم

ابن الأثير، علي بن محمد(ت 630هـ /1233م)(1994م)، **أسد الغابة في معرفة الصحابة،** تحقيق علي محمد معوض وعادل أحمد عبـدالموجود، دار الكتـب العلمية، بيروت.

ابن الأثير، علي بن محمد(ت 630هـ /1233م)(1978م)، **الكامـل في التـاريخ،** دار الفكـــر، بيـروت.

ابن بطوطة، محمد بن عبدا (ت779هـ/1377م)(1992م)، **رحلة ابن بطوطـة،** دار صادر، بيروت.

ابن الجوزي, عبدالرحمن بن علي(ت 597هـ/1201م)(1995م)، **المنـتظم فـي تاريخ الملوك والامم**, تحقيق سهيل زكار, دار الفكر, بيروت.

ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي(ت 852هـ/1448م)(2004م)، **غزوات رسول ا صلى ا عليه وسلم من فتح الباري،** اختيار الـشيخ محمـد عبدالـسلام سلاطين، المكتبة المصرية، الاسكندرية.

ابن حزم، علي بن سعيد الأندلسي(ت 456هـ/1063م)(1971م)، **جمهرة أنساب العرب،** تحقيق عبدالسلام هارون، القـاهـرة.

ابن حنبل أحمد، أحمد بـن محمـد(ت 241هـ ـ/856م)(1995م)، **المـسند،** دار الحديث، القاهرة.

ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد(ت808هـ/1405م)(د.ت)، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر،** مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

ابن سعد، محمد(ت230هـ/854م)(د.ت)، **الطبقـــات الكبـــرى،** دار صـادر، بيـروت.

ابن السكيت، يعقوب بن إسحاق(ت244هـ/858م)(1998م)، **كتاب الألفاظ،** تحقيق فخر الدين قبادة، مكتبة لبنان، بيروت.

ابن سيد الناس(ت 734هـ/1334م)(1982م)، **عيون الاثر في فنـون المغـازي والشمائل والسير،** دار الآفاق الجديدة، بيروت.

ابن عبد البر(ت 463هـ/1070م)(1403هـ)، **الدرر في اختصار المغازي والسير**, تحقيق شوقي ضيف, دار المعارف, القاهرة.

ابن العربي، أبو بكر المالكي(ت 543هـ/1148م)(د.ت)، **العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى ا عليه وسلم**، تحقيق الشيخ محب الدين الخطيب، دار الجيل، بيروت ـ لبنان.

ابن عساكر، هبة ا (ت 571هـ/1174م)(1995م)، **تاريخ مدينة دمشق**، تحقيق محب الدين العمروي، دار الفكر بيروت.

ابن كثير، أبو الفداء الحافظ الدمشقي(ت 774هـ/1372م)(د.ت)، **البداية والنهاية**، تحقيق أحمد أبو سويلم وآخرون، دار الكتب العلمية, بيروت – لبنان.

ابن كثير، أبو الفداء الحافظ الدمشقي, (ت 774هـ/1372م)(1988م)، **تفسير القرآن العظيم**, دار الحديث, القاهره.

ابن كثير، أبو الفداء الحافظ الدمشقي, (ت 774 هـ / 1372م)(1981م)، **قصص الأنبياء**، دار عمربن الخطاب، القاهرة.

ابن منظور، جمال الدين(ت711هـ/1311م)(2000م)، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت.

ابن هشام، عبدالملك الحميري(ت 213هـ/828م)(د.ت)، **السيرة النبوية**، تحقيق طه عبدالرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت.

الإدريسي، أبو عبدا (ت 560هـ/1164م)(1989م)، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، عالم الكتب، بيروت.

الاصطخري، إبراهيم بن محمد الفارسي(ت346هـ/957م)(1961م)، **المسالك والممالك**، دار القلم، القاهرة.

البخاري، محمد بن إسماعيل(ت 256هـ/70م)(1998م)، **صحيح البخاري**، اعتنى به أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، الرياض.

البغدادي، صفي الدين(ت739هـ/1338م)(1954م)، **مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**، دار المعرفة، بيروت.

البكري، أبو عبيد(ت 487هـ/1093م)(د.ت)، **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضيع**، عالم الكتب، بيروت.

البلاذري، أبو الحسن(ت 279هـ/892م)(1959)، **أنساب الأشراف**، تحقيق محمد حميد ا ، القاهرة، ص 529، 532).

البلاذري، أبو الحسن(ت279هـ/892م)(1978م)، **فتوح البلدان**، دار ومكتبة الهلال، بيروت.

الثعالبي، الشيخ عبدالعزيز(1989م)، **معجز رسول ا صلى ا عليه وسلم**، تحقيق جمال الدين الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

جميل بثينة، جميل بن عبدا بن معمر(ت 81هـ/701م)(1994م)، **شرح ديوان جميل بثينة**، شرح وتحقيق عدنان زكي درويش، دار الفكر، بيروت.

الجوهري، أبو نصرإسماعيل بن حماد(ت393هـ/1002م)(1990م)، **تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق أحمد عبدالغفور عطا، دار العلم للملايين، بيروت.

الجزيري، عبدالقادر بن محمد أنصاري(1384هـ)، **درر الفوائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة**، المطبعة السلفية، القاهرة.

حسان بن ثابت الأنصاري (ت 50هـ/ 670م)(د.ت)، **ديوان حسان بن ثابت**، دار صادر، بيروت.

الحلبي، برهان الدين(ت 1044هـ/1634م)(د.ت)، **السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون**, دار المعرفة.

الدمياطي، عماد الدين إسماعيل بن عمر(ت701هـ/1302م)(2005م)، **السيرة النبوية**، دار الكتب العلمية، بيروت.

الدياربكري(ت 966هـ/1559م)(د.ت)، **تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس**، دار صادر ، بيروت.

الدينوري، ابن قتيبة عبدا بن مسلم (ت 213هـ/828م)(1990م)، **الامامة والسياسة**، ط1، تحقيق الأستاذ علي شيري، دار الاضواء, بيروت.

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد(ت 748هـ/1347م)(د.ت)، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والإعلام، (المغازي)**, دار الكتاب العربي.

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد(ت748هـ/1374م)(1982م)، **سـير أعـلام النبلاء**، تحقيق شعيب الأرناؤوط وحسين الأسد، مؤسسة الرسالة، بيروت.

ابن الزبير عروة (ت 93هـ/714م)(1981م)، **مغازي رسول ا صلى ا عليه وسلم**، مكتب التربية العربي, الرياض.

السمعاني، عبدالكريم بن محمد(ت 562هـ/ 1165م)(1998م)، **الأنـساب**، ط1، دار الفكر، بيروت.

السمهودي, نورالدين علي بن أحمد(1984م)، **وفاء الوفا بأخبـار دار المـصطفى**, تحقيق محمد محيي الدين عبد المجيد, دار الكتب العلمية, بيروت.

السندي، عبد القادر حبيب ا (1986م)، **الذهب المسبوك في تحقيق روايات غزوة تبوك**، مكتبة المعلا، الكويت.

الصالحي، محمد بن يوسف (ت 942هـ/1535م)(1983م)، **سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد**، دار الكتب العلمية، القاهرة.

الطبري، محمد بن جرير(ت 310هـ/922م)(1979م)، **تاريخ الرسل والملـوك**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعـارف، القاهـرة.

الطبري، محمد بن جرير(ت310هـ/922م)(1958م)، **جامع البيان عـن تأويـل القرآن**، تحقيق أحمد شاكر، دار المعارف.

الطبري، محمد بن جرير(1994م)، **السيرة النبوية**، تحقيق جمال بـدران، الـدار المصرية اللبنانية، القاهرة.

العامري، جمال الدين محمد الأشخر اليمني(ت 893هـ ـ/1488م)(د.ت)، **بهجـة المحافل وبغية الأماثل في تلخيص المعجزات والسير والشمائل** بشرح الأشخر اليمني, دار صادر.

القلقشندي، أحمد بن علي(ت821هـ/1418م)(1980م), **نهاية الأرب في معرفـة أنساب العرب**, دار الكتاب اللبناني، بيروت.

القلقشندي، أحمد بن علي(1987م)، **صبح الأعشى في صنعة الإنـشا**، دار الكتـب العلمية، بيروت.

مالك بن أنس(ت179هـ/796م)(1993م)، **الموطـــأ**، تحقيق عواد بشار معروف ومحمود محمد خليل، مؤسسة الرسالة، بيـروت.
المسعودي، علي بن الحسين(ت346هـ/957م)(1991م)، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، تحقيق عبدالأمير مهنا، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.
المقدسي، محمد بن أحمد البشاري(ت 375هـ/985م)(1991م)، **أحسن التقاسـيم في معرفة الأقاليم**، مكتبة مدبولي، القاهرة.
المقدسي، المطهر بن طاهر أحمد بن سهل(1903م)، **البدء والتاريخ**، دار صـادر، بيروت.
المقريـزي، أحمد بن علي(ت845هـ/1441م)(1999م)، **إمتـاع الأسـماع بما للنبي صلى ا عليه وسـلم مـن الأحـوال الأمـوال والحفـدة والمتاع**، تحقيق محمد عبدالحمد النميسي، دار الكتـب العلميـة، بيـروت.
المقريزي، أحمد بن علي(ت845هـ/1441م)(1998م)، **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، دار الكتب العلمية، بيروت.
المنقري، نصر بن مزاحم(ت 212هـ/827)(1990م)، **وقعـة صـفين**، تحقيـق عبدالسلام هارون، دار الجيل، بيروت.
الهمـداني، الحسن بن أحمد بن يعقـوب(ت 345هـ ـ/956م)(1989م), **صـفة جزيرة العـرب**, دار الشـؤون الثقـافية, بغـداد.
الهمداني، محمد بن عبدالملك(ت 521هـ/1127م)(1986م)، **الإكليـل**, تحقيـق محمد بن علي الأكـوع، دار التنويـر, بيـروت.
الواقدي، محمد بن عمر(ت 207هـ/822م)(1984م)، **المغـازي**، عالم الكتـب، بيروت.
ياقوت بن عبدا الحموي(ت626هـ/1229م)(د.ت)، **معجم البلدان**، دار الكتـاب العربي، بيروت.
يـاقوت بن عبدا الحمـوي(ت626هـ/1229م)(1987م), **المقتضب من كتـاب جمهرة النسب**, تحقيق نـاجي حسن, الـدار العربية للموسوعات, بيروت.
أبو خليـل، شوقي(1986م)، **تبـوك غـزوة العسرة**، دار الفكـر، دمشق.

أبو خليـل، شوقي(1983م)، **غـزوة مـؤتة(جيش الأمــراء)**، دار الفكــر، دمشق.

أبو عيانة، فتحي محمد(1996م)، **دراسات في جغرافية شبه جزيرة العـرب**، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية.

آل يحيى، سيف الدين سعيد(1983م)، **الحركات العسكرية للرسل الأعظم في كفتي ميزان**، الدار العربية للموسوعات، بيروت.

باشميل، محمد أحمد(1973م)، **العـرب في الشـام قبل الإسلام**، دار الفكر، دمشق.

باشـميل، محمد أحمد(1978م)، **غــزوة تبــوك**, دار الفكـر.

باشـميل، محمد أحمد(1974م)، **غـزوة مـؤتـة**، دار الفكــر.

باوزير، سعيد عوض(1966)، **معالم تاريخ الجزيرة العربية**، مؤسسة الـصبان، عدن.

بك، فـردريك(1935م)، **تـاريخ شرقي الأردن وقبائلهـا**، الــدار العــربية للتـوزيع، عمـان.

البلادي، عاتق بن غيث(1983م)، **رحلات في بلاد العرب**، الطبعة الثانية، دار مكة للنشر والتوزيع.

التيمائي، محمد أحمد السمير(د.ت), **هذه بلادنا (تيمـاء)**, الرئاسة العامة لرعاية الشباب.

الجاسر، حمد(1981م)، **في شمال غـرب الجزيـرة**، منـشورات دار اليمامـة، الرياض.

الجاسر، حمد(1981)، **المعجم الجغرافي للبلاد العربية الـسعودية**، دار اليمامـة، الرياض.

حتى، فيليب(1983), **تاريخ سورية ولبنان وفلسطين**, ترجمة جورج حداد وعبـد الكريم رافـق, دار الثقـافـة, بيروت.

حسـين، طـه، **الفتنـة الكـبرى/علي وبنوه**، ط11، دار المعــارف، القاهرة.

حمادة، فاروق(2005م)، **العلاقات الإسلامية النصرانية في العهد النبوي**، دار القلم، دمشق.

الحميدي، وليـد كسـاب(1995م), **تبـوك عبـر أطـوار التـاريخ**, الطبعـة الأولى.
الخضري، محمد(1983م)، **إتمام الوفـاء في سيرة الخلفـاء**، ط1، دار الكتـب العلمية، بيـروت.
خطـاب، محمود شيت(1974م)، **الرسـول القـائد**، ط5، دار الفكـر.
خليل، عماد الدين(1983م)، **دراسة في الـسيرة**، مطبعـة الزهـراء الحديثـة ، الموصل.
الدمياطي(1416هـ)، **السيرة النبوية**، تحقيق أسعد محمد الطيب، دار الـصابوني، حلب.
رشيد، صبحي أنور(د.ت)، دراسة تحليلية للتأثير البابلي في آثار تيمـاء/ **مجلـة سومر,** العدد 29 .
الرشيد، عبدا محمد(1990م)، القيادة العسكرية في عهد النبي صلى ا عليـه وسـلم، ط1، دار القلم، بيروت.
زيـدان، جرجي(د.ت)، **تـاريخ العـرب قبـل الإسـلام**، دار مكتبة الحيــاة، بيـروت ـ لبنــان.
الـزين، سميح عـاطف(1986م)، **مجمع البيـان الحديث**(خاتم النبيـين محمـد صلى ا عليه وسلم)، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
السديري**،** عبد الرحمن بن احمد**(د.ت)، الجوف- وادي النفاخ**، مؤسسة الـسديري الخيرية.
السلمي، محمد سليمان الطيب(د.ت)، **موسوعة القبائل العربيــة**، دار الفكـر، القـاهـرة.
سيف، محمود محمد(1996م)، جغرافية المملكة العربية الـسعودية، دار المعرفـة الجامعية، الاسكندرية.
شـامي، يحيى(1993م)، **موسـوعة المـدن العـربية الإسـلامية**، دار الفكر العربي، بيروت.
شعراوي، محمد متولي(د.ت)، **غزوات رسول ا صلى ا عليه وسلم،**

عبـاس، إحسان(1987م), **تاريخ دولـة الأنبـاط** , الشروق للنشر والتوزيـع, عمان.

عجمي، هشام محمد(1986م), **قلاع الأزلم والوجه وضبا بالمنطقـة الـشمالية الغربية من المملكة العربية السعودية**, رسالة ماجستير غير منشورة، جامعـة أم القـرى.

العطـوي، مسعد بن عيد(1993م)، **تبـوك قديمـاً وحديثـاً**، مكتبـة التوبـة، الريـاض.

علي، جواد(1980م), **المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام**, دار العلم للملايـين, بيروت.

غبان، علي بن ابراهيم بن علي حامد(1993م)، **شمال غـرب المملكـة العربيـة السعودية** (الكتاب الثاني)، الطبعة الأولى.

الفاسي، هتون أجواد, **الحياة الاجتماعية في شمال غرب الجزيرة العربية**, الرياض 1993م .

فـروخ، عمر(1984م)، **تـاريخ الجـاهلية**، دار العلم للملايين، بيـروت.

القثـامي، حمود بن ضاوي(1991م)، **شمال الحجاز (الآثار)**، العصر الحديث للنشر والتـوزيع، بيـروت.

القثـامي، حمـود بن ضاوي(د.ت)، **معجم المواضع والقبـائـل والحكومـات**.

محاسنة، محمد حسين(2000م)، **صفحات من تاريخ الاردن وحضارته**، منـشورات وزارة الثقافة، عمان – الاردن.

محاسنة، محد حسين(1998م)، **صفحات من تاريخ آل البيت**، مطبعـة البهجـ ـة، اربد.

محاسنة، محمد حسين(2000م)، معركة مؤتة وتحركات المسلمين الاولى باتجاه بلاد الشام، **مجلة مؤتة للبحوث والدراسات، المجلد** 15 العدد (5) لسنة.

محاسنة، محمد حسين(د.ت)، **مقامات الصحابة الأطهار في أرض مؤتة والمـزار**، مخطوط تحت النشر.

محاسنة، محمد حسين والصرايرة، حاتم(2005م)، **فنون التـاريخ العـسكري فـي أرض الحشد والرباط**, منشورات وزارة الثقافة الأردنية، عمان.

مرداد، محمد عبدالحميد(د.ت)، **مدائن صالح تلك الأعجوبة**، المكتبة الصغيرة، بـلا طبعة.

المصري عبدالوهـاب أحمد(1994م)، **غـزوة تبوك في القرآن الكـريم**، رسـالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنيـة.

الـدبـاغ, مصطفى مـراد(1963م)، **جزيـرة العرب**, بيـروت.

مهران، محمد بيومي(1987م)، **تاريخ العـرب القـديم**، دار المعرفـة الجامعيـة، الاسكندرية.

موزل . أ (1952م)**, شمال الحجاز**، ترجمـة عبدالمحـسن الحـسيني , مطـابع رمسيس، الاسكندرية.

الهـرفي، محمد بن علي(د.ت)، **تبـوك**، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، بلا طبعة.

الهميم، عبداللطيف(2004م)، **صفين وتداعياتها في الاجتماع السياسي الإسـلامي**، ط1، دار عمار، عمان.

هنتس، فالتر(1970م)، **المكاييل والأوزان الإسلامية ومـا يعادلهـا فـي النظـام المتري**، ترجمة كامل العسلي، عمان.